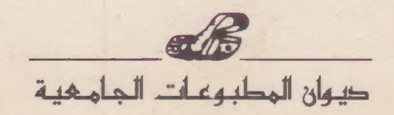
فراد محمد أرزقي

القوى المغربية في الأندلس

خلال عهد ملوك الطوائف القرن الخامس الهجري الموافق الحادي عشر الميلادي



فؤاد محمد أرزقي

القوى المغربية في الأندلس

خلال عهد ملوك الطوائف القرن الخامس الهجري الموافق الحادي عشر الميلادي



ديوان المطبوعات الجامعية

الساحة المركزية - بن عكنون - الجزائرية

© ديوان المطبوعات الجامعية : 05 - 91

Codification : 4 .07.2690

بســـم الله الرحمن الرحيم

ـ المـقـدمـة ـ

عالجت في بحثي دور البربر في أحداث الاندلس، من أواخر القرن الرابع الهجرى الى أقصى القرن الخامس الهجرى الموافق للقرنين الميلاديين العاشر والحادى عشر وقد وقع اختيارى على هذا الموضوع للعوامل التالية:

١ ـ اهمية الدور الذى لعبه البربر في الاندلس.
٢ ـ انتماء هذا العنصر الى المغرب، وبالتالي فأعماله تعد جزء من تراثنا المغربي الذى يجب الاهتمام به والمحافظة عليه.
٣ ـ ضعف الاهتمام بهذا الموضوع من طرف المؤخرين المسلمين المعاصرين.

وقد قسمت بحثي الى مقدمة وخمسة فصول وخاتمة. وأعطيت في الفصل الاول لمحة عن هجرة البربر الى الاندلس، وأماكن استقرارهم هناك وتعاظم نفوذهم السياسي والعسكرى خاصة في عهد محمد بن أبي عامر. كما أشرت الى انهيار الخلافة الاموية في نهاية القرن الرابع الهجرى، وانفراط عقد الاندلس ثم انقسامها الى ما يسمى بعصر ملوك الطوائف، وقد لعب البربر في ذلك كله دورا لا يستهان به، ولتمكين القارئ من أخذ فكرة واضحة عن البربر واماراتهم ذكرت بايجاز الامارات العربية والصقلبية التي كانوا يتعاملون معها، ثم أنهيت الفصل بلمحة خاطفة عن أوضاع الامارات المسيحية التي كانت بصدد جمع شملها وتحقيق وحدتها لطرد المسلمين من شبه جزيرة أيبريا.

وخصصت الفصل الثاني لدولة بني حمود التي كانت تستقطب البربر في الاندلس سواء أثناء تمركزها بقرطبة أو بمالقة. وعندما استفحل ضعفها وضع

باديس بن حبوس وهو أمير زيرى كان يحكم امارة غرناطة وقتذاك – حدا لهذه الدولة باستيلائه على مالقة، ثم ضمت امارة اشبيلية العربية اليها ما تبقى منها.

وتناولت في الفصل الثالث امارة بني زيرى بغرناطة التي أسسها زاوى بن زيرى. وكانت على جانب كبير من القوة خاصة في عهد باديس بن حبوس (٤٢٨ – ٤٦٥هـ / ١٠٣٧ – ١٠٧٣م) الذى أحبط محاولات العامرين – حكام المرية – وبني عباد حكام امارة اشبيلية – لنيل من دولته لذلك اقتنع الجميع بمسالمته، غير أن حفيده عبدالله ابن بلكين الذى خلفه في الحكم لم يكن في مستوى المسؤولية الملقاة على عاتقه. وفي عهده قضى المرابطون على امارة غرناطة الزيرية. كما ذكرت في نهاية هذا الفصل أهم البيوت البربرية الاخرى التي استقرت بمدن وأقاليم جنوب الاندلس.

أما الفصل الرابع فقد خصصته لامارتي بطليوس وطليطلة. وقد أسس الاولى بنو الافطس بغرب الاندلس، واشتهروا بحبهم للعلم فغص بلاطهم بالعلماء والادباء والشعراء، وقد خاضوا غمار حروب عديدة ضد المسيحيين الاسبان، وضد الامراء المسلمين المتاخمين لهم – أما الثانية فقد أسسها بنوذى النون في الثغر الاوسط فكانت درعا قويا للمسلمين بالاندلس لذلك كان سقوطها بيد الفرنسو السادس ملك قشتالة (٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م) بداية لنهاية المسلمين بالاندلس.

ثم تناولت في الفصل الخامس سقوط الامارات البربرية وغيرها بيد بربر لمتونة المرابطين الذين استجد بهم أمراء الطوائف على اثر سقوط طليطلة بيد الاسبان المسيحيين. وبعد الانتصار الكبير الذى حققه المسلمون في الزلاقة (٤٧٩هـ/١٠٨٦م) قرر يوسف بن تاشفين تصفية الامراء المسلمين لانهم سبب الداء الذى نخر عظام مسلمي الاندلس. ثم خلصت الى القول – في الخاتمة – ان البربر قد أدوا دورا رائعا في صنع الانتصارات العسكرية خاصة في عهد محمد بن أبي عامر القوى الشخصية. وعندما انهارت الخلافة الاموية، استغل البربر قوتهم العسكرية، وتفاقم الوضع السياسي ليؤسسوا امارات مستقلة برزت على جميع الاصعدة سياسيا وعسكريا وثقافيا.

واعتمدت في كتابة بحثي على مجموعة من المصادر والمراجع الهامة التي يمكن تصنيفها الى المجموعات التالية:

١ ـ المصادر الاندلسية:

وهي معاصرة للاحداث في معظمها ككتابات الامير عبدالله الزيرى، والضبي، والحميدى، وابن بسام الشنتريني، والفتح بن خاقان، وابن الخطيب، وابن الابار، وغيرهم.

وقد استفدت من مذكرات الامير عبدالله الزيرى المسماة "كتاب التبيان" الذى كتبه بمنفاه في أغمات قرب مراكش ـ في كتابة الفصل الخاص بالدولة الزيرية، فهو يتضمن معلومات دقيقة حول هذه الدولة، غير واردة في المصادر الاخرى خاصة فيما يتعلق بالمرحلة الاخيرة من عمرها أي فترة حكم الامير عبدالله، وقد أسهب الامير في الحديث عن أسباب سقوط غرناطة بيد المرابطين، وزحفهم نحوها وأوضاع المدينة قبيل استسلامها، مشيرا الى سياسة التردد التي سادت القصر قبل اتخاذ القرار الخطير القاضي بتسليم المدينة للمرابطين، ثم أطنب في وصف عملية التفتيش والاستجواب التى تعرض لها الامير عبدالله وأمه على يد الجيش المرابطي قصد استصفاء أموالهم وذخائرهم، قبل سوقهم الى أغمات حيث قضيا بقية عمرهما هناك. كما قدم الكتاب لمحة عن تاريخ الدولة الزيرية منذ توجه زاوى بن زيرى بن مناد الى الاندلس واستقراره بغرناطة، وعهد باديس بن حبوس الذى يعتبر أقوى مرحلة في عمر الدولة وبالرغم من أهمية الكتاب التاريخية فقد استعملته بحذر لانه يمثل وجهة نظر الاسرة الحاكمة.

أما كتابا الضبي والحميدى وهما على التوالي "بغية الملتمس" "وجـذوة المقتبس "فقد استفدت مقدمتيهما المخصصتين لانهيار الخلافة الاموية بالاندلس في نهاية القرن الرابع الهجرى وما نجم عن ذلك من فوضى ثم انقسام الاندلس الى عدة طوائف.

كما أفادني كتاب الذخيرة لابن بسام الشنتريني في الكتابة حول الدولة الزيرية بغرناطة، كالمعركة الحاسمة التي جرت بين المرتضي وزاوى بن زيرى والتي أسفرت عن انتصار هذا الاخير وبالتالي تدعيم نفوذ البربر بالاندلس، كما شرح شرحا وافيا وصول حبوس بن ماكسن الى الحكم، والمعركة التي جرت بين

باديس بن حبوس وزهير العامري حاكم ألمرية سنة ٤٢٩هـ / ١٠٣٨م وغيرها من الاحداث الهامة المتعلقة بالدولة الزيرية، وفضلا عن ذلك فقد تضمن المصدر معلومات هامة حول تاريخ بني حمود (أصلهم واستقرارهم بالاندلس) وحول العلاقة بين بني الافطس (أمراء بطليوس) وبني عباد (أمراء اشبيلية)، وهي علاقة سادها العداء لفترة طويلة.

وبالنسبة لكتاب أعمال الاعلام لابن الخطيب، فهو كتاب شامل أفادني في كتابة معظم فصول البحث وخاصة في الكتابة حول البيوت البربرية الصغيرة التي كانت تدور في فلك أمراء البربر الاقوياء.

أما كتاب الحلة السيراء لابن الابار فقد استفدت منه في كتابة الفصل الاول وخاصة حول شخصية جعفر بن عثمان المصحفي، وحول الامارات العربية كبني عباد باشبيلية وبني جهور بقرطبة، وبني صمادح المرية وكذلك حول سقوط امارة بني الافطس في يد الجيش المرابطي.

كما أطلعت على مصادر اندلسية أخرى عامة ككتاب قلائد العقيان للفتح بن خاقان وقد كتب بأسلوب أدبي غارق في الذاتية، غير أنه لا يمكن الاستغناء عنه باعتباره مصدرا معاصرا للاحداث. فضلا عن كتاب صلة الصلة لابن الزبير وغيرها من المصادر العامة.

٢ ـ المصادر المغربية:

وهي كتابات ابن عذارى (البيان) وابن خلدون (العبر) والمقرى (نفح الطيب) وابن أبي زرع (روض القرطاس) وعبدالواحد المراكشي (المعجب)، وبالرغم من أن هذه الكتب. أقل غزارة من حيث المعلومات المتعلقة ببحثي عن الاولى ـ باستثناء كتاب البيان ـ فانها أوفر حظا منها من حيث العرض.

ويعتبر كتاب البيان لابن عذارى أهم مصدر مغربي لبحثي لشمولية وعمق الجزء الثالث منه الذى خصصه المؤرخ لفترة عصر ملوك الطوائف من أواخر عهد العامريين الى عصر الانقسام السياسي. ويختلف هذا المصدر عن غيره من المصادر المغربية بغزارة المادة التي يتضمنها.

أما المؤرخ ابن خلدون فقد أفادني في الكتابة حول الدولة البربرية ومحمد بن أبي عامر في حين استفدت من كتاب روض القرطاس لابن أبي زرع في الكتابة حول معركة الزلاقة التي توسع المؤرخ في سرد أخبارها. أما كتاب نفح الطيب للمقري فهو شامل أيضا أفادني في جل فصول البحث، وهو كثير النقل من المصادر الاندلسية المتعددة. أما عبدالواحد المراكشي فقد اعتمد كثيرا على ذاكرته في تدوين كتابه (المعجب) لذلك خانته الذاكرة في الكثير من الاحداث التاريخية واستفدت منه في كتابة الفصل الاول والاخير.

٣ ـ المصادر الشرقية:

ومن أهمها كتاب الكامل لابن الاثير وينم كتابه عن اطلاعه الواسع وفهمه العميق لتاريخ الاندلس السياسي بالرغم من مشرقيته واقامته بالمشرق.

٤ ـ المراجع:

وهي على نوعين: المراجع العربية ككتابات محمد عبدالله عنان والدكتور احمد بدر، وعبدالحميد العبادي، والسيد عبدالعزيز سالم وغيرها.

أما المراجع الاجنبية فمن أهمها كتابات: راينهارت دوزي، وليفي بروفنسال، ويوسف أشباخ وغيرها.

وبالنسبة للصعوبات والمشاكل التي واجهتني أثناء انجاز البحث فانه ليس من الضروري ذكرها لانها من طبيعة البحث العلمي تواجه كل الباحثين والمؤرخين.

وأخيرا أقدم شكري الجزيل لأستاذي المشرف الدكتور: سامي سلطان سعد، ولجميع من تفضل وقدم لي يد المساعدة من قريب أو بعيد.

والله ولي التوفيق

فراد محمد أرزقي

الـفصـل الاول
البربر في الاندلس قبل عهد ملوك الطوائف
(٣٥٠هـ – ٣٩٩هـ / ٩٦١م – ١٠٠٨م)

ـ عبور البربر الى الاندلس.
ـ البربر في عهد الخليفة الحكم المنتصر ٣٥٠ – ٣٦٦هـ / ٩٦١ – ٩٧٦م.
ـ الصراع بين جعفر المصحفي البربرى ومحمد بن أبي عامر القحطاني.
ـ اعتماد محمد بن ابي عامر على عنصر البربر في اصلاح الجيش.
ـ دور البربر في انهيار الخلافة الاموية بالاندلس.
ـ انقسام الاندلس الى ما عرف باسم ملوك الطوائف.

مما لاشك فيه أن الاحداث السياسية في الاندلس اقترنت بنشاط بربر شمال افريقيا الى حد بعيد، منذ أن دخلت تلك البلاد في حوزة المسلمين في أواخر القرن الاول الهجرى، الموافق الثامن الميلادى على يد القائد العربي موسى بن نصير ـ حاكم افريقية وقتذاك ـ والقائد البربرى طارق بن زياد (١)٠

وكان من الطبيعي أن تنفتح أبواب الاندلس للبربر أكثر من غيرهم بحكم قرب موطنهم منها واتصالهم السابق بها٠ وقد شجعتهم الخصائص الطبيعية المشتركة، كوحدة المناخ ووجود السلاسل الجبلية في كل من الاندلس والمغرب،

(١) ـ كان يحكم اسبانيا منذ القرن الخامس الميلادى القوط الغربيون (WISIGOTHS) وعاصمتهم طليطلة (TOLEDE) ٠ وكان ملكهم لذريق (RODRIGUE) مغتصبا للعرش من الملك الشرعي وقلة ابن فيطشه (WITIZA) (ACHILA) ٠ وقد أرسل موسى بن نصير أولا حملة طلائع مؤلفة من مائة فارس وأربعمائة راجل بقيادة طريف بن مالك (٩١هـ / ٧١٠م) ثم كلف موسى بن نصير حاكم طنجة طارق بن زياد بقيادة جيش الفتح الذى قيل بأنه كان مؤلفا من سبعة آلاف كلهم من البربر فيما عدا ثلاثمائة من العرب٠ وقد أبحر جيش طارق بن زياد في عام ٩٢هـ / ٧١١م، وعندما استولى على الجزيرة الخضراء أرسل اليه موسى بن نصير نجدة من خمسة آلاف جندي٠ ولم يلبث طارق بن زياد أن انتصر على لذريق قرب بحيرة خندة (JANDA) في المنطقة التى يسميها العرب وادي لكة تحريفا للكلمة الاسبانية (LAGO) ومعناها بحيرة، ثم دخل طارق العاصمة طليطلة عام ٩٣هـ / ٧١٢م٠ وفي نفس العام وصل موسى على رأس جيش من ثمانية عشر ألفا جلهم من العرب، وتمكن من قتل لذريق في معركة وقعت بالقرب من بحيرة تمامس عام ٩٤هـ / ٧١٣م٠ وتم على يديه وطارق استكمال فتح شبه الجزيرة٠ ولمعرفة التفاصيل أرجع الى:
ـ ابن عذارى: البيان ج٢ ص ٩ وما بعدها٠
ـ أخبار مجموعة في فتح الاندلس لمؤلف مجهول ص ٥ وما بعدها٠
ـ ابراهيم علي: المسلمون في أوروبا ص ١٢٥-١٣٦ أحمد بدر: دراسات في تاريخ الاندلس ج١ ص ٤٠
ـ وأنظر أيضا: ـ

Encyclopédie Glates, V: 11 p. 11100.
– Michel MOURRE: Dictionnaire Encyclopédique d'histoire. p. 1621.

على الهجرة زرافات ووحدانا. واستقر هذا العنصر في الجبال وخاصة الجنوبية منها لان البربر اعتادوا حياة الجبال حيث كانوا يمارسون غراسة الاشجار، وخاصة الزيتون، وتربية الحيوانات، ونقلوا معهم هذه الاعمال الى مستقرهم الجديد، ولم يستقر منهم في السهول ومدنها الا عدد قليلا لجهلهم لفنون الزراعة، واذا قلنا بتمركزهم في الجبال الجنوبية القريبة من موطنهم الاصلي فان ذلك لا ينفي وجودهم في الجهات الاخرى حيث توجد الجبال لكن بنسب قليلة(٢). وقد نجم عن تمركز البربر في الجنوب اعطاء أسماء قبائلهم للاماكن التي استقرت بها، فقد أطلق اسم قبيلة جزولة على المنطقة الممتدة من غرناطة الى البحر فاصبحت تسمى سيرالوس جزول (LA SIERRA DES LOS GAZULES) (٣). وعلى العموم فان هجرة البربر الى الاندلس قد ظلت قوية الى الفتح الموحدي (ق ٦هـ/ ١٢م) مما جعلهم يشكلون طائفة كبيرة وقوية وكان ذلك عاملا بارزا في تدعيم وجود المسلمين في شبه جزيرة ايبريا، وفي صمود غرناطة ((GRENADE)) الى أواخر القرن الخامس عشر الميلادي(٤).

واذا كان البربر الذين استقروا في السهول أو قريبا منها قد انصهروا في المجتمع الاندلسي عن طريق المصاهرة وبحكم اختلاطهم بالعنصر العربي لان لغتهم الامازيغية كانت غير مكتوبة، فان الاغلبية المستقرة بالجبال قد ظلت محتفظة بشخصيتها البربرية نقية(٥). ومن بين الاشياء التي حملوها معهم، طريقة التربية الجماعية للغنم التي احتفظ بها الاسبان بعد انتصارهم على المسلمين. ولما كانت السهول العليا لشمال افريقيا الموطن الاول لتربية الغنم ذات الصوف الرفيع الغزير، فقد نقل البربر معهم هذه السلالة الى الاندلس، ولا يزال الغنم البربرى يحمل بالاسبانية اسم مرينو (: MERINO) وهو اسم مشتق فيما هو مرجح من اسم قبيلة بني مرين الطاقنة في المغرب الاقصى، ونقل البربر أيضا الى تلك الجهات خيولهم البربرية مما ساعد على تهجين الخيول الاسبانية وتحسين سلالتها(٦). ومن أوجه التاثير البربرى الاخرى في جنوب

---

(٢) ـ أنظر: El Provençal l'Espagne Musulmane du Xème siècle p. 25-26. –

(3) ـ أنظر: El Provençal l'Espagne Musulmane du Xème siècle p. 27. –

(٤) ـ موريس لومبارد: الاسلام في مجده الاول ترجمة اسماغيل العربي، ص ١٢٠ ـ ١٢١. وأنظر أيضا: Encyclopédie Clartes V: 11 p. 11100. –

(٥) ـ موريس لومبار: الاسلام في مجده الاول ص ١٤٦.
ـ عبدالعزيز عتيق: الادب العربي في الاندلس. ص ١٣٤.

(٦) ـ موريس لومبار: الاسلام في مجده الاول. ص ١٢٣ـ٢٥٣.

الاندلس أن فقهاء المدن يرتدون العمامة ـ وهي كثيرة الانتشار في المغرب ـ في حين ارتدى زملاؤهم في قرطبة القلنسوة وهي شرقية الاصل (٧)٠

واذا كان السواد الاعظم من البربر قد استقر بالجنوب فان هناك بعض الاسر التي سكنت قرطبة، واقبل أفرادها على الدراسة في مدارسها العربية، وذابوا في المجتمع العربي، وكان منهم الشعراء الكبار، كابن الدراج القسطلي، كما ظهر فيهم العلماء ورجال الدين وكتاب المحاكم والقادة والولاة والقضاة، ومن أشهر هؤلاء: الفقيه المالكي يحي بن يحي الليثي الذى عاش في عهد الحكم الاول (١٨٠ ـ ٢٠٦ هـ / ٧٩٦ ـ ٨٢٢م) والقاضي منذر بن السعيد البلوطي (٨)، والقاضي محمد بن عبدالله بن أبي عيسى، وكثير بن وسلاس المصمودى، وعاشا في عهد الخليفة الناصر (٣٠٠ ـ ٣٥٠هـ / ٩١٢ ـ ٩٦١م)٠ وقد أشتهر ابن وسلاس المتوفي في صر ٣٣٩هـ / ٩٥٠م بغزازة علمه وجرأته الكبيرة في تطبيق الاحكام، وتولي بعض الوقت القضاء والصلاة بقرطبة ثم تولى القضاء خارجها بمدن جيان (JIAN) والبيرة (ELVIRA) وطليطلة (TOLEDE) (٩)٠ وفي الميدان العسكرى برز منهم قادة كبار تبوأوا مناصب في النصف الاول من القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى، أمثال ثابت بن ورزدان، عبدالملك بن سكان بن ميمون وأحمد بن محمد بن الياس، ومحمد بن سليمان بن وانسوس، وهو من أصل مكناسة وتولى أبوه الوزارة في عهد الامير عبدالله (٢٧٥ ـ ٣٠٠هـ / ٨٨٨ ـ ٩١٢م) (١٠)٠

ومع وصول الحكم المنتصر الى الحكم (٣٥٠ ـ ٣٦٦هـ / ٩٦١ ـ ٩٧٦م) زادت قبضة البربر احكاما على المناصب الادارية والجيش٠ وكان لاشراف عثمان بن نصر ـ وهو من بربر بلنسية (VALENCE) ـ على تربية الحكم المستنصر أثر كبير في ذلك ولاشك٠ فما أن تقلد الحكم الخلافة حتى اتخذ جعفر بن عثمان المصحفي

---

(٨) ـ أنظر: Ibid : Histoire de l'Espagne Musulmane T. III. p.171. –

(٩) ـ الخشبي: قضاة قرطبة ص ١٧٢٠

(١٠) ـ أنظر: E. Levin Provençal : l'Espagne Musulmane du Xème siècle p. 110. --

وهو ابن مربيه عثمان بن نصر، كاتبا له ووزيرا، ثم عينه في منصب الحجابة(١١)، أعلى منصب يصبوا اليه كل سياسي وله صلاحيات واسعة.

هذا فيما يتعلق بالمناصب الادارية. أما في الميدان العسكري فقد تضافرت عدة عوامل جعلت الحكم المستنصر يستقبل القوات البربرية التي دعم بها جيوشه باستمرار. ومن بين هذه العوامل وصول بعض القبائل البربرية قصد الجهاد ضد الاسبان المسيحيين، وتخلف بعض أفرادها في الاندلس بعد انتهاء المعارك. وبرز في هذا الميدان سكان شمال المغرب الاقصى الذين كان يسمح لهم موقعهم الجغرافي القريب من أرض الاندلس بالسفر اليها ثم العودة منها بالغنائم.

وكان جعفر بن عثمان المصحفي قبل ذلك أي في عهد الخليفة الناصر (٣٠٠ـ ٣٥٠هـ / ٩٢٠ ـ ٩٦١م) كاتبا له ثم حاكما على جزيرة ميورقة (MAJORQUE). وقد سمح له منصبه الجديد بتنصيب أفراد عائلته في المناصب السامية كتعيين أبنائه على الشرطة الوسطى والعليا(١٢)، أما حفيده فقد ولاه منصب صاحب الخيل. وقد ظل جعفر بن عثمان المصحفي في منصب الحجابة حتى توفي صانع

---

(١١) ـ الحاجب موظف سام لدى الخليفة تتمثل مهامه في ادخال الناس اليه. ظهر هذا المنصب في عهد معاوية لخوفه على نفسه من مؤامرات أعدائه. وفي الاندلس كانت مهام الحاجب تتمثل في حجب الخليفة عن الخاصة والعامة، وترتيب دخول الوزراء والموظفين السامين اليه. وكان اختصاصه يشمل الشؤون المدنية والعسكرية. وأشهر من تولى هذا المنصب بالاندلس جعفر المصحفي البربري ومحمد بن أبي عامر المنصور، وفي عهد ملوك الطوائف احتفظ الامراء بهذا المنصب لانفسهم. وأنظر:
ـ عبدالحميد العبادي: المجمل في تاريخ الاندلس ص ١٤٥.
ـ علي ابراهيم حسن: التاريخ الاسلامي العام ص ٥٢١ـ٥٢٢.
ـ حسن ابراهيم حسن: النظم الاسلامية ص ١٤٩.
ـ ابن حيان: المقتبس ص ٢٠٤ ـ ٢١١ـ ٢٣٠.

(١٢) ـ ظهرت الشرطة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ثم نظمها علي بن أبي طالب. ويتولى صاحب الشرطة حفظ الامن وتنفيذ أحكام القاضي ومحاربة الامراض الاجتماعية كالزنا والخمر، فكان بمثابة قاضي الجنايات الشخصية يستطيع الامر بالقتل دون استئذان الامير. وأهم وظائف الشرطة هي صاحب الشرطة هي صاحب الشرطة العليا ويهتم بأمور الشخصيات السامية والموظفين الكبار وأهل الجاه، وصاحب الشرطة الصغرى ويهتم بأمور عامة الناس (المجمل في تاريخ الاندلس عبدالحميد العبادي ص ١٤٧).

نعمه، فوجد في محمد بن أبي عامر منافسا قويا قوض أركان نفوذه وسلطانه (١٣) كما سيجيء ٠

على أن أهم هذه العوامل ولاشك يتمثل في الصراع الذى احتدم وقتذاك بين الاموبين والفاطميين على ساحة المغرب الاسلامي والذى وقفت فيه قبيلة زناتة الى جانب قرطبة على حين ناصرت قبيلتا صنهاجة وكتامة الفاطميين٠ وفي هذا الاطار تندرج هجرة يحي وجعفر ولدي علي الى الاندلس٠ وكان أبوهم علي بن حمدون من أنصار الشيعة الفاطميين الذين كلفوا ببناء مدينة المسيلة (M'SILA)، وظل الابناء موالين لهم الى أن اختلفوا مع زيرى بن مناد عامل الشيعيين على المغرب، فهرب جعفر ويحي بأهلهما وأموالهما الى بني خزر أمراء زناتة سنة ٣٦٠هـ / ٩٧٠م، ثم شقا معهم الصحراء لمحاربة زيرى بن مناد الذى قتل في المعركة٠ واثر ذلك راسل جعفر بن علي الخليفة الاموى معلنا له ولاءه ويطلب منه الاذن بالهجرة الى الاندلس(١٤) ٠ فكان له ما أراد ودخل قرطبة مع أمراء بني خزر القادمين برأس زيرى بن مناد ورؤوس كبار رجاله٠ وقد خص الخليفة الاموى حلفاءه الوافدين من المغرب باستقبال كبير دعالة عدة شخصيات، كما أرسل لهم عند نزولهم الى البر الاندلسي بالخيول والبغال والهوادج والملابس، وكان دخولهم الى قرطبة من الايام المشهودة للمدنية (١٥) ٠

ثم سرعان ما أعلن الحسن بن قنون (١٦) ٠ نصرته للدعوة الشيعية فارسل

(١٣) ــ ابن الابار : الحلة السيراء ج٢ ص ٢٥٧٠
وانظر أيضا : – E. Levin Provençal : l'Espagne Musulmane du Xèm siècle p. 109.
(١٤) ــ ابن عذارى : البيان المغرب ج٢ ص٣٦٠٠
(١٥) ــ نفس المصدر ص ٣٦٢–٣٦٣٠
ــ ابن حيان : المقتبس تحقيق عبدالرحمن علي الحجي ص ٣٢٠
(١٦) ــ هو القاسم محمد بن القاسم بن ادريس، وهو آخر ملوك الادارسة بالمغرب الاقصى٠ وكان يتأرجح بين موالاة الامويين بالاندلس والفاطمين بالمغرب٠ ولما غزا بلكين بن زيرى بن مناد المغرب بايعه الحسن بن قنون فحقد عليه الحكم المستنصر، وأرسل بقائده محمد بن القاسم لمحاربته سنة ٣٦٢هـ / ٩٧٢م فجرت بينهما معركة قرب طنجة أسفرت عن قتل محمد بن القاسم فاعتصم رجاله بسبتة وعلى أثر ذلك أرسل الحكم المستنصر قائده غالب الذى انتصر على حسن بن قنون وأخذه معه الى الاندلس الاستقصا الناصرى ج٢ ص ١٩٧–٢٠١٠

الحكم لقتاله قائده محمد بن قاسم وقائد البحرية عبدالله بن رياحين واذا كان سقوط طنجة في يد الامويين قد تم بسرعة ودون عناء في سنة ٣٦١ هـ / ٩٧١م ، فان انسحاب الحسن بن قنون الى المناطق الجبلية قد كلف الجيش الاموى خسائر فادحة رغم انهزامه في كثير من المعارك كمعركة دلول ، وقد أمر محمد بن القاسم بهدم أسوار المدينة واحراق منازلها لعل ذلك يكون عبرة للبربر الخارجين عن نفوذ قرطبة ثم استباحها الجيش، بيد أن سرعان ما دارت الدوائر على القائد الاموى، فقتله الحسن بن قنون بفحص مهران سنة ٣٦٢هـ / ٩٧٢م . وقتل معه حوالي خمسمائة فارس وألف جندى (١٧) . غير أن ذلك لم يرض بعض أنصار الحسن بن قنون الذين رأوا أن مصلحتهم تكمن في موالاة حاكم قرطبة. وهكذا قدم حوالي سبعين رجلا من قبيلة مصمودة طاعتهم للحكم بقرطبة. ولما تفاقم خطر الحسن بن قنون أرسل الحكم قائده غالب بن عبدالرحمن لتقليم أظافره، وسرعان ما أثمرت هذه الحملة بحيث قدم قنون بن ادريس حاكم فاس الى قرطبة مقدما ولاءه للخليفة، وأرسل الحكم عشرة آلاف دينار لغالب ليستعملها في شراء ضمائر أنصار الحسن بن قنون ، غير أن ذلك لم يحل دون تدعيم القائد غالب بمدد عسكرى آخر بقيادة الوزير يحي بن محمد التجيبي ، وأدى ذلك كله الى الحاق سلسلة من الهزائم بقوات الحسن بن قنون مما جعله يفقد الكثير من أنصاره الذين كانوا يفدون الى قرطبة أو يرسلون اليها بكتبهم معلنين ولاءهم للخلافة الاموية، لذا لم يجد بدا هو الاخر من الانضواء تحت لواء الحكم المستنصر (١٨) .

وعلى أثر ذلك رجع القائد غالب الى الاندلس سنة ٣٦٤هـ / ٩٧٤م مصطحبا الحسن بن قنون وأتباعه بني ادريس الحسينيين، واستقبل الحكم النبأ بفرح عظيم فأعد المنازل لاستقبال ابن قنون الذى وصل الى مدينة قرطبة في أول

---

(١٧) ـ ابن أبي زرع : روض القرطاس ص٥٦ . (ذكر موقع المعركة باسم فحص بني مصرخ) .
ـ ابن عذاري : البيان المغرب ج٢ ص ٣٦٧ .
ـ أبو العباس الناصري : الاستقصا ج١ ، ص ٢٠٠ .

(١٨) ـ ابن أبي زرع : روض القرطاس ص ٥٧ .
ـ أبو العباس الناصري : الاستقصا . ج١ ص٢٠٠-٢٠١ .
ـ ابن عذاري : البيان المغرب . ج٢ ص٣٦٩ .

محرم عام ٣٦٤ هـ / ٩٧٤م. ولم يلبث الحكم أن سجله في ديوان العطاء فأصبح ينفق عليه وعلى رجاله البالغ عددهم سبعمائة رجل (١٩).

وبعد سنة من ذلك أحس الحكم المستنصر بوطأة نفقات نزلائه الجدد، بالاضافة الى سعي حاشيته للتخلص منهم، ومن ثم أمر بطردهم من قرطبة، فغادر الحسن ابن قنون الاندلس عن طريق ميناء ألمرية (ALMERIE) سنة ٣٦٥هـ / ٩٧٥م في طريقه الى تونس التي لم يلبث أن غادرها الى القاهرة حيث نزل ضيفا على الخليفة الفاطمي الثاني بهذه المدينة، العزيز بالله نزار بن المعز العبيدى (٣٦٥ – ٣٨٦هـ / ٩٧٥ – ٩٩٦م). وقد وعده العزيز بالمساعدة التي قدمها له سنة ٣٧٣هـ / ٩٨٤م، وأمر عامله على المغرب بلكين بن زيرى بن مناد (٣٦٣ – ٣٧٣هـ / ٩٧٣ – ٩٨٣م) بشد أزره فزوده بثلاثة آلاف فارس دخل بهم الى المغرب الاقصى حيث التف البربر حوله من جديد، ولكن محمد بن أبي عامر تمكن من قتله سنة ٣٧٥ هـ / ٩٨٥م (٢٠).

وهكذا نرى أن اضطراب حبل الامن في المغرب الاسلامي في عهد الحكم المستنصر قد أدى الى دفع الكثير من الاسر البربرية الى الهجرة نحو الاندلس حيث دخلت في صفوف قوات الخليفة الذى أدرج أيضا فرسان الحسن بن قنون ضمن قواته كما جند فرسان جعفر بن علي وأخيه يحي بعد دخولهما الى الاندلس، واستقدم من المغرب بني برزال ((LES BIRZALIDES)) وفرقة بني دمر (BANU DAMMAR)) وبعض العناصر الاباضية، وشكل منهم قوة قدر عدد رجالها بسبعمائة فارس، وظل يوليها عنايته ويغمرها بكرمه الى أن مات (٢١). لذلك يعتبر عهد الحكم بداية للسياسة الاعتماد على البربر في تشكيل الجيوش، وهي السياسة التي سلكها محمد بن أبي عامر من بعده على نطاق أوسع.

---

(١٩) ـ ابن أبي زرع: روض القرطاس. ص٥٧ – ٥٨.
ـ أبو العباس الناصرى: الاستقصا. ج١ ص ٢٠٢.
(٢٠) ـ ابن أبي زرع: روض القرطاس.ص ٥٨ـ٥٩ (ذكر الخليفة الفاطمي باسم نزار بن معد).
ـ أبو العباس الناصرى: الاستقصا. ج١ ص ٢٠٢ـ٢٠٤.
(٢١) ـ أنظر: – E. Levin Provençal : Histoire des Musulmans d'Espagne T. III. p. 81.
ـ ابن حيان: المقتبس تحقيق عبدالرحمن علي الحجي ص ٤٤.

دور جعفر المصحفي البربري في تولية الخليفة
هشام بن الحكم (المؤيد)

وبـ ما توفي الحكم المستنصر سنة ٣٦٦هـ / ٩٧٦م أخفى خادماه، فائق وجوذر - وهما من الصقالبة (٢٢) - وفاته حتى عن صاحبه البربرى جعفر المصحفي بهدف توليه المغيره أخي الحكم دون مواجهة المشاكل، واشترطا على المغيرة اقرار هشام بن الحكم في ولاية العهد، ثم اقترح جوذر على زميله فائق قتل الحاجب جعفر المصحفي حتى لا يقف حجر عثرة أمام مخططهما، لكن فائق رفض هذا الرأى بحجة عدم توفر السبب الذى يستدعي فتح العهد الجديد بسفك الدماء، ثم أليس من المحتمل أن يوافقهما جعفر المصحفي فيما بريانه مصلحة للخلافة الاموية؟

وكان أن أخبر الخادمان جعفر المصحفي بوفاة الحكم، وباستقرار رأيهما على تولية أخيه المغيرة لصغر سن هشام بن الحكم. وبالرغم من عدم رضاء جعفر على رأيهما فقد أبدى لهما موافقته حتى لا يثير الشكوك حوله، وبعد ان فارقهما أسرع الى مقابلة كبار الدولة أمثال زياد بن الافلح، ومحمد بن أبي عامر وهشام بن محمد بن عثمان، وبني برزال الذين كانوا في بطانة الخليفة، فنعى لهم الحكم المستنصر وأخبرهم بعزم الصقالبة على نكث بيعة هشام، موضحا لهم أن مصلحة الجميع تكمن في وصول هشام بن الحكم الى الحكم. وعندما أشار عليه الحاضرون بضرورة قتل المغيرة، كلف محمد بن أبي عامر وبعض الجند بأداء المهمة فتوجهوا على الفور الى دار المغيرة وقتلوه شنقا (٢٣).

ولم يلبث جعفر المصحفي أن أجلس في ٤ صفر عام ٣٦٦هـ / ٩٧٦م. هشام بن الحكم ليبايع بالخلافة ولكن قلبه لم يكن مطمئنا الى الصقالبة الذين كان يرى

---

(٢٢) - الصقالبة هم سبي السلاف وأوروبا بصفة عامة أطلق عليهم المسلمون اسم الصقالبة وكانوا يردون الى الاندلس رقيقا في مختلف الاعمار من الجنسين ثم يكونون كل حسب المجال الموجه اليه، ويلقى الذكور تدريبات عسكرية، فظهر منهم الادباء والوزراء والقادة ورجال الدولة في شتى المجالات (أنظر): Encyckopédie Chrtes - V. 11; p. 11100.

(٢٣) - ابن عذارى: البيان المغرب ج٢ ص ٣٨٩-٣٩٠.

فيهم كل الخطر على حكم هشام فنسق جهوده مع محمد بن أبي عامر لاستئصال شأفة هذا العنصر. وقد أحس جوذر بما كان يحاك فآثر السلامة وقدم استقالته من خدمة الخليفة، على أن ذلك أثار تذمرا في أوساط الصقالبة وكان "درى الفتى" حاكم بياسة أشدهم شوكة، لذا أوعز جعفر المصحفي الى محمد بن أبي عامر بالتخلص منه، فألب الرعية ضده، وشكوا به وبعماله الى جعفر المصحفي الذى أطلع الخليفة على ما حدث ببياسة، فاستدعي "درى الفتى" الى مجلس الوزراء للتحقيق في أمره، وعندما دخل الى المجلس أحس بالخطر المحدق به فهم بالخروج لكن محمد بن أبي عامر حال دونه والباب فهجم دري الفتى عليه وكاد أن يقضي عليه لولا تدخل بني برزال الذين فاجأوه بسيوفهم فحمل الى داره مضرجا بالدماء ليلفظ أنفاسه الاخيرة في نفس اليوم (٢٤). أما فائق فقد فرض عليه التزام بيته قبل أن يستولى محمد بن أبي عامر على أمواله ونفيه الى الجزر الشرقية حيث مات. وبعد أن تخلص جعفر المصحفي من العناصر الصقلبية الخطيرة، جامل العناصر المتبقية منهم بتعيين صاحبهم ""سكرا"" على القصر معهدئا بذلك نفوسهم (٢٥).

انتصار محمد بن أبي عامر القحطاني على جعفر المصحفي البربرى

يعتبر محمد بن أبي عامر أعظم شخصيه سياسيه وعسكرية عرفتها الاندلس في النصف الثاني من القرن الرابع الهجرى الموافق للقرن العاشر الميلادى، فعلى الرغم من انتمائه الى بيت متواضع فقد تمكن من الاستئثار بالحكم طيلة عهد هشام ابن الحكم المستنصر بعد أن تخلص من منافسيه الواحد تلو الاخر.

ومحمد بن أبي عامر من اليمنية دخل جده الاول عبدالملك المعافرى الاندلس مع طارق بن زياد، وولد بقريه تركش (TORROX) الواقعة بمقاطعة الجزيره، وتعلم فى قرطبة، ثم فتح له مكتبا قرب باب القصر يكتب للناس الرسائل، وسمح له عمله هذا بالاحتكاك مع خدم القصر ثم حدث أن كلم أحد المعجبين به منهم الاميره صبح زوجة الحكم في شأنه، فاستدعته الى قصرها وعينته مديرا لاموالها وضياعها فأحسن ادارتها كما استمالها بالهدايا والتحف الثمينة، مما جعلها

---

(٢٤) ـ ابن عذارى: البيان المغرب. ج٢ ص ٣٩٢.
(٢٥) ـ نفس المصدر: ص ٣٩٤.

توسط لصالحه لدى روجها، فعينه متفشا للعملة، ثم رقاه الى توليه الزكاة والمواريث باشبيلية (SEVILLE) وفي سنة ٣٥٨هـ / ٩٦٨م٠ عينه قاضيا لاشبيلية ونيبلة (NEBLA) ليصبح في عام ٣٦١هـ / ٩٧١م٠ على رأس الشرطة الوسطى (٢٦)٠

وقبل وفاة الحكم المستنصر قام بتعيين محمد بن أبي عامر وزيرا لابنه هشام الذى سيخلفه في الحكم، وظل أثناء ذلك يخدم جعفر المصحفي الى أن توفي الحكم عام ٣٦٦هـ / ٩٧٦م٠ وعلى أثر ذلك أسهم بدور فعال في تنصيب هشام بن الحكم، وفى تقليم أظافر الصقالبة كما ذكرنا٠ وسمت منزلته لدى الرعية بعد أن أدى مهمة التصدى لتحرشات جند الاسبان المسيحيين ـ وهي المهمة التي كلفه بها جعفر المصحفي ـ بنجاح في بداية حكم هشام المؤيد٠ وكان هذا من أهم العوامل التي دفعت به الى التفكير في موضوع التخلص من جعفر المصحفي والاستئثار بالحكم (٢٧)٠

---

(٢٦) ـ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال الاندلس٠ ص ١٠٥٠
ـ المقرى: نفح الطيب الجزء الاول ص ٣٧٥ ـ ٣٧٦٠
ـ ابن خلدون: العبر المجلد الرابع ص ٣١٨٠
ـ المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص ٢٩ـ٣٠٠
ـ ابن الاثير: الكامل في التاريخ ج٧، ص ٨٣٠
ـ فيليب حتى: تاريخ العرب المطول ج٢ ص ٦٣٣٠
ـ وأنظر أيضا: E. Levin Provençal : l'Espagne Musulmane du Xeme siecle p. 108

(٢٧) ـ ابن خلدون العبر المجلد ٤ ص ٣١٩، المقرى: نفح الطيب ج١ ص ٣٧٦٠
ـ ابن الابار: الحلة السيراء ج١ ص ٢٥٧ـ٢٥٨٠
ـ فيليب حتى: تاريخ العرب المطول ج٢، ص ٦٣٣٠

وقد بدأ محمد بن أبي عامر في مساعده أقوى أحد؟ جعفر المصحفي ، وهو غالب قائد مدينة سالم (MEDINACELI م) ، ليرقى الى خطة الوزارتين (٢٨) ، مع تكليفه بالقيام بالحملات العسكرية الصيفية (الصوائب) (٢٩)

ولم يلبث محمد بن أبي عامر أن خرج في يوم عيد الفطر عام ٣٦٦هـ / ٩٧٧م للغزو في أرض الاسبان المسيحيين. وقد التقى مع غالب وجنده بمدينة محريط، ثم سار القائدان معا نحو حصن موله وفتحاه. وقبل افتراقهما أوصى غالب رفيقه بضرورة عزل جعفر المصحفي ليخلو له الجو، ثم عاد محمد بن أبي عامر اثر ذلك الى مدينة قرطبة بالغنائم والسبي مما جعل مكانته تزداد سموا لدى الخاصة والعامة، خاصة بعد ان دعمه غالب بالثناء لدى الخليفة عندما زار قرطبة منوها بالدور الايجابي الذي أداه محمد بن أبي عامر في صنع الانتصار. وسرعان ما قطف هذا الاخير ثمار نصره وذلك بتقليده ادارة المدينة (قرطبة) بدلا عن جعفر المصحفي (٣٠). وهكذا بدأ هذا الاخير يسير بخطى سريعة نحو الاختفاء أمام تعاظم مكانة محمد بن أبي عامر، وقد حاول الصمود بتحسين علاقاته مع القائد غالب، ولتحقيق ذلك طلب يد ابنة غالب لابنه، وقبل غالب ذلك، غير أن محمد بن أبي عامر عندما سمع بالخبر طلب يد هذه الفتاة لنفسه وعقد عليها. وحدث على اثر ذلك أن خرج محمد بن أبي عامر في غزوة جديدة في صفر ٣٦٧هـ / ٩٧٧م، وسار معه صهره غالب الى حصني المال، ورنيق ومدينة سلمنقة (SALAMANQUE : ؟) ، وعاد كعادته الى قرطبة مظفرا ، فكافأه الخليفه هشام المؤيد بترقيته الى خطة الوزارتين مع منحه مرتب الحجابة فأصبح بذلك في مرتبة واحدة مع غالب (٣١).

ولم يلبث الخليفة أن رقى محمد بن أبي عامر الى خطة الخلافة (٣٢) . مع جعفر المصحفي وفي يوم الاثنين ١٣ شعبان ٣٦٧هـ / ٩٧٨م، أمر الخليفة بالقاء

---

(٢٨) — وزير السيف والقلم (أنظر: النظم الاسلامية د.حسن ابراهيم حسن ص ١٤٩.

(٢٩) — ابن عذارى: البيان المغرب ج٢ ص٣٩٥، ابن خلدون: العبر المجلد ٤ ص ٣١٩.

(٣٠) — ابن عذارى: البيان ج٢ ص ٣٩٨، ابن خلدون: العبر المجلد ٤ ص ٣١٩.

(٣١) — ابن عذارى: البيان المغرب ج٢، ص ٣٩٨.
— المقرى: نفح الطيب ج١، ص ٣٧٦.

(٣٢) — خطة الخلافة المذكورة هي خطة الحجابة التي رقي اليها.

القبض على جعفر بعد عزله عن الحجابة. وشمل الاعتقال أفراد أسرته، وعزل الجميع عن أعمالهم، وجردهم محمد بن أبي عامر من أموالهم ونكل بهم أيما تنكيل، وكان يصحب معه في غزواته جعفر المصحفي لينتقم منه قبل أن يزج به في السجن حيث توفي سنة ٣٧٢هـ / ٩٨٣م٠(٣٣)٠ وبذلك يكون محمد بن أبي عامر قد تخلص من أقوى رجال الدولة المنافسين له، وقد استطاع تحقيق ذلك باستغلال ضعف هشام المؤيد الذي كان وجوده شكليا، وباستعمال ما يتمتع به من نفوذ لدى الاميرة صبح أم هشام المؤيد، فضلا عن استعمال القائد غالب كما أسلفنا٠

وبعد جعفر المصحفي جاء دور غالب ليقضي عليه محمد بن أبي عامر بنفس الاسلوب الذي استعمله ضد الاول، أي ضرب رجال الدولة بعضهم بالبعض الاخر، وهكذا استعان بجعفر بن علي بن حمدون وبرجاله البربر فى القضاء على صهره غالب، ليقضي فيما بعد على جعفر بن علي باستعمال عبدالرحمن بن محمد بن هشام التجيبي، وابن ذي النون وغيرهما(٣٤)٠ وقد لخص لنا ابن خلدون هذه السياسة بقوله "٠٠٠ ثم تجرد لرؤساء الدولة ممن عانده، وزاحمه فمال عليهم وحطهم عن مراتبهم، وقتل بعضها ببعض٠ كل ذلك عن أمر هشام وخطه وتوفيعه، حتى استأصل بهم وفرق جموعهم (٣٥)"٠

وهكذا استحوذ محمد بن أبي عامر على مقاليد الحكم، أما الخليفة هشام المؤيد فلم يبق له سوى الدعاء على المنابر بعد أن جرده ابن أبي عامر من كافة سلطاته ومنع الناس من زيارته٠ وقد كتب محمد بن أبي عامر اسمه في السكة والطرز وصار يصدر الاوامر ويكتبها باسم الخليفة القابع في غرفته في شبه اقامة جبرية(٣٦)٠

(٣٣) ـ المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب ٠ ص ٢٦٠
ـ ابن عذارى: البيان المغرب ج٢، ص ٣٩٩٠
ـ ابن الابار: الحلة السيراء، ج١، ص ٢٥٩٠
(٣٤) ـ المقرى: نفح الطيب ج١، ص ٣٧٦٠
ـ ابن خلدون: العبر المجلد الرابع، ص ٣١٩٠
(٣٥) ـ ابن خلدون: العبر المجلد الرابع، ص ٣١٩٠
(٣٦) ـ المقرى: نفح الطيب ج١، ص ٣٧٤٠
ـ ابن خلدون: العبر المجلد الرابع، ص ٣٢٠٠
ـ فيليب حتي: تاريخ العرب المطول ج٢، ص ٦٣٤٠

اصلاحات محمد بن أبي عامر العسكريه
ومكانه البربر فيها

كان الخليفة الحكم المستنصر قد سلك سياسه عسكرية جديدة، تمثلت في ادخال عنصر البربر في الجيش بشكل فعال. ولما سيطر محمد بن أبي عامر على مقالد الحكم في قرطبة نسي هذه السياسة التي شهد نتائجها الايجابية بشكل جلي على ساحة المعركة. وكانت رغبته الجامحة في احكام قبضته على الجيش تدفعه الى التفكير في تقليم أظافر العنصرين الاساسيين فيه، وهمـــــا "الارستقراطية" العربية والصقالبة. ورأى أن تحقيق ذلك منوط بالاعتماد على عنصر جديد، فرر أن يكون البربر لاسباب موضوعية أهمها قرب موطنهم من الاندلس وعليه فاستقدامهم لا يكلف أموالا كثيرة. وعلى أثر ذلك شرع في استقدام القبائل والجماعات البربرية الواحدة تلو الاخرى عبر مواني الجزيرة (ALGEZIRAS)، ومالقة (MALAGA) والمرية (ALMERIF) الى قرطبة. وهكذا وصلت اليها قوات حسن بن قنون ــ الثائر في وجه الامويين ــ في سنة ٣٧٥هـ / ٩٨٥م، ثم وصل أبو يداس بن دوناس من بني يفرن سنة ٣٨١هـ / ٩٩١م. أما أمراء صنهاجه الزيريين فقد دخلوا الاندلس بزعامة كبيرهم زاوى بن زيرى بن مناد قبل وفاة محمد بن عامر بسنوات قليلة. وكان هذا الاخير يعتمد في جلب هؤلاء على وفود يرسلها الى المغرب الاسلامي لاخبار البربر أن باب الجهاد مفتوح لمن أراد القيام به في الاندلس(٣٧).

وأهم ما نميز به الاصلاح العسكرى الذى قام بن محمد بن أبي عامر، ادماج عناصر الجيش بعضها بالبعض الاخر منهيا بذلك النظام القبلي الذى كان يخضع له الجيش الى ذلك الحين. وكان ذلك نقطة تحول في تنظيم الجيوش الاسلامية، ثم جعل القيادة للبربر بعد ابعاد "الارستقراطية" العربية الاندلسية عنها (٣٨). وكان من نتائج هذا الاصلاح أن أصبح جيشه على جانب كبير من القوة، ولا يشق

---

(٣٧) ــ ابن خلدون: العبر، المجلد الرابع، ص ٣٢٠.

ــ فيليب حتى: تاريخ العرب المطول، ج٢، ص ٦٣٤.

وانظر أيضا: E. Levin Provençal: Histoire de l'Espagne Musulmane T.III. p. 82-83. -

(٣٨) ــ ابن خلدون: العبر، المجلد الرابع، ص ٣٢٠.

له عبار، فقد خاض تحت قيادته اثنين وخمسين غزوة حالفه النصر فيها جميعا. فاستحق ابن أبي عامر بذلك لقب المنصور بالله(٣٩). هذا وقد توغل جيشه في عمق أراضي الاسبان المسيحيين حتى وصل في غزوته الثامنة والاربعين ــ التي انطلقت في طائفة جمادى الاخرة عام ٣٨٧هـ / ٩٩٧م. الى ليون (LEON) وكنيسة القديس يعقوب (سانت ياقب) (SAINT JACQUES) في أقصى الشمال الغربي لشبه جزيرة ايبريا فهدمها ولم يبق الا على قبر القديس(٤٠).

وهكذا نرى أن حياة محمد بن أبي عامر المنصور كانت نشاطامتواصلا الامر الذى أثر في صحته وبالرغم من اعتلالها فقد خرج الى جليقية (GALICE) غازيا سنة ٣٩٢هـ / ١٠٠١م، ولما أشتد به المرض وأقعده عن الحركة، صنع له جيشه سريرا من الخشب حملوه عليه مدة أربعة عشر يوما أثناء العودة حتى بلغوا مدينة سالم حيث فاضت روحه في ٢٧ رمضان ٣٩٢هـ / ١٠٠١م. فكان ذلك بردا وسلاما على الاسبان المسيحيين(٤١).

دور البربر في انهيار الخلافة الاموية بالاندلس

بعد وفاة محمد بن أبي عامر المنصور، خلفه ابنه المظفر أبو مروان عبدالملك الذى سار على نهج أبيه في تنظيم الغزوات، والسياسة الى أن مات عام ٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م فخلفه أخوه عبدالرحمن بن محمد الذى تسبب في انهيار الخلافة الاموية

---

(٣٩) ــ المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص ٣٨.
ــ ابن خلدون: العبر، المجلد الرابع، ص ٣٢٠.

(٤٠) ــ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ٤٤٠-٤٤٣، فيليب حتى: تاريخ العرب المطول، ج٢، ص ٦٣٤.
ــ كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الاسلامية، ص ٣٠٤.

(٤١) ــ ابن خلدون: العبر، المجلد الرابع، ص ٣٢١ المراكشي: المعجب، ص٣٩
ــ ابن الاثير: الكامل في التاريخ المجلد٧، ص ٢١٨.
ــ فيليب حتى: تاريخ العرب المطول، ج٢، ص٦٣٥. ونقش هذان البيتان على قبره.

+ آثاره تنبيك عن أخباره   حتى كأنك بالعيون نراه
+ تالله لا يأتي الزمان بمثله   أبدا ولا يحمي الثغور سواه

ــ المقرى: نفح الطيب، ج١، ص٣٧٥.

بالاندلس بسبب سياسة الخرقاء . وذلك انه بالرغم من تمتعه بجميع السلطات فقد تطاول على ما بقي للخليفة هشام المؤيد بن الحكم من سلطة اسمية، وهو ما لم يفعله أبوه المنصور وأخوه عبدالملك من قبل.

وتفصيل ذلك أن عبدالرحمن بن محمد جمع كبار الدولة وأهل الحل والعقد من كل حدب وصوب ليشهدوا على توليته الولاية من هشام المؤيد بن الحكم. ومن ثم فقد أحد الامويين،- وقد عز عليهم أن ينتقل الخلافة الى القحطانيين - يعدون العدة للتخلص من عبدالرحمن وارجاع الخلافة اليهم (٤٢). وهكذا استغلوا خروجه للغزو في جليقية سنة ٣٩٩هـ / ١٠٠٨م، فانقضوا على صاحب الشرطة، وقتلوه، ثم خلعوا هشام بن الحكم لما أبداه من ضعف أدى الى جميع هذه الكوارث وبايعوا محمد بن هشام بن عبدالجبار بن عبدالرحمن الناصري الذي يلقب بالمهدي في جمادي الآخر، عام ٣٩٩ هـ / ١٠٠٨ م وعندما بلغ عبدالرحمن بن محمد بن أبي عامر ذلك أسرع عائدا الى قرطبة. ولكن البربر الذين كانوا معه تركوه خفية والتحقوا بقرطبة حيث قدموا ولاءهم للمهدي، ثم رجعت فرقة منهم اعترضت طريقة، وحزت رأسه وحملوه الى المهدي (٤٣). وقد ثارت معظم القبائل البربرية التي كانت منضوية تحت لواء العامريين، ضد عبدالرحمن بعد ان أبدى سلوكا شائنا وسياسة فاسده لذلك سعت جميعها الاستئصال شأفته، فاتحد عليه زاوي بن زيري الصنهاجي وبنو ماكبر، ومحمد بن عبدالله البرزالي، ونصيل بن حميد المكناسي، زيري بن غزانة المتيطي، وأبو زيد بن دوناس اليفرني، وعبدالرحمن بن عطاف اليفرني وأبو نور بن أبي قرة اليفرني، وأبو الفتوح بن ناصر، وحزرون بن محصن المغراوي وبكاس بن سيد الناس ومحمد بن ليلى المغراوي (٤٤). وكان الامويون ينقمون هؤلاء البربر لانهم السبب في عظمة العامريين الذين سلبوا منهم الحكم،

---

(٤٢) - ابن خلدون: العبر المجلد ٤، ص٣٢٣، الضبي: بغية الملتمس، ص١٩.
- ابن الاثير: الكامل المجلد ٧ ص ٨٣-٨٤.
- المراكشي: المعجب، ص ٤٠.
- فيليب حتى: تاريخ العرب المطول ج٢، ص ٦٣٦.

(٤٣) - ابن خلدون: العبر المجلد ٤ ص ٣٢٤، ابن الاثير: الكامل المجلد ٧ ص ٨٤.
- المراكشي: المعجب، ص ٤٠.

(٤٤) - ابن خلدون: العبر المجلد ٤، ص ٣٢٤-٣٢٥.

واذا كان البربر يرون في قتلهم لعبدالرحمن بن محمد بن أبي عامر عربون صداقة تربطهم بالبيت الاموى، فان المهدى لا يزال حاقداً عليهم، لذا فتح عهده بالانتقام منهم بشتى الوسائل كتحريض الناس على نهب دورهم، وغض النظر عما كانت تلحقه الرعية بهم من أذى. ولم تكن مجاملة المهدى لزاوى بن زيرى الذى ذهب اليه شاكيا من اعتداءات الناس على قومه، لتخفى العداوة التي كان يكنهاله ولقومه. ومن ثم فقد كان من الطبيعي أن ينقض البربر بيعتهم للمهدى، ويبايعوا بدلا عنه هشام بن سليمان بن عبدالرحمن الناصر (٤٥). لكن المهدى استطاع أن يجهض الحركة في المهد بالقائه القبض على هشام بن سليمان وأخيه أبي بكر وضرب عنقيهما. وكان أن بايع البربر سليمان بن الحكم ابن أخي هشام بن سليمان بن عبدالرحمن الناصر، وبعد تنظيم الصفوف وطلب الدعم العسكرى من الاسبان المسيحيين، قصد سليمان بمن كان معه من البربر مدينة قرطبة، فخرج اليهم المهدى بعد أن جند القادرين على حمل السلاح من سكان المدينة، والتقي الجمعان عند جبل القنطش، حيث جرت معركة حامية الوطيس بين الطرفين أسفرت عن انتصار سليمان بن الحكم بعد أن قتل عددا كبيرا من رجال المهدى يقدره المؤرخون بعشرين ألف رجل، ثم دخل سليمان قرطبة في سنة ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م بمن كان معه من البربر (٤٦).

أما المهدى فقد قصد طليطلة حيث قضى بعض الوقت في تنظيم صفوفه والاتصال بمن بقى مواليا له من سكان الحدود الشمالية للاندلس من طرطوشة الى أشبونة. كما طلب العون من الاسبان المسيحيين. وبعد ستة أشهر من الاستعدادات العسكرية قصد قرطبة والتقى بسليمان بن الحكم بمن كان معه من البربر بمكان قرب المدينة يدعى عقبة البقر وانتصر عليه (٤٧).

---

(٤٥) ـ الحميدى: جذوة المقتبس. ص ١٨، الضبي: بغية الملتمس. ص ٢٠.
ـ ابن خلدون: العبر المجلد ٤، ص ٣٢٥، ابن الاثير: الكامل المجلد ٧ ص ٨٤.
(٤٦) ـ الضبي: بغية الملتمس، ص ٢٠، المراكشي: المعجب، ص ٤١-٤٢.
ـ ابن الاثير: الكامل، المجلد ٧، ص ٨٤، الحميدى: حذوة المقتبس، ص ١٨-١٩.
(٤٧) ـ الضبي. بغية الملتمس، ص ٢٠، ابن الاثير: الكامل، المجلد ٧، ص ٨٥.
ـ المراكشي: المعجب، ص ٤٢، الحميدى: حذوة المقتبس، ص ١٩.

وقد دخل المهدى أثر ذلك مدينة قرطبة. أما سليمان بن الحكم فقد غادرها بالبربر تجاه الجنوب، ومارسوا أثناء سفرهم أعمال النهب والسطو، واعتدوا على أعراض الناس، وقتلوا منهم خلقا كبيرا. على أن المهدى الذى كان قد قرر التخلص منهم بصفة نهائية مشجعا بانتصاره عليهم في سعية هذا، تعقب خطاهم الى أن التقى بهم بوادى آره من الجزيرة الخضراء حيث دخل معهم في معركة انجلت عن هزيمته ثم عودته الى قرطبة، ولم يلبث البربر الذين اقتفوا أثره، أن حاصروه داخل هذه المدينة. وقد خشي أهالي المدينة على أرواحهم وأملاكهم من انتقام البربر فقرروا التخلص من المهدى الذى اعتبروه رأس الفتنة، وقام أحد فتيان الصقالبة الاقوياء واسمه واضح العامرى بتنفيذ هذه المهمة بايعاز منهم، ثم جدد الناس البيعة لهشام بن الحكم المؤيد الذى عاد الى الحكم متخذا واضح العامرى حاجباله (٤٨).

على أن البربر لم يعيروا أدنى اهتمام لما حدث من تغيير في قرطبة واستمروا في حصارهم لها، ثم حاولوا الاستعانة بقوات قشتالة، ولكن تنازل الخليفة هشام بن الحكم المؤيد عن بعض الحصون التي كان المنصور قد فتحها – لملك قشتالة (سانشو غرسية) حال دون حصولهم على مساعدته وظلت قرطبة محاصرة الى أن فتحها البربر عنوة سنة ٤٠٣هـ / ١٠١٢م وقد ساموا أهلها الخسف بما ارتكبوه من اعتداءات على أملاكهم وأعراضهم. أما هشام المؤيد فقد قتل أثناء اقتحام المدينة (٤٩). وهكذا عادت مقاليد الحكم الى يد سليمان بن الحكم ولكنه عجز عن فرض سيطرته على البربر وانتهى الامر به الى القتل على يد أحد قادته القدماء من البربر، وهو على بن حمود، في سنة ٤٠٧هـ / ١٠١٦م بتهمة قتل هشام بن الحكم (٥٠). وبذلك انتقل حكم قرطبة الى بني حمود الذين سأفصل الحديث عنهم في الفصل المخصص لهم.

---

(٤٨) – ابن خلدون: العبر، المجلد ٤، ص ٣٢٦–٣٢٧، ابن الاثير: الكامل، المجلد ٧ ص ٨٥.
– الحميدى: جذوة المقتبس، ص ١٩.

(٤٩) – ابن خلدون: العبر، المجلد الرابع، ص ٣٢٧، المراكشي: المعجب، ص ٤١ و ٤٣.
– الضبي: بغية الملتمس، ص٢١، الحميدى: جذوة المقتبس، ص ١٩.

(٥٠) – ابن الاثير: الكامل في التاريخ، المجلد ٧، ص ٢٨٥.
– المراكشي: المعجب، ص ٤٤.
– ابن خلدون: العبر المجلد ٤، ص ٣٢٨.

وبعد انهيار الخلافة الاموية بالاندلس على هذا النحو انفرط عقدها الى عدة امارات صغيرة متباينة القوة والمساحة. ويمكن تقسيمها الى ثلاث مجموعات هي الامراءات البربرية – وهي موضوع بحثي – وتركزت بجنوب الاندلس، وامارات فتيان العامريين الصقالبة في شرق الاندلس والامارات العربية في اشبيليـــة ((SEVILLE)) وسرقسطة (SARAGOSSE)) وقرطبة (CORDOUE) ، وبعض المدن الاخرى.

انقسام الاندلس الى ملوك الطوائف

فبالنسبة للامارات البربرية كانت تتزعمها دولة بني حمود التي انطلقت من المغرب الاقصى لتجعل قرطبة – بعد فتحها – عاصمة لها ، ثم انتقلت الى مالقة ((MALAGA)) الـى أن استـولى عليهـا باديـس بن حبـوس سنـة ٤٤٩هـ / ١٠٥٧م (٥١).

وفي غرناطة ((GRENADE)) أسس زاوي بن زيرى بن مناد ، امارة بني زيرى التي كانت بمثابة القوة الضاربة للبربر ، وقد تعاقب على حكمها كل من حبوس بن ماكسن (٤١٠ – ٤٢٨هـ / ١٠١٩ هـ – ١٠٣٦) وباديس بن حبوس (٤٢٨ –٤٦٥هـ / ١٠٣٦ – ١٠٧٢م) وهو أعظم ملوكها. أما حفيده عبدالله فقد كان على درجة كبيرة من ضعف الشخصية، وقضى أخريات آيامه في أغمات قرب مراكش بالمغرب الاقصى بعد أن قوض المرابطون أركان امارته سنة ٤٨٤هـ / ١٠٩١م (٥٢).

وأسس عبدالله بن مسلمة الملقب بابن الافطس امارة في بطليوس ((BADAJOZ)) سنة ٤١٣هـ / ١٠٢٢م. وظل على رأسها حتى توفي سنة ٤٣٧هـ / ١٠٤٥ فخلفه ابنه محمد المظفر بن عبدالله الذى كرس جل وقته للعلم والادب ومن أشهر مؤلفاته كتابه المسمى بالمظفري. وبعد وفاته خلفه ابنه عمر المتوكل سنة ٤٥٧هـ / ١٠٦٤م وهو أول أمير فكر في طلب المساعدة من المرابطين ضد خطر قوى الاسبان المسيحيين ، وشارك بنفسه في معركة الزلاقة (SACRALIAS) . أما نهايته فقد كانت على يد القائد المرابطي سير بن أبي بكر الذى قتله مع ابنيه الفضل وسعد سنة ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م (٥٣).

---

(٥١) – تفصيل ذلك في الفصل الثاني من البحث.
(٥٢) – التفصيل عن هذه الامارة في الفصل الثالث من هذا البحث.
(٥٣) – التفاصيل في الفصل الرابع من هذا البحث.

وفي طليطلة (TOLEDE) أسس اسماعيل بن عبدالرحمن بن ذي النون امارته سنة ٤٢٧هـ / ١٠٣٥م، وبعد حكم دام ثماني سنوات خلفه ابنه يحى المأمون سنة ٤٣٥هـ / ١٠٤٣م، وفي عهده جرت حرب بين طليطلة وسرقسطة ــ التي كانت بيد سليمان بن هود دامت ثلاث سنوات (٤٣٥ــ٤٣٨/١٠٤٣ــ١٠٤٦م استفاد منها الاسبان المسيحويين ثم ترك الحكم لحفيده يحى القادر الذى كان شوءما على طليطلة، فقد سلمها الالفونسو السادس (ALPHONSE-VI سنة ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م.

وكانت هناك بعض الاسر البربرية الصغيرة التي لم تصل من حيث القوة والاتساع الى ما بلغته الامارات البربرية السالفة الذكر، لكنها استقلت بمناطق معينة كبني برزال في قرمونة، وبني يفرن في رندة، وبني دمر في مورور وبني خزرون في أركش. وكانت هذه الدويلات تعتمد في وجودها على مساعدة الامارات البربرية القوية كغرناطة بشكل خاص(٥٤).

ولعل من المناسب الان أن نلقي نظرة سريعة على تأسيس الامارات الصقلبية والعربية الهامة التي كان لها مع امارات البربر علاقات حرب أو سلم خلال عهد ما عرف باسم ملوك الطوائف حتى وصل المرابطون من المغرب وقضوا عليها جميعا.

وبالنسبة للامارات الصقلبية فقد أسست من طرف الفتيان العامريين الذين فروا هاربين نحو شرق الاندلس بعد مقتل عبدالرحمن بن أبي عامر سنة ٣٩٩هـ / ١٠٠٨م خوفا على أنفسهم من حكام قرطبة الجدد، وأشهر ن برز منهم على مسرح الاحداث خير ان العامرى الذى حاول بعث الخلافة الاموية من جديد دون أن يحالفه النجاح، ومجاهد العامرى، الذى أقام دويلة بدانية شملت جزر البايار (BALEARES / مما سمح له باستعراض عضلاته في الحوض الغربي للبحر المتوسط وبلغ نشاطه البحرى جزيرة سردينيا وسواحل فرنسا وايطاليا (٥٥).

---

(٥٤) ــ ابن الخطيب: أعمال الاعلام، ص ٢٣٦ــ٢٣٨، عبدالله عنان: دول الطوائف ص ١٤٦.
(٥٥) ــ ابن الاثير: الكامل، المجلد السابع، ص ٢٩٣.
ــ المراكشي: المعجب، ص ٧٤.

أما عن حكم خيران العامري فقد تمركز في مدينة المرية ((ALMERIE)
التي استقر بها منذ سنة٤٠٥هـ / ١٠١٤م، ومنها كانت تنطلق مساعيه الرامية الى اعادة تنصيب حكم العامريين من جديد. فقد بايع عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن المنصور بشاطبة سنة ٤١١هـ / ١٠٢٠م، غير أنه سرعان ما سحب بيعته هذه ليقوم بتنصيب محمد بن عبدالملك بن المنصور زعيما للحركة الهادفة الى اعادة مقاليد الحكم الى يد العامريين، ولم يلبث أيضا أن تنكر له ليعتني بحكم امارة المرية(٥٦). التي كانت تمتد من البحر الى حدود امارة غرناطة غربا، وجيان وبسطة شمالا. وعرفت قصبة المرية عدة تحسينات على يده، كما قام بتنظيم جيشه، واتخذ الكاتب أحمد بن عباس بن أبي زكريا وزيرا له. وظل يسوس امارته وفق سياسة عادلة سديدة حتى توفي سنة ٤١٩هـ / ١٠٢٨م، فدعا أحمد بن عباس العامريين الى مبايعة زهير العامرى الذى كان مقربا من خيران. وبالفعل فقد تسلم الحكم بتزكية من رجال الدولة والرعية(٥٧). ومن أهم آثاره بالمرية المسجد الجامع الذى أنشأه. ورغم كفاءته وقوة شخصيته فقد أغراه وزيره أحمد بن عباس بغزو غرناطة على أثر وفاة حبوس سنة ٤٢٨هـ / ١٠٣٦م، وقد أسالت هذه الفكرة لعابه. فحاول تحقيق ذلك على أمل توسيع امارته. غير أن مشروعه التوسعي اصطدم بقوة باديس التي ألحقت هزيمة نكراء بجيشه مات خلالها زهير عام ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م، وبذلك انقرضت الامارة العامرية بالمرية(٥٨).

وبالنسبة لامارة مجاهد العامرى، فقد كانت بدانية وجزر البليار كما ذكرنا وكان قبل ذلك من موالي محمد بن أبي عامر المنصور الذى كونه تكوينا علميا. وقد فر من قرطبة سنة ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م، ثم بايع مع غيره من الموالي المرتضي الذى قتل بغرناطة عام ٤٠٩هـ / ١٠١٨م، وعلى أثر ذلك سار نحو طرطوشة فملكها، وبعدها انتقل الى دانيةً حيث استقر منذ سنة ٤٠٥هـ / ١٠١٤م. أما الجزر السالفة الذكر فقد ملكها أيضا في نفس السنة. وذاع صيته في ربوع الاندلس بصفته حاكما ذا علم غزير فقصده أهل العلم والفقه، وألفوا له عدة كتب كافأهم

---

(٥٦) ــ المراكشي : المعجب. ص ٧٤، ابن الاثير: الكامل المجلد٧،ص ٢٩٣.
(٥٧) ــ ابن الاثير: الكامل المجلد ٧، ص ٢٩٣.
(٥٨) ــ ابن الخطيب : أعمال الاعلام. ص ٢٣٠، ابن خلدون: العبر المجلد ٦ ص ٣٦٩.
ــ محمد بن عبدالله عنان: دول الطوائف. ص ١٥٧ الى ١٦٢.

عنها بالمال الوفير ـ وفضلا عن تبحره في العلم وخاصة في ميدان الشعر، فقد كان بطلا مغوارا خاض غمار حروب عديدة في البر والبحر (٥٩).

وقد حاول مجاهد العامري ـ كثيره من موالي العامريين ـ احياء الخلافة الاموية وذلك باستقدام رجل من قرطبة ينتسب الى الامويين يدعى أبو عبدالله بن الوليد المعيطي، وتلقب بالمنتصر بالله أقامه خليفة بدانية. غير أن هذا الاخير تآمر ضد صانع نعمه أثناء وجوده في غزوة بجزيرة سردينيا، لذلك قام مجاهد بطرده بعد رجوعه، فعبر المعيطي البحر الى بجاية حيث مارس التعليم الى وفاته سنة ٤٣٢هـ / ١٠٤٠م (٦٠). وكان غزو مجاهد العامرى لجزيرة سردينيا قد تم سنة ٤٠٦هـ / ١٠١٥م ثم مكث بها زهاء عشرة أشهر حصل أثناءها على غنائم كثيرة. ويندرج عمله هذا ضمن الغزوات الاسلامية الخالدة التي تمت في الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط، ثم تبعتها غزوات عديدة استهدفت سواحل ايطاليا وفرنسا المشرفة على البحر الابيض المتوسط، وجعله نشاطه البحرى شخصية مرهوبة الجانب في البلدين الاوروبيين المذكورين. وكانت الجزائر الشرقية تضم الموانئ التي ترسو بها سفنه لعدم صلاحية ميناء دانية. وظل يسوس امارته بنجاح حتى لفظ أنفاسه الاخيرة سنة ٤٣٦هـ / ١٠٤٤م وأثر ذلك خلفه ابنه على الذى تلقب باقبال الدولة. وظل يدير دفة الحكم بها حتى أظهر صهره أحمد بن سليمان المقتدر بن هود طمعه في أخذ دانية فتنازل له عنها ـ لضعفه ـ مقابل تأمينه على نفسه وماله وأهله وكان ذلك سنة ٤٦٨هـ / ١٠٧٥م. غير أن المقتدر لم يف بوعده اذ لم يعد اثرها علي بن مجاهد حرا فقد أخذه معه الى سرقسطة ليقضي بقية أيامه في الاسر الى أن لفظ أنفاسه الاخيرة سنة ٤٧٤هـ / ١٠٨١م. أما ابنه سراج الدولة فقد استعان بالكونت برنجير صاحب برشلونة (ح (BARCELONE)) ليستعيد بعض حصون أبيه، بيد أنه لم يلبث أن أغتيل بالسم من طرف المقتدر سنة ٤٦٩هـ / ١٠٧٦م. وبذلك انقرضت دولة مجاهد العامرى (٦١).

(٥٩) ـ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٣، ص ١٥٦، ابن الاثير: الكامل، المجلد٧، ص ٢٩٣.
(٦٠) ـ أحمد مختار العبادي: في تاريخ العباس والاندلسي، ص ٤٦٨.
(٦١) ـ ابن خلدون: العبر المجلد٤، ص ٣٥٤، ابن الاثير: الكامل المجلد ٧، ص ٢٩٣.

وهناك فتيان عامريون آخرون حكموا بعض المدن لفترات متفاوتة الطول ، فقد سيطر الظفر ومبارك العامريان على مدينة بلنسية (VALENCE) على أثر هلاك عبدالرحمن بن المنصور، وستمر حكمها للمدينة حتى توفي آخرهما مبارك سنة ٤٠٨هـ / ١٠١٧م متأثرا بجروحه أثر سقوطه من ظهر جواده (٦٢) ٠

وبالنسبة للامارات العربية فهي عديدة أيضا، كامارة بني عباد باشبيلية (SEVILLE)) وامارة بني جهور بقرطبة وامارة سرقسطة في الثغر الادنى التي ساسها بنو هود وامارة بني صمادح التجيبيين بالمرية. وكان بنو عباد أعظمهم قوة وقامت دولتهم سنة ٤١٤هـ / ١٠٢٣م ٠ الى أن قضى عليها المرابطون عام ٤٨٤هـ / ١٠٩١م ٠ وقد تأسست هذه الدولة على يد القاضي أبي القاسم محمد بن اسماعيل بن عباد اللخمي الذي استقل باشبيلية سنة ٤١٤هـ / ١٠٢٣م ٠ عن حكم القاسم بن حمود، ثم دعم نفوذه بها وذلك بابعاد الشخصيات التي كان يخشى منافستها له. وعندما آنس القوة في نفسه عمد الى تدعيم امارته وفرض وجودها على الصعيد الخارجي، وفي هذا السياق زعم أنه عثر على هشام المؤيد ــ الذي كان قد مات في ظروف غامضة ــ فبايعه سنة ٤٢٦هـ / ١٠٣٤م بعد أن استقدمه الى اشبيلية قصد التخلص نهائيا من تبعية الحموديين غير أن ذلك لم يتسن له بصفة نهائية الا بعد قتل يحي بن علي بن حمود بقرمونة سنة ٤٢٧هـ / ١٠٣٥م ٠ وقد لعب دور هشام المؤيد رجل شديد الشبه به كان يشتغل بصنع حصر الحلفا يدعى خلف الحصرى. ومهما يكن من أمر فقد بايعه أمراء الاندلس ظاهريا (٦٤) ٠ وعندما مات القاضي أبو القاسم بن عباد سنة ٤٣٣هـ/ ١٠٤١م ترك لابنه الذي خلفه أبي عمرو الملقب بالمعتضد امارة صغيرة لكنها مبنية على أسس متينة. ويعتبر عهده عهد التوسع لامارة اشبيلية. وبالرغم من تسلمه الحكم في السادسة والعشرين من عمره، فقد كان أهلا لذلك، بفضل شخصيته الوقية التي طبعتها القساوة البالغة اذ كان يقتل دون تردد كل شخص يشتبه في

---

(٦٢) ــ محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص ٢٠٩٠
(٦٣) ــ ابن خلدون: العبر المجلد ٤، ص ٢٣٧، المراكشي: المعجب، ص٩٤٠
ــ فيليب حتى: تاريخ العرب المطول ج٢، ص ٦٤٠٠
ــ يوسف أشباخ: تاريخ الاندلس. ص ٣٣ ــ ٣٤٠
(٦٤) ــ ابن الاثير: الكامل، المجلد ٧، ص٢٩١، ابن عذارى: البيان، ج٣ ص ٢٠٠٠
ــ ذكر المراكشي أن ظهور هشام المؤيد قد تم في عهد المعتضد بن عباد (المعجب ص ٩٦) ٠

أمره، ويشك في ولائه له ولو كان من أقرب المقربين اليه بما في ذلك ابنه اسماعيل الذى تآمر ضد أبيه (٦٥)٠

وبالنسبة لتوسعاته فقد شملت شنتمرية ((SANTAMARIA) عام ٤٤٣هـ/ ١٠٥١م بعد أن تنازل له عنها عبدالعزيز البكرى، ولبلة سنة ٤٤٥هـ/ ١٠٥٣م من بني يحصب، ثم انتزع الجزيرة الخضراء من يد القاسم بن محمد بن القاسم بن حمود سنة ٤٥١هـ / ١٠٥٩م (٦٦)٠ ولجأ أيضا الى المكرو الخداع قصد التوسع والتخلص من خصومه، فقد حدث أن استدعى عددا من أمراء البربر منهم محمد بن نوح الدمرى حاكم مورور، وابن خزرون حاكم أركش وابن أبي قرة حاكم رندة، وأدخلهم الى الحمام الذى أمر بتسخينه ثم ببناء بابه، ولم ينج سوى ابن أبي قره، الا أنه لم يتمكن من الاستيلاء على اماراتهم الا بعد جهد جهيد (٦٧)٠ ففي سنة ٤٥٧هـ / ١٠٦٥م استولى على مدينة رندة وبعدها بسنة واحدة تنازل له مناد بن نوح الدمري عن مورور بعد صراع طويل، وقضى بقية أيامه مؤمنا باشبيلية، واستولى المعتضد على قرمونة سنة ٤٥٩هـ / ١٠٦٧م وبعدها أركش التي كانت للقاسم بن محمد بن خزرون٠ وبذلك يكون المعتضد قد حقق أطماعه التوسعية التي جعلت من اشبيلية الامارة التي تتصدر عصر ملوك الطوائف٠ والجدير بالذكر أنه كان قد أعلن وفاة هشام المؤيد عام ٤٤٥هـ / ١٠٥٣م التي قال عنها أنها وقعت سنة ٤٣٦/ ١٠٤٥م لكنه أخفاها لاسباب تتعلق بالامن (٦٨)٠ واذا كان المعتضد قد استولى على الامارات البربرية الصغيرة فقد عجز عن النيل من امارة غرناطة التي كانت أقوى امارات البربر، كما فشل أمام أسوار مالقة التي كانت تتبع باديس بن حبوس٠

وعلى الرغم من عظمة المعتضدة فقد رضخ لمطالب الاسبان المسيحيين الذين خربوا بعض مقاطعاته فرضي بدفع جزية سنوية مقابل تحول القوات القشتالية عن أراضيه نحو المناطق الاسلامية الاخرى (٦٩)٠

---

(٦٥) – ابن خلدون: العبر المجلد ٤ ص ٣٣٨، ابن الاثير: الكامل المجلد ٧ ص ٢٩١٠

(٦٦) – ابن خلدون: العبر المجلد ٤ ص ٣٤٠٠

(٦٧) – ابن خلدون: المجلد ٤ ص٣٣٩، المراكشي: المعجب ص ٩٨٠
– صالح خالص: اشبيلية في القرن الخامس الهجرى، ص١٢٧–١٢٨٠

(٦٨) – ابن خلدون: العبر المجلد ٤، ص ٣٣٩ – ٣٤١، ذكر المراكشي أن وفاة هشام المؤيد حدثت٠ سنة ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م (أنظر المعجب، ص ٩٦٠

(٦٩) – صالح خالص: اشبيلية في القرن الخامس الهجرى، ص ١٣١٠

وبالنسبة للمرحلة الاخيرة من حكم بني عباد ــ وهي مرحلة الازدهار ــ فانها ابتدأت عام ٤٦١هـ / ١٠٦٨م وانتهت سنة ٤٨٤هـ / ١٠٩١م. وقد حكم أثناءها أبو القاسم محمد بن عباد الملقب بالمعتمد على الله، وفي عهده بلغت الامارة أقصى حد لتوسعاتها بالحاق قرطبة بدولته وولى عليها ابنه الظافر بالله ثم المأمون الذى ظل في الحكم بها حتى أخذها منه المرابطون. واشتهر المعتمد بن عباد بشجاعته وعلمه الغزير، وبرز على الخصوص في ميدان قرض الشعر وكان يفتح ديوانه للشعراء والادباء والعلماء، فاجتمع منهم لديه عدد كبير منّ عليهم بهبات مالية معتبرة. غير أن ما يؤاخذه عليه المؤرخون استعانته بقوات قشتالة المسيحية من أجل تحقيق مصالحه الشخصية الضيقة، وهو أمر أقدم عليه سائر أمراء الطوائف، غير أن المعتمد كان يملك من قوة الشخصية ما يجعله قادرا على الترفع عن هذا الضعف. وعندما وجد نفسه قاب قوسين أو أدنى من السقوط، ضم صوته الى الدعوة التي وجهت للمرابطين طلبا للمساعدة العسكرية، ثم شارك بفعالية في معركة الزلاقة (SACRACIAS) التي أبلى فيها بلاء حسنا. الا أنه أبعد عن الحكم من طرف المرابطين ــ كغيره من الامراء ــ سنة ٤٨٤هـ / ١٠٩١م وسيق سيرا الى أغمات حيث ظل في الاسر يتسلى بقرض الشعر حتى لفظ أنفاسه الاخيرة سنة ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م (٧٠).

وفيما يتعلق بدولة بني جهور بقرطبة فالثابت أنها قامت سنة ٤٢٢هـ / ١٠٣١م، والسبب في ذلك اعلان شغور منصب الخلافة، فعين رجال الدولة أبا الحزم بن جهور لتسيير المدينة ريثما يظهر الشخص القادر على القيام بالخلافة وهو الامر الذى لم يحدث لذلك ظل أبو الحزم بن جمهور في الحكم حتى وفاته سنة ٤٣٥هـ / ١٠٤٣م. وينتمي الى أسرة قامت ــ على مر السنين ــ بأعباء الوزارة والحجابة والقيادة والكتابة، واشتهر بحصانة رأيه وذكائه الوقاد، اذ

---

(٧٠) ــ ابن الابار: الحلة السيراء، ج٢، ص٥٥، ابن خلدون: العبر المجلد ٤ ص ٣٤٢.
ــ المقرى: نفح الطيب، ج١، ص٤١٤ ــ ٤١٥، فيليب حتى: تاريخ العرب المطول ج٢، ص٦٤٢.
ــ عباس ابراهيم المراكشي: الاعلام بمن حل مراكش وأغمات من الاعلام، ج٢، ص ٣١٢ــ٣٢٠.
ــ وأنظر:
– El Provençal : La civilisation arabe en Espagne p. 28.
– P. Renouvin : Histoire des relations internationales T1. p. 84.

أدار دفة الحكم بقرطبة دون أن يتسمى بلقب الخليفة أو ينتقل الى دار الخلافة. كما كان كثير الاستشارة للجماعة. وفي هذا السياق كان يردد باستمرار قوله "ليس لي عطاء ولا منع، هو للجماعة وأنا أمينهم" (٧١)ووزع أموال الدولة على التجار يأخذون أرباحها ويحاسبون على ما هو للدولة. كما وزع أيضا السلاح على الرعية التي قد يفاجئها، العدو في أية لحظة. وبذلك ساد الامن وراجت السلع في الاسواق واطمأنت قلوب الناس(٧٢). ثم خلف أبو الوليد محمد بن جهور أباه في الحكم، وظل محتفظا باستقلاله حتى استولى يحي بن اسماعيل المأمون حاكم طليطلة على قرطبة سنة ٤٦١هـ / ١٠٦٨م.

أما امارة سرقسطة الواقعة في الثغر الادني، فقد تعاقبت أسرتان عربيتان على حكمها هما: بنو تجيب وبنو هود، وبالنسبة للاسرة الاولى فقد كانت تحكم ولاية سرقسطة منذ زمن بعيد، قبل انفجار الفتنة ويبدأ ذلك بحكم المنذر بن يحي التجيبي الذى امتد من سنة ٤٠٨هـ / ١٠١٧م الى سنة ٤١٤هـ / ١٠٢٣م، وقد سالم نصارى المنطقة، كما حملهم على مسالمة جميع المسلمين المتاخمين لهم. أما ابنه يحي المظفر الذى خلفه في الحكم أثر وفاته سنة ٤٢٠هـ / ١٠٢٩م، فقد فشل في الحصول على صداقتهم لذلك تعرضت أراضيه لغزوات برشلونة. ثم تنازل عن الحكم لابنه المنذر بن يحي الحاجب معز الدولة وظل يدير دفة الحكم حتى أغتيل من طرف أحد أفراد عائلته سنة ٤٣٠هـ / ١٠٣٨م، وبذلك انتهت دولة بني تجيب بسرقسطة فانفسح المجال لاسرة بني هود (٧٣). ففي

---

(٧١) ـ ابن الابار: الحلة السيراء ج٢، ص ٣١، الضبي: بغية الملتمس. ص ٢٣.
ـ ابن الاثير: الكامل المجلد ٧، ص ٢٩٠ـ٢٩١، المراكشي: المعجب. ص ٥٩.
ـ ابن خلدون: العبر المجلد٤ ص ٣٤٢ـ٣٤٣، يوسف أشباخ: تاريخ الاندلس ص ٣٤ـ٣٥.

(٧٢) ـ الضبي: بغية الملتمس. ص٢٣، ابن الابار: الحلة السيراء ج٢، ص٣٢ـ٣٣.
ـ يوسف اشباخ: تاريخ الاندلس.ص ٣٥.

(٧٣) ـ المراكشي: المعجب. ص ٧٠ـ٧١، ابن الاثير: الكامل المجلد٧، ص ٢٩٢.
ـ يوسف اشباخ: تاريخ الاندلس. ص ٤٣، محمد عبدالله عنان: دول الطوائف. ص ٢٥٤ـ٢٦٠.

٤٣١هـ / ١٠٣٩م ، استولى سليمان بن محمد بن هود ـ وكان يشغل آنذاك منصب والي لاردة ـ على مقاليد الحكم فيها ، وظلت هذه الاسرة تسوس امارة سرقسطة الى أن استولى عليها المرابطون سنة ٥٠٢هـ / ١١٠٨م (٧٤) .

وفي ألمرية قامت امارة بني صمادح عندما استقل أبو الأحوص معن بن صمادح بالمدينة سنة ٤٣٣هـ / ١٠٤١م ، وأقام علاقات طيبة مع باديس بن حبوس صاحب غرناطة . وعند وفاته سنة ٤٤٣هـ / ١٠٥١م خلفه ابنه أبو يحى محمد بن معن الذى كان عمره دون الثامنة عشرة ، واتخذ لقب معز الدولة ثم المعتصم بالله ، واشتهر بتقواه وحرصه على العدالة ، وعزارة علمه . وقضى المرابطون على هذه الامارة سنة ٤٨٤هـ / ١٠٩١م (٧٥) .

أما عن العلاقات بين هذه الامارات التي استعرضنا تاريخها باختصار ، فانها كانت علاقات عدائية في أغلب الاحيان تسودها الحروب التي كانت تهدف الى التوسع على حساب الاخرين ، اذ كان كل أمير من هذه الامارات يمني النفس باعادة توحيد الاندلس تحت رايته ، وجرت معظم الحروب بين الامارات البربرية (وخاصة بطليوس وغرناطة) وامارة بني عباد العربية باشبيلية التي كانت على جانب عظيم من القوة . كما قامت الحرب أيضا بين بني ذى النون وبني هود . وقد استفاد الاسبان المسيحيون من هده الحروب أكثر من غيرهم ، لدرجة أن جميع أمراء الطوائف المسلمين كانوا يدفعون الضريبة السنوية لملك قشتالة الساعي الى استنزاف أموالهم قبل تقويض أركان دويلاتهم ، مما دفعهم في نهاية الامر الى الاقتناع بضرورة طلب المساعدة من طرف المرابطين لمواجهة خطر ألفونسو السادس ملك قشتالة (٧٦) .

---

(٧٤) ـ ابن الاثير : الكامل المجلد٧ ، ص ٢٩٢ ، يوسف أشباخ : تاريخ الاندلس . ص ٤٣ .

(٧٥) ـ ابن الابار : الحلة السيراء ، ج٢ ، ص٨١ الى ٨٤ ، المراكشي : المعجب ص ٧٤ .
ـ ابن الاثير : الكامل ، المجلد ٧ ، ص ٢٩٣ .

(٧٦) ـ الضبي : بغية الملتمس ص ٣١ ، المراكشي : المعجب ، ص ١٣٣ .
ـ وأنظر : – Levin Provençal : l'Espagne Musulmane du Xème siècle p. 27.
El Provençal, la moyen aje Espagnol p. 25.

هذا وتختم هذا الفصل بملاحظة أنه بينما كان مسلمو الاندلس يعانون من الانقسامات السياسية والحروب الطاحنة، شرع الاسبان المسيحيون في استرجاع وحدتهم على يد ألفوسو السادس الذى شملت مملكته جليقية وجزء من شمال البرتغال وأشتور يس وليون وقشتالة وبسكونية، وكان يحترق شوقا لطرد المسلمين من الاندلس وهو يستمع الى نصائح بعض مستشاريه الفرنسيين، ورجال الدين، ذوى الافكار الصليبية. وعليه فقد وجه ضربته القاصمة الاولى للمسلمين باستلائه على طليطلة سنة ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م. وبذلك قسم كيانهم السياسي الى الشطرين، ثم آل على نفسه ألا يعيد السيف الى غمده حتى يستولي على كل الاندلس. وكان أثناء ذلك يستولي على حصون المسلمين الواحدة تلو الاخرى، ويستنزف أموالهم وهو ما يسمى بالموت البطيء، وعليه فقد كانت الاندلس سريعة الخطى الى هلاكها، بيد أن تدخل بربر لمتونة المرابطين في أحداثها ساعد على بقاء المسلمين بها لعقود أخرى طويلة (٧٧).

---

(٧٧) ـ ابن الاثير: الكامل المجلد ٨ ص ١٣٨.

ـ أحمد مختار العبادى: في تاريخ العباسي والاندلسي. ص ٤٧١ـ٤٧٢.

ـ وأنظر أيضا Pierre Renouvin, histoire des relations internationales, T. 1, p. 84.

الفصـل الثاني
دولة بـني حمود بالاندلـــــس
(٤٠٧ – ٤٤٩هـ / ١٠١٦ – ١٠٥٧م)

١ – المرحلة الاولى بقرطبة:

أ – قيام دولة بني حمود بقرطبة.
ب – علي بن حمود.
جـ – القاسم بن حمود.
د – يحي بن علي بن حمود ونهاية دولة بني حمود بقرطبة.

٢ – المرحلة الثانية بمالقة:

أ – يحي بن علي بن حمود في مالقة.
ب – ادريس بن علي بن حمود.
جـ – الحموديون الاواخر وانهيار دولتهم.

قامت دولة بني حمود بالاندلس بعد انهيار الخلافة الاموية، ودامت زهاء اثنتين أربعين سنة (٤٠٧هـ / ٤٤٩هـ / ١٠١٦ – ١٠٥٧م)، وبلغ عدد أمرائها تسعة أمراء، أولهم علي الناصربن حمود وآخرهم محمد الثاني المستعلي. واتخذ بنو حمود مدينة قرطبة (CORDOUE) عاصمة لهم ثم لم يلبثوا أن نقلوا حاضرتهم الى مالقة. وقد تمكنت هذه الدولة من استقطاب بربر الاندلس حولها. أما نهايتها فقد كانت على يد باديس بن حبوس الذى استولى على مالقة – معقل بني حمود سنة ٤٤٩هـ / ١٠٥٧م، مستغلا ضعف محمد الثاني المستعلي (١).

---

(1) ابن خلدون: العبر / ج4. ص. 330

وأنظر أيضا: Encyclopédie de l'Islam T. III page 150.

وينحدر بنو حمود من الادارسة(٢)، الذين أسسوا ملكا بالمغرب الاقصى، وبعد سقوط دولتهم على أيدى الفاطميين(*)، وتشتيهم على يد الخليفة الاموى بالاندلس، الحكم المستنصر، ثم الحاجب محمد بن أبي عامر من بعده، أصبحوا (الادارسة) من عامة الناس، وخعلوا عنهم النسب الشريف، واختلطوا مع البربر بالزواج، فصاروا يتحدثون بالبربرية، أما اللغة العربية فانهم أصبحوا يتحدثونها بصعوبة وبلكنة البربر(٣).

وقامت دولة بني حمود في مدينة قرطبة (CORDOUE) عاصمة الخلافة الاموية بالاندلس على أيدى أميرين من الادارسة المتبربرين هما القاسم وعلي ولدا حمود بن ميمون بن حمود بن علي عبيدالله بن عمر بن ادريس بن ادريس بن عبدالله بن حسن بن علي ابن أبي طالب (٤).

وكان هذان الرجلان قد جندا في صفوف البربر الذين انتقلوا الى الاندلس للارتزاق، وعلى أثر انهيار الخلافة الاموية وانفجار الفتنة خدم القاسم وعلي في صفوف سليمان بن الحكم (المستعين) – أحد المتنافسين على الحكم – وقد أظهر القاسم وأخوه علي أثناء ذلك مواهب قتالية عالية، فعين سليمان المستعين القاسم على مالقة (MALAGA) وعين علي حاكما على سبتة(٥).

وبمقتضى أقوال ابن عذارى أنه قد تجلى للخليفة هشام المؤيد في احدى عمليات استطلاع الغيب أن نهاية الحكم الاموى بالاندلس ستكون على يد علوي يتبدئ اسمه بحرف العين، وعلى أثر دخول سليمان المستعين منتصرا الى قرطبة سنة ٤٠٣هـ / ١٠١٢م وقع الخليفة هشام المؤيد أسيرا في يده، ثم سمع هذا الاخير بوجود علي بن حمود في صفوف سليمان المستعين فاتصل به وأخبره بما كان يختلج في صدره من هواجس، وعبر له عن شدة خوفه من سليمان المستعين

---

(2) ابن خلدون: العبر ج4 ص 23 ـ ابن بسام: الذخيرة القسم لأول المجلد لأول ص 96.
(3) ابن بسام: الذخيرة، القسم لاول المجلد لأول، ص 78.
ـ المقرى: نفح الطيب: ج 2، ص 27.
وانظر ايضا E. LEVI PROVENCAL: Histoire de l'Espagne Musulmane T.2 - page 326 - 327.
(*) ـ قضى الفاطميون على دولة الادارسة سنة 323 هـ/934م.
(4) ابن بسام: الذخيرة القسم لأول، المجلد لأول، ص 78.
(5) ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 128.
ابن الخلدون: العبر المجلد 4، ص 330.

لذا طلب منه أن يأخذ بثأره إن قتله وعهد اليه بولاية العهد، فكان ذلك دعما قويا لعلي بن حمود سهل له الوصول الى الحكم بقرطبة(٦)٠ أما عن العامل الثاني الذى خدمه فانه يتمثل في مبايعة الفتيان الصقالبة العاملين في خدمة الخلافة الاموية، بقيادة المدعو خير ان العامرى، له٠

وكان خير ان العامرى قد اختلف مع سليمان المستعين فاتجه شرقا بعد أن نجا من بطشه، وأقام امارة صقلبية عاصمتها المرية (ALMERIE) ولم يلبث أن اتصل به علي بن حمود أمير سبتة أحاطه علما بتوليته ولاية العهد بتكليف من هشام المؤيد الذى أوصاه أيضا أن يأخذ بثأره٠ وقد أيده خير ان العامرى ودعا له في منطقته، كما لبى عامر بن فتوح صاحب مالقة (MALAGA) الدعاء، ثم استدعي علي بن حمود من سبتة فلما وصل علي الى مالقة سنة ٤٠٥هـ / ١٠١٤م قدم له أميرها عامر الولاء وسار بصحبته للقاء خير ان الصقلبي أمير المرية في مدينة المنكب الواقعة بين المرية ومالقه٠ وتم في هذا اللقاء مبايعة علي بن حمود على طاعة هشام المؤيد، والاتفاق على مساعدته في تولي كرسي الخلافة في قرطبة(٧)٠

وبالرغم من الجهود التي بذلها سليمان المستعين في الاستعداد لمواجهتهم فقد هزم في المعركة التي دارت بينه وبينهم في سنة ٤٠٧هـ / ١٠١٦م على بعد عشرة فراسخ خارج قرطبة(٨)٠ ووقع سليمان المستعين اسيرا في يد علي بن حمود، مع أخيه عبدالرحمن وأبيه الحكم بن سليمان بن عبدالرحمن الناصر٠ ودخل المنتصرون قرطبة٠ وكان من الطبيعي أن يقوم علي بن حمود بمحاولة لاثبات وفاة الخليفة هشام المؤيد حتى يثبت مركزه ويستقر له الامر٠ وبمقتضى أقوال ابن الاثير فان علي بن حمود أمر بنبش قبر هشام المؤيد فأخرجت جثته ثم عرضت

---

(6) المقري: نفح الطيب، ج2، ص 27. ابن عذاري: البيان، ج 3، ص 120.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج7. ص 284.
وانظر أيضا: Encyclopédie de l'Islam T.III. page 150
E. LERI Provencal: Histoire de l'Espagne Musulmane T.2 - page 326.

(7) الضبي: بغية الملتمس، ص 22.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 7، ص 284.
وانظر أيضا E. LERI PROVENCAL: Histoire de l'Espagne Musulmane T. II Page 324.

(8) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 7، ص 284 ـ 285.
- ابن الأبار: الحلة السيراء، ج 2 ص 7. وانظر أيضا:
E. LERI PROVENCAL: Histoire de l'Espagne Musulmane T.II Page 325:

أمام جمهور من العامة ونودي لفتي من فتيان المؤيد كان يعرف جيدا سيده الذي بحمل سنا سوداء ، وطلب منه الادلاء برأيه في هوية الجثة فنسبها الى المؤيد تحت وطأة الخوف من علي بن حمود ، وكان ذلك الفتى ورفاقه الذين أدلوا بشهاداتهم يدركون جيدا أن الجثة ليست لهشام المؤيد ، غير أنهم أرغموا على الادلاء بشهادة زور حفاظا على حياتهم (٩) .

ولما سأل علي بن حمود سليمان المستعين ووالده الحكم بن سليمان وأخاه عبدالرحمن حول مصير هشام المؤيد أكدوا له بأنه حي لم يقتل فقتلهم بنفسه في الحال (١٠) ، وطاف رجل برؤوسهم وهو ينادي "هذا جزاء من قتل هشاما المؤيد" ثم طيبت بعد تنظيفها. أما رؤوس البربر الذين قتلوا مع سليمان المستعين فقد مثل بها وطيف بها في أنحاء المدينة (١١) .

وعلى أثر ذلك أسرع الناس الى مبايعة علي بن حمود الذى تلقب بالناصر لدين الله وبالمتوكل على الله وبأمير المؤمنين (١٢) .

وقد سلك علي بن حمود في بداية عهده سياسة عادلة كان هدفها اكتساب ثقة الرعية، وأبرز مظاهرها معاملة المفسدين من البربر – وهم عصب جيشه – بمنتهى القساوة. ومما يروى عن شدة تنكيله بهم أنه في يوم ما مر أمامه رجل منهم يحمل حملا من العنب ولما سأله عن المصدر الذى أخذه منه أجابه،الرجل البربري بأنه أخذه كما يأخذ الناس "فضرب رأسه ووضع وسط الحمل. ثم طاف به رجل في المدينة (١٣) . ومن ناحية أخرى كان علي بن حمود يفصل في القضايا

---

(9) ـ ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج 7. ص، 285 وانظر أيضا.
ـ ابن عذاري: البيان المغرب ج 3، ص، 120.
Encyclopédie de l'Islam T. III, page 150.
(10) أنظر: E. LERI PROVENCAL: Histoire de l'Espagne Musulmane T.II. Page 325.
Encyclopédie de l'Islam T.III, page 150.
(11) ابن عذاري: البيان المغرب ج 3، ص 117.
(12) المراكشي: المعجب: ص 49.
(13) ابن بسام: الذخيرة، القسم الأول، المجلد الأول، ص 80. وأنظر أيضا:
E. LERI PROVENCAL: Histoire de l'Espagne Musulmane T. II, page 327.

بنفسه وفتح أبوابه للرعية لعرض قضاياها دون صعوبة تذكر وحعل القانون فوق الجميع فساد الامن وعمت الطمأنية (١٤).

على أن ذلك كله لم يدم أكثر من ثمانية أشهر (١٥) ثم استحالت الحياة بعدها في ظل حكم علي بن حمود عسرا بعد أن كانت يسرا فما السر في هذا التغيير يا ترى؟

الارجح أن موقف الرعية السلبي من حكمه وعدم تجاوبهم معه هو الذى دفعه الى ادارة ظهر المجن لهم. لقد شعر بأن سكان قرطبة بالرغم مما كان يبدله من جهود لصالحهم، يكرهونه ويتمنون زوال حكمه لكونه بربريا قامت دولته على أكتاف البربر قليلي التحضر وكان من السهل أن يدرك ذلك ـ الى جانب ظواهر أخرى ـ من مقاطعة الشعراء لمجالسه فيما عدا القليلين منهم من أمثال الشاعر المتشيع لال البيت عبادة بن ماء السماء والشاعر ابن الدراج القسطلي وابن الخياط القرطبي (١٦)، بالرغم من تشجيعه لهم وسخائه معهم، فكان ـ مع ضعف لغته العربية ـ يهتم بالشعر ويثيب أصحابه على غرار ما يفعله أمراء العرب. وعلى أى حال فقد كان علي بن حمود يحس بالمقت الشديد الذى يكنه له أهل قرطبة ((CORDOUE)) . ثم لم يلبث أن علم بتشكيل معارضة سياسية ضده في شرق الاندلس تزعمها خيران العامرى وتعاطف معها سكان قرطبة. وكان خيران العامرى فد شك في أن يكون علي بن حمود قد اغتال سيده هشام المؤيد بعد دخولهما الى قرطبة، وخشي هو أيضا على حياته من طموح علي بن حمود ففر

---

(14) ابن بسام: الذخيرة القسم الأول، المجلد الأول، ص 79 ـ 80.
ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص 129.
(15) وصف ابن بسام هذه الفترة بقوله «برقت للعدل يومئذ بارقة، خلّب لم تكد حتى خبت» الذخيرة القسم الأول، المجلد 1 ص 79.
(16) يقول عبادة بن ماء السماء في مدح على بن حمود.

أبو كم على كان بالشرق بدء ما ... ورثتم، وذا بالغرب أيضا سميه

ويقول ابن الدراج القسطلي في مدح على بن حمود:

لـعلك يـا شمس عنـد الأصيل ... وكوني رسولي لابـن الـرسول

أما ابن الخياط القرطبي فانه مدح على بقوله:

راحت تذكـر بالنسيـم الرحـا ... وطفاء تـكسر للجنـوح جناحـا
أخفـى مسالكها الظلام فأوقـدت ... مـن برقها كـي تهتدي مصباحـا

راجع نفح الطيب للمقرى ج 2 الباب الرابع ص 28 ـ 29.

هاربا الى شرق الاندلس حيث جمع حوله معارضي بني حمود وبايع رجلا أمويا يدعى عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله بن الناصر الملقب بالمرتضي (١٧)٠ وسعى حتى أخذ له البيعة أيضا في عام ٤٠٨هـ / ١٠١٧م٠ من أمير سرقسطة ((SARAGOSSE) ;) ومن أهل سائر مدن شرق الاندلس مثل شاطبة وبلسنية ((VALENCE)١) وطرطوشة والبونت ، وتم ذلك بحضور الفقهاء والشيوخ، أهل الحل والعقد (١٨)٠

وكان لتطور الامور على هذا النحو أكبر الاثر في تغيير سياسة علي بن حمود من الاعتدال الى التشدد والقسوة في معاملة رعاياه، وبخاصة أهل قرطبة الذين أذاقهم الامرين وحملهم مالا يطيقون من العذاب وبدأ سياسته الجديدة بايثار حزبه البربري، وغظه الطرف عن أعمال البربر غير الشرعية والمتمثلة في السلب والنهب ، في الوقت الذى انتزع السلاح من حوزة الرعية وزاد في مقدار الضرائب المفروضة عليها ، فكانت حياتها ألوانا من المعاناة (١٩) وتمادى علي بن حمود في النكاية بأهل قرطبة، فقد حدث أن ألقي القبض على جماعة من أعيان المدينة – سبق لهم أن تولوا المسؤولية في عهد سليمان المستعين – فأهانهم وظلوا في السجن حتى فدوا أنفسهم بالمال. وعندما أحضرت خيولهم للرحيل أخذها منهم وطردهم راجلين، فأحدث ذلك وقعا شديدا في نفوسهم، وكان أبوالحزم بن جمهور – الذى تولى فيما بعد الحكم في قرطبة. ضمن الجماعة المهانة (٢٠)٠ وهكذا فقد أسهب المؤرخون في ذكر جرائم علي بن حمود الذى

---

(17) ابن عذاري: البيان المغرب ج 3. ص 121 ـ 122.
المراكشي: المعجب. ص 49 ـ 50.

(18) ابن الأثير: الكامل في التاريخ.

(19) ابن بسام: الذخيرة القسم الأول، المجلد الأول. ص 81.
وانظر أيضا: E. LERI PROVENCAL: Histoire de l'Espagne Musulmane t. II, page 328.

(20) المقري: نفح الطيب ج 2 ص 28.

(21) وصفه ابن بسام بقوله: موصب على أهل قرطبة ضروبا من التنكيل والمغارم، وانتزع السلاح منهم، وهدم دورهم، وقبض أيدي الحكام عن انتصافهم وأغرم علامتهم، وتوصل الى اعيانهم بأقوام من شرارهم، فلتحوا له أبوابا من البلايا أهلكوا بها الأمة، وتقربوا اليه بالسعاية وقرن بجميع الناس الأشراط وكل بهم الضغاط، وما شئت من مكشف عن اليمين والشمال، متلول الجبين مذال القذال، قد صار شطر الناس أشراطا على سائرهم فلما تلقى أحدا منهم الا بموكل عليه، حتى كان الكرام الكاتبين بدوا للأبصار فأخذت على الناس الأقطار. فأظلمت الدنيا وأبلس أهلها، وغشيهم من أمر الله ما غشيهم، فلزموا البيوت، وتطمروا في بطون الأرض، حتى قلّ بالنهار ظهورهم وخلت أسواقهم فاذا دنا المساء كف الطلب عنهم انتشروا تحت الظلام لبعض حاجاتهم.
راجع: الذخيرة، القسم الأول، المجلد الأول، ص 81.

ظل يسيء الى الرعية حتى لقي مصرعه، في عام ٤٠٨هـ / ١٠١٨م، على أيدى بعض خدمه من الصقالبة وهو يغتسل في الحمام (٢٢). وذلك في الوقت الذى كانت قوات الصقالبة ـ الموالية للاسرة الاموية ـ بقيادة خيران العامرى تتقدم نحو قرطبة لقتاله، مما يبعث على الاعتقاد بأن الجريمة قد تمت بالاتفاق مع هوءلاء المعارضين وخاصة الصقلبي خيران العامرى (٢٣).

ومهما يكن من أمر فقد قتل علي بن حمود بعد واحد وعشرين شهرا وسبعة أيام قضاها في الحكم (٢٤)، وقد مدح بعض المؤرخين حكمه الى ما قبل وفاته بقليل، ومن هوءلاء المؤرخ ابن الخطيب الذي كتب عنه يقول: "... ولما صارت اليه الدولة، قهر البرابرة وأمضى الاحكام، وأقام العدل. وكان الاغلب على خلقه السماحة والشجاعة والانابة، وكان مفتح الباب، مرفوع الحجاب، يقيم الحدود، ويعذب المتظلمين، فانتشر الناس في الارض..." (٢٥).

أما المؤرخ المشرقي ابن الاثير فقد وصفه بقوله: "... وكان أسمى أعين أكحل، خفيف الجسم، طويل القامة حازما عازما، عادلا، حسن السيرة، وكان قد عزم على اعادة أموال أهل قرطبة اليهم التي أخذها البربر، فلم تطل أيامه، وكان يحب المدح ويجزل العطاء عليه..." (٢٦).

---

(22) دخل علي بن حمود الى حمامه في سحر ليلة غرة ذي القعدة من سنة 408هـ/1017م من ثلاثة فتيان من الصقالبة وهم منجّح، ولبيب وعجيب، وبينما كان علي منشغلا بغسل جسده اذا بمنجح يقترب منه حاملا بيده دلوا من النحاس هوى به على رأس سيده، فأفقدته الضربة المفاجئة وعيه، واثر ذلك مزّق الفتيان الصقالبة الثلاثة جسم علي بن حمود بالخناجر وتركوه جثة هامدة، ثم انسلوا من الحمام. وقد قتلهم القاسم بن حمود بعد توليه الحكم بقرطبة.
- ابن بسام: الذخيرة، القسم لأول، المجلد 1. ص 82.
- ابن الخطيب: أعمال لأعلام، ص 129.
- المقرى: نفح الطيب ج 2. ص 28 - الحميدي: جذوة المقتبس ص 22.
- وانظر أيضا: E. LERI PROVENCAL: Histoire de l'Espagne Musulmane T.II, page 328.
Encyclopédie de l'Islam. T.III, page 150.

(23) ابن لأثير: الكامل في التاريخ ج 7. ص 286.
(24) المقرى: نفح الطيب، ج 2، ص 28.
المراكشي: المعجب، ص 50.
(25) ابن الخطيب: أعمال لأعلام، ص 129.
(26) ابن لأثير: الكامل في التاريخ، ج 7، ص 286.

عهد القاسم بن حمود

كان القاسم بن حمود واليا على اشبيلية ((SEVILLE)) عندما قتل أخوه علي، ويبدو أنه كان سعيدا في ولايته ولا يفكر في مشروع سياسي آخر بدليل أنه لم يستقبل دعوة بربر قرطبة له لحكم المدينة بحماس. وكان هؤلاء البربر قد فضلوه على ابني أخيه علي ـ وهما يحي حاكم سبتة وادريس حاكم مالقة ـ لانه في نظرهم أحق بالمنصب حتى من أخيه علي نفسه، فهو أكبر منه بنحو عشر سنوات، وكان يحكم وقت توليه علي، في الاندلس نفسها قريبا من قرطبة، على حين كان عليٌ حاكما على سبتة في افريقية. ويبدو أن الحاح البربر وبريق العرش قد أغريا القاسم في نهاية الامر بقبول المنصب، وقد بويع في قرطبة بعد ستة أيام من مصرع أخيه وذلك في شهر ذى القعدة من عام ٤٠٨هـ / ١٠١٧ (٢٧).

وقد باشر القاسم بن حمود مهامه الجديدة بسياسة ناجحة حازت اعجاب الناس(٢٨). بما تميزت به من اجراءات حكيمة قضت على أسباب القلق والاضطرابات التي نجمت عن سياسة أخيه علي في أواخر أيامه، وذلك بأن فتح باب قصره للناس لعرض مشاكلهم وخصهم بمعاملة طيبة، كما ألغى الضرائب غير الشرعية التي اثقل بها أخوه علي كاهلهم، وأعاد الاعتبار لاعيان المدينة، ونشر الامن ونظم الادارة والقضاء يضاف الى ذلك أنه حاول الحد من نفوذ البربر الذين كانوا على جانب كبير من القوة عن طريق الاعتماد أكثر على السودانيين فاقتنى منهم أعدادا كبيرة، وعين منهم عمالا على الاقاليم مما تسبب في نفور البربر عنه وميلهم الى ابن أخيه يحي بن علي بن حمود (٢٩).

ومن العوامل التي دعمت حكم القاسم بن حمود انتصار زاوى بن زيرى أمير غرناطة البربري ـ على المرتضى سنة ٤٠٩هـ / ١٠١٨م بظاهر غرناطة وهو فى

---

(27) المقري: نفح الطيب ج 2، ص 29.
المراكشي: المعجب. ص 50.
الحميدي: جذوة المقتبس. ص 24.

(28) المراكشي: المعجب. ص 50 وانظر أيضا:
Encyclopédie de l'Islam. T. III, page 150.

(29) المقري: نفح الطيب، ج 2، ص 29. وانظر أيضا:
E. LERI PROVENCAL: Histoire de l'Espagne Musulmane T.II, page 332.

طريقه لمحاربة القاسم بن حمود بقرطبة. وقد بادر زاوى بن زيرى الى مراسلة القاسم بن حمود يبشره بالنصر الرائع الذى حققه ضد أنصار الحكم الاموى كما بعث له حصته من غنائم المعركة ومنها سرادق المرتضى الذى نصبه القاسم على نهر قرطبة، وكان منظره كما يقول ابن الخطيب يثير الالم والحسرة في قلوب أهل المدينة(٣٠). هذا وقد سلك القاسم بن حمود ازاء الفتيان العامريين سياسة مرنة سمحت له بكسب ثقتهم واستمالتهم الى حين، فقد ولى زهير العامرى على جيان وبياسة وقلعة رباح، ومد يد المصالحة لخيران العامرى. (31)

بيد أن الخطر الاكبر الذى عكر صفو حياة القاسم بن حمود قبل أن يقوض أركان حكمه، لم يلبث أن جاءه من جهة يحي وادريس ولدي أخيه علي، وكان عند مقتل أبيهما: ادريس بمالقة ويحي بالعدوة (سبتة) وأظهر البيعة لعمهما ريثما يتمكنان من استكمال خطتهما الرامية الى استعادة عرش أبيهما، وكانت مرحلتهما الاولى تتمثل في عبور يحي بن علي الى مالقة (MALAGA) وتم ذلك بالفعل، ليكون قريبا من قرطبة الامر الذى ييسر له الاتصالات السرية مع بربرها. ولم يجد صعوبة كبيرة في تأليب معظمهم ضد عمه، عندما أقنعهم بأن مصالحهم قد أخذت في التقلص(٣٢). بسبب اعتماده على السوادنيين الذين أصبحوا ينافسونهم في النفوذ، وعليه فقد أمست مصالح يحي بن علي وبربر قرطبة مرتبطة تقتضي بمحاربة القاسم بن حمود، ثم استكمل يحي استعداداته بحشد قوات هامة جاء

---

(30) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص 131. وانظر أيضا:

E. LERI PROVENCAL. Histoire de l'Espagne Musulmane T.II page 331.

لقد خلّد الشعراء هذا النصر بشعرهم يذكرون فيه شرف نسب الحموديين، وعدم شرعية الحركة السياسية التي ثارت في وجههم وقد سجل لنا ابن عذاري في الجزء الثالث من كتابه البيان المغرب ص 129 ـ 130، بعض الشعر دون ذكر صاحبه الذي وجدناه في كتاب المقرى: نفح الطيب، ج 2، ص 31 وهو عباده بن ماء السماء.

لك الخير خيران مضى لسبيله ... وأصبح ملك الله في ابن رسوله
وقام لواء الدفع فوق ممنع ... من النصر جبريل أمام رعيله
وأشرقت الدنيا بنور خليفة ... به لاح بدر الحق بعد أفوله
ولما دعا الشيطان في الخيل حربه ... وأقبل حزب الله فوق خيوله
كتائب من صنهاجة وزناتة ... تضايقن في عرض الفضاء وطوله
تقدّم خيران اليها بزعمه ... ليدرك ما قد فاته من دخوله
فأحجم تحت النقع والخيل تدّعى ... كما أزد لف الليث الهز لقيله
وولّى وألقى منذر من ورائه ... يقيم لأهل الغدر عذر لكونه

(32)،(31) E. LEVI PROVENCAL: Histoire de l'Espagne Musulmane T. II page 332.

معظمها من المغرب والبعض الاخر من مالقه، والبقية الباقية من بربر الاندلس، كما استطاع أن يكسب خيران العامري صاحب ألمرية (٣٣).

ولما علم القاسم بن حمود بتحرك ابن أخيه ونشاطه المذكور عـرض قضيته على البربر، لكنهم لم يعبأوا بها ولم يظهروا استعدادا لمحاربة يحي بن علي، وبمرور الايام ازداد صف هدا الاخير قوة والقاسم ضعفا، الى أن قصد يحي قرطبة فهرب القاسم الى مدينة اشبيلية مع خمسة فرسان. ولما دخلها يحي بن علي بن حمود في ٢٢ ربيع الآخر ٤١٢هـ / ٥ أوت ١٠٢١م بايعه بربرها والسودانيين وسائر أهل قرطبة (٣٤). ومن الغريب أن كلا منهما اعتبر نفسه خليفة: القاسم بن حمود ولقبه المأمون باشبيلية ويحي بن علي ولقبه المستعلي بقرطبة، وقد علق على ذلك ابن حزم بقوله "خليفتان تصالحا وهو أمر لم يسمع بأذل منه ولا أذل على أدبار الامور، يحي بن حمود بقرطبة والقاسم ابن حمود باشبيلية" (٣٥).

وقد حاول يحي بن علي تقريب الادباء والشعراء منه وكسب الناس بالهبات. ومن ناحية أخرى حقق يحي بن علي بن حمود للبربر ما كان قد وعدهم به من ابعاد السودانيين عن الادارة واحلال عناصر بربرية محلهم في مناصبها. يضاف الى ذلك أن يحي بن علي أغدق على هؤلاء البربر الاموال الطائلة الا أنه مع ذلك عجز عن اشباع نهمهم فضجروا منه وتجاوزوا في معاملتهم معه حدود اللياقة حتى سقط في أعين الكثيرين من أهل الاندلس، وأصبحوا عبئا ثقيلا على خزينة قرطبة في الوقت الذى انسحب فيه السودانيون ملتحقين بصانع نعمهم القاسم بن حمود باشبيلية، وقد حاول يحي بن علي الحد من تردي الاوضاع باقامة حاجز بينه وبين البربر وجنود الاندلس عامة ـ لكسب ثقة الرعية ـ دون جدوى. ومما زاد في متاعبه أن مالقة وهي قلعة الحموديين بالاندلس قد أصبحت محط أنظار خيران العامري الذي تلقى دعوة أهلها ليتولى ادارتها. وعلى أث ذلك

(33) المراكشي: المعجب، ص 50. وانظر أيضا:

E. LERI PROVENCAL: Histoire de l'Espagne Musulmane T.II. Page 332.

(34) المراكشي: المعجب، ص 50.
المقري: نفح الطيب، ج 2، ص 31. وانظر أيضا:

E. LERI PROVENCAL: Histoire de l'Espagne Musulmane T.II page 332.

(35) نقلا عن البيان المغرب لابن عذاري، ج 3، ص 132 ـ 133.

لم يجد يحي بن علي بدا من ترك قرطبه قبل أن يقع مالا يحمد عقباه، فرحل عنها في شهر ذي القعدة ٤١٣هـ / ١٠٢١ (٣٦)٠

وهكذا يكون يحي بن علي قد مكث في حكم قرطبة مدة سنة واحدة وستة أشهر. وعندما سمع القاسم بن حمود بهروب ابن أخيه، ترك ابنه محمد واليا على اشبيلية وجد في السير نحو قرطبة التي دخلها في نفس الشهر من السنة نفسها، بيد أن هذه العودة لم يباركها سكان قرطبة لذا لم يدم حكمه في هذه المرة سوى سبعة أشهر، ومن أهم أسباب عدم تزكية حكم القاسم بن حمود من طرف الرعية عدم سيطرته على البربر الذين كانوا أيضا يقاتلون السكان خاصة في الاسواق العامة، مما أدى بهؤلاء السكان الى القيام بثورة مسلحة انتهت في ٢١ جمادى الاخرة ٤١٤هـ / ٢١ سبتمبر ١٠٢١م٠ بانهزام القاسم وهروبه مع جنده السودانية وبعض البربر الى مدينته الاولى اشبيلية، في حين لجأ بعض البربر في جيشه الى مدينة مالقة حيث يحكم يحي بن علي (٣٧)٠

وعلى أثر انهزام القاسم بن حمود كتب لاهل اشبيلية يطلب منهم إخلاء عدد من المنازل لإسكان البربر الذين كانوا معه، لكن أهل إشبيلية إستنكروا ذلك الطلب فاجتمع أعيانها بزعامة القاضي أبي القاسم محمد بن اسماعيل ابن عباد اللخمي ــ الذى كان القاسم بن حمود قد عينه قاضيا على المدينة ــ واتفقوا على رفض طلب القاسم بن حمود والتخلص منه نهائيا، وتظهر مهارة القاضي أبي القاسم اللخمي القيادية في تمكنه من كسب محمد بن زيرى ــ وهو قطب من أقطاب البربر الذين وضعوا سلاحهم في خدمة ملك الحموديين ــ الى صفه بعد أن أطمعه في الحكم اذا تم الانتصار على القاسم، وقدرجحت كفتهم بالفعل في القتال، وانسحب القاسم بن حمود صحبة ولديه محمد والحسن وأصحابه وأمواله الى مدينة شريس القريبة، أما محمد بن زيرى

---

(36) المقري: نفح الطيب ج 2. ص 32.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ. ج 7، ص 286.
المراكشي: المعجب. ص 50.
(37) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج 7. ص 286.
المراكشي: المعجب. ص 51. وانظر أيضا:
E. LERI PROVENCAL: Histoire de l'Espagne Musulmane T.II page 333.

الذى دفعه الطمع في التملك الى خيانة صفه فقد أخرجه القاضي أبو القاسم بن عباد بخفي حنين (٣٨)٠

وعندما سمع يحي بن علي حاكم مالقة باستقرار عمه القاسم بمدينة شريس التي تقع جنوب اشبيلية، قصده بقواته لمحاربته، وبعد وصوله الى المدينة حاصرها مدة عشرين يوما كانت كلها حربا ضروسا، لكن انهيار معنويات رجال القاسم بن حمود، وتعاظم قوات يحي بن علي التي تدعمت بهروب السودانية وبعض البربر الى صفها جعل القتال يسفر عن انتصار يحي بن علي، الذى ألقي القبض على عمه وولديه محمد والحسن ثم ساقهم بأصفاد الى سجن مالقة ومكث القاسم في هذا السجن ثلاث عشرة سنة لم يجروء أثناءها يحي على قتل عمه رغم أنه كان متعطشا لذلك كي لا يعود عمه الى حكم قرطبة للمرة الثالثة لكن خواصه، وقرابته الشديدة منه حالا دون قتله الى أن مات في ظروف غامضة في عهد أخيه ادريس سنة ٤٢٧هـ / ١٠٣٦م ويبدو أنه مات موتا عاديا في سجنه بعد عمر مديد (٣٩)٠

نهاية دولة بني حمود بقرطبة

حاول سكان قرطبة بعد هروب القاسم بن حمود، إحياء الخلافة الاموية من جديد، فبايعوا عبدالرحمن بن هشام بن عبدالجبار بن عبدالرحمن الناصر يوم الثلاثاء ١٦ رمضان ٤١٤هـ / الموافق ٢ ديسمبر ١٠٢٣م، وكان عمره أنذاك ثة وعشرين عاما وتلقب بلقب المستظهر بالله، بيد أن خلافته لم تدم سوى سبعة وأربعين يوما، قتل على أثرها بسبب سجنه لمجموعة من أعيان قرطبة، وترحيبه بوفد من البربر حل بقصره، وكان هوءلاء الاعيان يوءلبون الناس من سجنهم ضد الخليفة فثاروا في وجهه مستغلين وجود الوفد البربري في قصره فقتلوهم جميعا، وكان ذلك في ذى القعدة من نفس السنة (٤٠)٠

---

(38) ابن خلدون: العبر، المجلد الرابع، ص 232.
ابن الأبار: الحلة السيراء، الجزء الثاني، ص 35، وانظر أيضا:
R. DOZY: Histoire des Musulmans d'Espagne T. IV page 78.

(39) ابن خلدون: العبر، المجلد الرابع، ص 332. وانظر أيضا:
E. LERI PROVENCAL: Histoire de l'Espagne Musulmane T.III page 333.
Encyclopédie de l'Islam T.III. page 150.

(40) ابن الخطيب: أعمال الاعلام، ص 135.
E. LERI PROVENCAL: Histoire de l'Espagne Musulmane T.II page 334.335.

وعلى أثر ذلك خلفه محمد بن عبدالرحمن بن عبيدالله بن الناصر في يوم ٣ ذو القعدة ٤١٤هـ / ١٧ جانفي ١٠٢٤، وتلقب بلقب المستكفي بالله، وهو ابن عم المستظهر بالله الهالك. وذكر ابن الابار (٤١) أن المستكفي هو الذى قتل ابن عمه ليفوز بالخلافة. ولم يكن هذا الخليفة الجديد في مستوى منصبه، واعتبره المؤرخون بلية على أهل قرطبة لما عرف عنه من انحلال في الخلق، فضلا عن كونه جاهلا (٤٢). وهكذا وجد يحي بن علي بن حمود التربة الخصبة والجو الملائم ليعود من جديد الى حكم قرطبة.

وكانت أنباء استعداداته وتحركه قد وصلت الى قرطبة فدخل الوزراء وأعيان المدينة الى المستكفي، وطلبوا منه بأسلوب شديد اللهجة الخروج معهم لمواجهة عدوهم، فأجابهم بجواب هدأ غضبهم، ثم فر هاربا من قرطبة متنكرا في زى النساء في يوم ٢٥ ربيع الاول سنة ٤١٦هـ / ٢٦ ماى ١٠٢٥م، وبعد سبعة عشر يوما من ذلك قتل من طرف أصحابه بأرض مدينة سالم مسموما (٤٣).

أما زمام حكم قرطبة فقد عاد الى يحي بن علي الذى دخل قصرها يوم ١٦ رمضان سنة ٤١٦هـ / ٩ نوفمبر ١٠٢٥، ومكث هناك الى نهاية السنة، ثم كان خروجه من قرطبة الى مالقة يوم الثلاثاء ٨ من شهر المحرم سنة ٤١٧هـ / ١ مارس ١٠٢٦م، تاركا مقاليد حكم المدينة لكاتبه أبي جعفر أحمد بن موسى، ودوناس بن أبي روح اللذين لم ينعما بالراحة، اذ سرعان ما ثار أهل قرطبة ضدهما للتخلص من حكم البربر، وكان قدوم خيران وزهير العامريين نحو قرطبة عاملا مساعدا لهم في ثورتهم، وقتل أثناءها حوالي ألف رجل من البربر. أما أحمد بن موسى ودوناس بن أبي روح فقد نجيا بنفسيهما وهرب الاول الى مالقة بينما التحق دوناس بغرناطة. وكان ذلك يوم الثلاثاء ٢٠ ربيع الاول سنة ٤١٧هـ/ ١٠٢٦م (٤٤). وبانتهاء الفترة الثانية لحكم يحي بن علي بن حمود بقرطبة

---

(41) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج 2، ص 12 أنظر أيضا:
- المراكشي: المعجب، ص 54.
(42) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 7، ص 287.
(43) ابن الخطيب: أعمال الاعلام. ص 136.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ الجزء السابع ص 288. وانظر أيضا:
E. LERI PROVENCAL. Histoire de l'Espagne Musulmane T.II, page 336.
(44) ابن الخطيب: أعمال الاعلام. ص 136.
ابن عذاري: البيان المغرب الجزء الثالث. ص 143.

ـ والتي كانت مدتها أقل من أربعة أشهر ـ انتهت دولة بني حمود بقرطبة ثم انتقلت الى مدينة مالقة.

استمرار دولة بني حمود في مالقة

لعبت مدينة مالقة دورا بارزا في دولة بني حمود فقد كانت لهم بمثابة رأس الجسر الذى مكنهم من الفوز بحكم قرطبة، وظلت تلعب دور الوسيط بين هذه الاخيرة والمغرب حتى أرغموا على الانسحاب من قرطبة وعلى اثر ذلك اتخذوا مالقة عاصمة لهم، فازدادت أهميتها خاصة وأنها محاطة بمجموعة من الامارات البربرية كامارة غرناطة وامارة رندة وامارة مورور. وفي هذه الاثناء كان الشغل الشاغل ليحي بن علي بن حمود يتمثل في توحيد جنوب الاندلس تحت رايته، لذا كان لزاما عليه أن يخضع الامارات التي ظلت خارجة عن نفوذه، وفي هذا الاطار استولى على امارة قرمونة وفر صاحبها محمد بن عبدالله البرزالي البربرى الى إشبيلية(٤٥) ولم تكن هذه الاخيرة بمنأى عن خطر يحي بن علي الذى خرب أراضيها بغزوات عديدة دون أن يجرؤ بنو عباد على الخروج اليه من حاضرتهم (٤٦). وهكذا أصبح يحي بن علي شبحا مخيفا للجميع خاصة أشبيلية وقرطبة، وقد ظل علي هذه الحالة الى أن هلك سنة ٤٢٦هـ / ١٠٣٥م في المعركة وهو تحت تأثير الخمر. وتفاصيل ذلك أن يحي بن علي انهمك في شرب الخمر في عيد الاضحى لسنة ٤٢٦هـ / ١٠٣٥ حتى ثمل وفقد توازنه، فاستغل أبو الفتح البرزالي ـ الذى كان حاضرا معه ـ هذه الفرصة ليتصل بابن عمه محمد بن عبدالله البرزالي والقاضي ابي القاسم بن عباد باشبيلية (أطلعهما على الحالة التي ترك عليها يحي بن علي، فوجدها هذان الاخيران فرصة سانحة للقضاء على عدوهما المشترك. وهكذا جهز القاضي أبو القاسم بن عباد صاحب اشبيلية جيشا بقيادة ابنه اسماعيل، فخرج به من اشبيلية بمعية محمد بن عبدالله البرزالي سنة ٤٢٦هـ / ١٠٣٥م، وعندما اقترب من مدينة قرمونة التي يحرسها السودانية كمن الجيش في جبل وسارت فرقة صغيرة منه نحو المدينة وأحدثت غوغاء عند باب المدينة بينما تسور بعض الرجال سورها.

---

(45) المراكشي: المعجب، ص 51. وانظر أيضا:
R. DOZY: Histoire des Musulmans d'Espagne T.IV. page 21.
(46) المراكشي: المعجب، ص 54. وانظر أيضا:
R. DOZY: Histoire des Musulmans d'Espagne T.IV. page 22.

وكان الهدف من هذه العملية هو استدراج جيش يحي بن علي بن حمود الى الكمين، وقد انطلت بالفعل الحيلة عليه، وفعندما إنتهى الخبر الى يحي الذى كان ثملا أمر دون تروبالخروج الى العدو ثم لم يلبث ان اشتبك الفريقان وأبلى يحي بن علي بلاء حسنا رغم كونه ثملا وتراجع أعداؤه حتى بلغوا الجبل الذى به الكمين فخرج الاشبيليون من مكمنهم وحاصروا يحي الذى لم تجده الاستماتة في القتال أمام ضغط أعدائه الذين قتلوا فرسانه المدافعين عنه ثم انتهوا به فقتلوه(٤٧)، وأرسل رأسه على جناح السرعة الى القاضي ابي القاسم ابن عباد، وقد عمت الفرحة أنحاء اشبيلية بمقتل يحي بن علي وتجاوب معها أهل قرطبة الذين ظلوا يعانون من رعبه(٤٨).

ومما يجدر ذكره أن جند اشبيلية استعملوا السيف في رجال يحي بن علي بن حمود بطريقة أثارت عصبية محمد بن عبدالله البرزالي لقومه البربر فطلب من اسماعيل ولد القاضي ابن عباد إيقاف القتال وحقن الدماء فلبي له طلبه، لكنه ظل متأثرا بالهزيمة النكراء التي لحقت ببني حمود، وإثر ذلك دخل محمد بن عبدالله البزالي الى قرمونة عن طريق مكان في سورها لان باب المدينة ظل تحت سيطرة الجند السودانية الموالية ليحي بن علي، ثم ولج الى دار هذا الاخير فملك ما وجده من مال ومتاع ونساء. وبذلك إسترجع سيادته على مدينته(٤٩). بيد أنه لم يلبث أن قتل بالسيف الذى أعاده الى حكمه وضم رأسه الى رؤوس البربر الذين احتفظ بهم المعتضد بن عباد بقصره يستمتع برؤيتهم حسب تعبير المؤرخ ابن الابار(٥٠).

وبعد هلاك يحي بن علي بن حمود، بايع البربر آخاه ادريس بن علي، وتم ذلك بحصن القصر الذى إستولوا عليه من القاضي ابن عباد. وقد حضر هذا الاجتماع حبوس بن ماكس أمير غرناطة ومحمد بن عبدالله كبير زناتة وزهير

---

(47) المراكشي: المعجب، ص 54، الحميدي: جذوة المقتبس، ص 25.
الضبي: بغية الملتمس، ص 25.
ابن عذاري: البيان ج 3، ص 188 ـ 190.
وانظر أيضا: R DOZY: Histoire des Musulmans d'Espagne T.IV page 23.
(48) R. DOZY: Histoire des Musulmans de l'Espagne T. IV page 24.
(49) ابن الخطيب: أعمال الاعلام. ص 137.
ابن عذاري: البيان المغرب، الجزء الثالث. ص 188 ـ 189.
(50) ابن الآبار: الحلة السيراء الجزء الثاني. ص 50.

العامرى حاكم المرية(٥١)٠ ثم تحالفوا على مناصرة دعوة بني حمود، ورافق ذلك قيامهم بغارات عديدة انتقامية ضد القاضي ابن عباد، فاحتلوا عدة قرى وقلاع تابعة لاشبيلية مثل قرية طشتانة وحصن زعبوقة وتم حرق طريانة وضيقوا الخناق على مدينة اشبيلية كما أغاروا على قرمونة حاضرة حليفه محمد بن عبدالله البرزالي، قبل أن ينكفئوا راجعين الى مدنهم وكان ذلك سنة ٤٢٧هـ / ١٠٣٦م (٥٢)٠

وفي الحقيقة، بموت يحي بن علي انتهى عهد قوة بني حمود لتدخل دولتهم مرحلة ضعف، وكان من الممكن جدا أن تلعب هذه الاسرة دورا ذا أهمية كبيرة لو ابتعد يحي بن علي عن حياة المجون، فهناك عوامل عديدة كانت تعمل لصالحه. فالبربر ـ الذين كانوا يشكلون القوة الضاربة في الاندلس ـ كانوا يكنون الاحترام لاسرة بني حمود ويقدمون خدماتهم لها، فضلا عن نسبه الهاشمي الشريف الذى يكسبه ثقة الرعية. لكن ضعف شخصيته ـ رغم شجاعته ـ حال دون بناء دولة قوية، وعليه فنشاط يحي بن علي بن حمود كان يغلب عليه طابع الارتجال والشغب، ولا أدل علي ذلك من محاصرته لاشبيلية والاستعداد من قرمونة للانقضاض عليها ثم يدفن نفسه ـ في نفس الوقت ـ في الخلاعة مانحا بذلك الفرصة النادرة لعدوه ليقضي عليه بأبشع طريقة.

وعلى أي حال فقد رتب ابن بقانة والخادم الصقلبي نجا ـ وهما من رجال الدولة اللذين نجيا من واقعة قرمونة ـ أمور الحكم، فقد أسرعا بعد نجاتهما الى مالقة ثم استدعيا ادريس بن علي من سبتة لحكم مالقة. وعندما وصلها حصل على بيعتهما التي اقتضت تنصيب حسن بن يحي بن علي حاكما على سبتة وطنجة، وقد رافق نجا الصقلبي حسن بن يحي نحو مقره الجديد، في حين بقي ابن بقانة بمالقة على رأس الجيش. وتلقب ادريس بن علي بلقب المتأيد

---

(51) المراكشي: المعجب. ص 61.
ابن الخطيب: أعمال الاعلام. ص 140، الحميدي، جذوة المقتبس ص 30.
وانظر أيضا: R. DOZY: Histoire des Musulmans de l'Espagne T.IV. page 25.
(52) ابن عذاري: البيان المغرب، الجزء الثالث، ص 191.

بالله، وبايعه رؤساء البربر في طليعتهم حبوس بن ماكسن، وبايعه أيضا زهير العامرى حاكم ألمرية كما أسلفنا (٥٣) ٠

وفي عهد المتأيد بالله أراد القاضي أبو القاسم بن عباد إستغلال ضعف بني حمود ليبتلع مناطق البربر الواحدة تلو الاخرى، وهكذا جعل من أرض امارة قرمونة التي تتاخمه هدفا لتوسعاته فسلخ إستجية وأشبونة عنها وحاصر ابنه اسماعيل قرمونة ذاتها، وأثر ذلك إستنجد محمد بن عبدالله البرزالي بقومة، فجاءته الامدادات العسكرية من باديس بن حبوس حاكم غرناطة وادريس المتأيد بالله، وقد قاد الاول الجيش بنفسه في حين قاد ابن بقانة الجيش الثاني ٠ وبعد اجتماع القوات الثلاثة وتشاورها قرروا عدم مواجهة جيش اسماعيل بن القاضي ابي القاسم بن عباد (54)، لعدم استكمال استعداداتهم الامر الذى جعلهم يهابون خوض المعركة ضد جيش ابن عباد الذى حقق سلسلة هامة من الانتصارات على البربر وأرغمهم على العودة الى بلدانهم التي أتوامنها٠ وكانت أخبار هذا التراجع قد انتهت الى علم اسماعيل بن القاضي بن عباد، فجد في السير ليدرك قوات باديس بن حبوس التي كانت قد فارقت لحينها قوات إدريس المتأيد بالله، غير أن ذلك لم يكن خافيا على باديس بن حبوس فأرسل رسوله الى ابن بقانة يطلب منه العودة، ثم دارت معركة حامية الوطيس بين الطرفين أسفرت عن انهزام اسماعيل بن القاضي ابن عباد، وقتل في المعركة ثم حز رأسه وحمل الى ادريس المتأيد بالله، وكان ذلك انتقاما ليحي بن علي من بني عباد لكنه لم يعر أدنى اهتمام لهذا الحدث لانه كان مشغلا بمرضه بجبل قرب مالقة (بباشتر) ثم فارق الحياة بعد يومين من صول رأس اسماعيل بن القاضي بن عباد اليه في يوم الاثنين ١٦ محرم سنة ٤٣١هـ /، وقد نقل جثمانه في تابوت الى مدينة سبتة حيث تولى أهله دفنه٠ (55) ٠

---

(53) المركشي: المعجب، ص 69. وانظر أيضا: Encyclopédie de l'Islam T.III. page 150
- ابن خلدون: العبر. المجلد الرابع. ص 333.
- ابن الخطيب: أعمال الاعلام. ص 140.
- المراكشي: المعجب. ص 61.

(54) المراكشي: المعجب، ص 61 ـ 62. وانظر أيضا: R. DOZY: Histoire des Musulmans d'Espagne T. IV. page 5 à 51

(55) الضبي: بغية الملتمس، ص 25 ـ 26.
ابن خلدون: العبر، المجلد الرابع، ص 333.
الحميدي: جذوة المقتبس، ص 31.
ابن عذاري: البيان المغرب، الجزء الثالث، ص 289 ـ 290.

أدت وفاة ادريس المتأيد الى إنفجار الصراع من أجل الحكم بين أفراد عائلة بني حمود. ففي الجزيرة الخضراء حيث كان ولدا القاسم، محمد والحسن في السجن تحت حراسة أبي الحجاج، أعلن هذا الآخير إطلاق سراحهما ثم دعا بربر الجزيرة وسودانيتها الى مبايعتهما فاستجاب الجميع لهذه الدعوة خاصة السودانية الذين آثرهم القاسم على البربر، فاستقل محمد بالجزيرة الخضراء دون أن يعتبر نفسه خليفة. أما أخوه الحسن فيبدو أنه زهد في الدنيا مفضلا خدمة آخرته على دنياه التي عرف الكثير من نكباتها ثم تصوف وخرج الى الحج مع أخته فاطمة زوجة يحي بن علي (56).

أما في مالقة فقد بدأ ابن بقانة في ترتيب الامور كي ينصب يحي بن ادريس حاكما على المدينة يخلف أباه لكن حسن بن يحي وخادمه نجا الصقلبي لم يمهلاه لانجاز مشروعه وذلك باسراعهما الى مالقة بعد دفن جثمان ادريس، وعندما وصل خبر سيرهما الى ابن بقانة فر هاربا من المدينة قاصدا جبل كماش الذي يبعد عنها بحوالي ثمانية عشر ميلا، برفقة يحي بن ادريس وعلى أثر ذلك دخل حسن بن يحي بن علي الى مالقة وبايعه أهلها وتلقب بلقب المنتصر بالله سنة ٤٣١هـ / ١٠٣٩م (57). ثم أرسل الى ابن بقانة وابن عمه يحي بن ادريس يؤمنهما فرجعا الى مالقة واستوزر حسن المستنصر كاتب أخيه، ابن بقية ليطمئنه أكثر، وفي عيد الفطر من سنة ٤٣٣هـ / ١٠٤١م، قام بتعذيبه واستصفاء أمواله ثم قتله (58). أما ابن عمه يحي بن ادريس فتتضارب الروايات

---

(56) المراكشي: المعجب ص 62 ـ 63.
الضبي: بغية الملتمس. ص 26.
(56) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، الجزء السابع، ص 288 ـ 289.
وانظر أيضا: Manual de Historia de Espana. Page 580.
(57) الضبي: نفس المصدر. ص 27.
الحميدي: جذوة المقتبس. ص 32.
ابن الخطيب: أعال الاعلام. ص 140.
المركشي: المعجب. ص 63.
(58) المراكشي: المعجب، ص 63. وانظر أيضا:
R. DOZY: Histoire des Musulmans d'Espagne T.IV. Page 58.

التاريخية حول مصيره فابن خلدون (59)، يرى أنه هلك سنة ٤٣٤هـ / ١٠٤٢م بجبل كمارش أو قتل من طرف نجا الصقلبي، بينما يرى الضبي (60) وابن الاثير (61) أنه قتل مع ابن بقانة بمجرد أن ظفر بهما حسن بن يحي بن علي، ثم رجع الخادم نجا الصقلبي الى سبتة بعد أن ترك السطيفي على رأس وزارة حسن بن يحي بن علي وقد ظل هذا الاخير في الحكم الى أن قتلته زوجته بنت عمه ادريس بالسم لتنتقم لاخيها يحي وكان ذلك في جمادى الاولى سنة ٤٣٤هـ / ١٠٤٢م (62).

وبعد وفاة حسن بن يحي بن علي قرر نجا الصقلبي استئصال شأفه بني حمود ليسيطر بنفسه على حكم مالقه (63)، لذلك غادر مدينة سبتة بعد أن ترك مقاليد الحكم فيها للفتيان الصقالبة الذين يثق في ولائهم له. وعندما دخل مدينة مالقة وجد السطيفي قد هيأ له الجو باعتقال ادريس بن يحي أخ حسن الهالك، ثم أمر بتشديد المراقبة عليه، وطلب من البربر مبايعته بعد أن وعدهم بالمال الوافر فاستجابوا لدعوته دون أن يقتنعوا بهاكل الاقتناع، وعلى أثر ذلك خرج نجا الصقلبي متجها نحو الجزيرة الخضراء للقضاء على محمد بن القاسم بن حمود وقد جرت عدة معارك بين الطرفين لاحظ أثناءها نجا الصقلبي فتور البربر وعدم تحمسهم لمقاتله محمد بن القاسم لذا قرر العودة الى مالقة ليعيد تنظيم قواته عن طريق الحد من نفوذ البربر والاعتماد أكثر على الصقالبة، غير أن ذلك لم يكن خافيا على البربر فقتله بعضهم أثناء العودة الى مالقة، وأسرعوا الى هذه الاخيرة يحملون البشرى لأهلها، ثم دخل فارسان منهم على السطيفي وقتلاه وأخرجا ادريس بن يحي من سجن ليبايع بالخلافة فتلقب بلقب العالي وكان ذلك سنة ٤٣٤هـ / ١٠٤٢م (64).

---

(59) ابن خلدون: العبر، المجلد الرابع، ص 334.
(60) الضبي: بغية الملتمس، ص 27.
(61) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 7 ص 289.
(62) المراكشي: المعجب: ص 64، وانظر:
Manual de Historia de Espana. Page 580.
R. DOZY: Histoire des Musulmans d'Espagne T. IV page 59.
(63) المراكشي: المعجب، ص 64 ـ الحميدي: جذوة المقتبس ص 33.
(64) الضبي: بغية الملتمس، ص 27 ـ 28.
المراكشي: المعجب، ص 64 ـ 65.
ابن خلدون: العبر، المجلد الرابع، ص 333. وانظر أيضا:
R DOZY: Histoire des Musulmans d'Espagne T.IV. page 60 - 61.

وقد دخل في طاعته أمراء البربر بجنوب الاندلس وفي طليعتهم باديس بن حبوس أمير غرناطة، فضلا عن رؤساء إستجة ومورور ولوشة. وكان العالي يتمتع بمجموعة من الصفات العالية الحميدة كالجود والكرم، اذ كان يتصدق كل يوم الجمعة بخمس مائة دينار، ويعيد الاملاك لاصحابها الذين سلبت منهم وكان يسعى لمحاربة الظلم والبغي والغبن فأعاد المطرودين الى بلدانهم. أما حظه من الثقافة فكان محترما اذا كان يقرض الشعر ويثيب الادباء عن أدبهم (65).

الا أن المؤرخين سجلوا عليه مجموعة من المثالب كمعاشرة للاشرار الذين يدخلون على حرمه، وخضوعه لرؤساء البربر خاصة باديس بن حبوس، فكثيرا ما تنازل لهم عن حصون عديدة من حصونه، كما سلم موسى بن عفان الذى كان يقيم بامالقة لباديس بن حبوس وقام هذا الاخير بقتله. يضاف الى ذلك أنه وضع ابن عمه محمد وحسن ولدا ادريس في السجن وتركهما تحت مراقبة مجموعة من أصحابه الذين يثق بهم، وعندما لاحظت هذه الجماعة انحراف العالي عن جادة الطريق أطلقت سراح محمد بن ادريس ثم سرعان ما بايعه سودان قصبة مالقة، غير أن الشعب ظل متعلقا بالعالي، وطلب منه الناس الاذن لمقاتلة السودانية، لكنه رفض ذلك الطلب، وفضل التنازل عن الحكم لابن عمه محمد ابن ادريس الذى تلقب بلقب المهدى وكان ذلك في عام ٤٣٨هـ/١٠٤٦م (66).

وعلى أثر ذلك قام محمد المهدى باعتقال ابن عمه ادريس العالي بنفس السجن الذى كان معتقلا فيه. وأثار ذلك عطف بعض البربر عليه فراسلوا حراس قلعة ايرش التي أسر فيها واستمالوهم اليهم، فبايعوا ادريس لذلك جرت معارك شعواء بين المهدى واتباع ادريس العالي أظهر الاول أثناءها شجاعة كبيرة فهابه البربر ورأوا ضرورة ابعاد ادريس العالي الى سبتة التي ظلت تحت حكم الرجلين البرغواطيين اللذين ولاهما عليها ادريس العالي في بداية حكمه، وهما رزق الله وسكات وقد استقبلاه بالفعل لكنهما لم يتنازلا له عن الحكم رغم مبايعتهما له،

---

(65) الضبي: بغيه الملتمس، ص 28.
المراكشي: المعجب، ص 65، الحميدي: جذوة المقتبس، ص 33.

(66) الضبي: بغية الملتمس. ص 28 ـ 29.
الحميدي: جذوة المقتبس. ص 34.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ الجزء السابع. ص 289.
المراكشي: المعجب ص 66 وانظر أيضا:
Manual de Historia de Espana page 580.

الامر الذى دفع بعض كبار البربر الى عرض خدماتهم على ادريس العالي قصد ابعاد البرغواطيين اللذين ينافسانه في الحكم، بيد أن كثرة الشدائد التي عانى من ويلاتها جعلته يرفض ذلك العرض الذى قام بنقله الى زرق الله وسكات. فأسرعا الى ابعاد هؤلاء البربر أولا ثم تخلصا من ادريس العالي باعادته الى الاندلس ونزل عند بني يفرن بتاكرنا، لكنهما ظلا على ولائهما له يخطبان له بالخلافة (67).

ومن أهم الاحداث التي هددت حكم محمد المهدى هي حملة محمد بن القاسم بن حمود الذى بايعه البربر خليفة وشجعوه على الزحف نحو مالقة للقضاء على حكم محمد المهدى، وقد حمل هو الاخر لقب المهدى، وهكذا ظهر ثلاثة خلفاء في رقعة ضيقة جدا من الارض الامر الذى أثار سخط الرعية، غير أن الحملة انتهت بالفشل ، فانكفأ محمد بن القاسم راجعا الى الجزيرة الخضراء حيث مات أثر ذلك بقليل متأثرا الى حد ما بفشله هذا . ثم خلفه ابنه القاسم (68) بن محمد بن القاسم في ادارة حكم الجزيرة سنة ٤٤٠هـ /١٠٤٨م. دون أن يتلقب بلقب الخليفة (69).

أما زمام الحكم بمالقة فقد ظل في يد المهدى محمد بن ادريس الى أن مات مسموما سنة ٤٤٤هـ / ١٠٥٢م والسبب في موته بهذه الطريقة يعود الى معاملته للبربر بالصرامة والقساوة اذ كان سفاكا لدمائهم، وعليه فقد اتفق رؤساؤهم على قتله، وأنجز باديس بن حبوس ذلك بنجاح تام عندما قدم له كاسا مسموما وصفه له بأنه لا يليق الا للخلفاء ، فحمله اليه رجل كتامي، ولما دفعه له قام بملئه بالخمر، وحاول شربه لكنه كره رائحة الكأس، فارتاب في أمره وأراد التأكد من حقيقة الامر لذا أمر الرجل بشرب الخمر، ولما استقر الخمر في أحشائه ظهر مفعول السم على جسده ومات لحينه، ثم لفظ الخليفة أنفاسه الاخيرة بعد ثلاثة أيام (70).

---

(67) المراكشي: المعجب، ص 66 ـ 67.
الضبي: بغية الملتمس، ص 29 ـ 30.
(68) الضبي: بغية الملتمس، ص 30، الحميدي: جذوة المقتبس، ص 35.
المراكشي: المعجب، ص 68.
(69) الضبي: بغية الملتمس، ص 30.
المراكشي: المعجب، ص 68.
(70) ابن الخطيب: أعمال الاعلام، ص 141 ـ 142.
ابن عذاري: البيان المغرب، ج 3، ص 218.

وعليه فقد عاد من جديد زمام الحكم بمالقة الى إدريس العالي الذى ظل محتفظا بشعبيته، فعاد بفضلها الى الحكم الى أن مات سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م. فخلفه المستعلي محمد بن ادريس ابن يحي بن ادريس. ولما آنس باديس بن حبوس منه الضعف فضل ضم مالقة اليه. أما محمد المستعلي فقد رحل الى المريـــــة (ALMERIE /) ليعبر منها البحر الى المغرب، وبذلك زالت دولة بني حمود بمالقة سنة ٤٤٩ هـ / ١٠٥٧م، فانحسر وجود الحموديين بالجزيرة الخضراء الذى استمر الى سنة ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م، ثم سقطت المنطقة بيد قائد المعتمد بن عباد وهو عبدالله بن سلام الذى حاصر الجزيرة برا وبحرا، وعندما عجز القاسم بن محمد بن القاسم عن مقاومته، فاوضه في شأن تسليم الجزيرة له مقابل منحه الامان، فرحل عنها نحو المرية حيث ظل حتى أدركته المنية (71).

وبذلك أسدل الستار على حكم بني حمود بالأندلس الذيا دام زهاء اثنتين وأربعين سنة، من يوم دخول علي بن حمود الى قرطبة سنة 407هـ/1016م، الى سقوط مالقة بيد باديس بن حبوس سنة 449هـ/1057، وأهم ما يميز هذه المرحلة الأخيرة من حكمهم هو الضعف العام اذ أصبحت خلافتهم شكلية أكثر منها فعلية، لأن زمام الأمور كانت بيد البربر الذين نصبوهم في الحكم، كما لعب عنصر الصقالبة دورا لا يستهان به نذكر منهم نجا الصقلبي الذي حاول - في وقت مبكر - حد لحكم أسرة بني حمود، فقتل من طرف البربر بموافقة السودانية وقد ظلت دولتهم تشمل لأندلس والمغرب (سبتة وطنجة) واحتلت سبتة مركزا مرموقا لكونها قاعدة خلفية تنطلق منها المحاولات الرامية الى الاستيلاء على مالقة. وكانت تبعية بربر لأندلس لنبي حمود واعترافهم بخلافتهم اسمية فقط لذلك لم يجدوا مانعا من الحفاظ عليها الى أن رأى باديس بن حبوس ضرورة وضع حد لها سنة 449هـ / 1057م، وبالرغم من تعدد عيوبها فان الخلافة الحمودية قد كانت ضرورية للبربر الذين اعتادوا الحكم المحلي والاستقلال غير أن ظروف لأندلس السياسية فرضت عليهم الوحدة من أجل البقاء فكانت دولة بني حمود العنصر الموحد لهم، ولم يأت خلفاؤها بما يستدعي التوقف عنده طويلا فحياتهم كانت مزيجا من اللهو والمجون والصراع من أجل البقاء في منصب الحاكم مهما كلفهم ذلك من ثمن، وحاول بعضهم تشجيع الحركة الثقافية دون نجاح يذكر، كما عجزوا عن توحيد شمال الأندلس المهدد من طرف الاسبان.

---

(71) ابن الخطيب: اعمال الاعلام ص 142.
المراكشي: المعجب ص 69. وانظر أيضا:

Encyclopédie de l'Islam T.III page 150.
Manual de Historia de Espana page 581.

الفصل الثالث

الدولة الزيرية بغرناطة

(٤٠٩ – ٤٨٣هـ / ١٠١٩ – ١٠٩٠م)

- تأسيسها على يد زاوي بن زيري.
- عودة زاوي الى تونس سنة ٤١٠هـ / ١٠٢٠م.
- عهد حبوس ماكسن (٤١٠ – ٤٢٨هـ / ١٠٢٠ – ١٠٣٨م).
- عهد باديس بن حبوس (٤٢٨ – ٤٦٥هـ / ١٠٣٨ – ١٠٧٣م.
- عهد عبدالله بن بلكين بن باديس (٤٦٥ – ٤٨٣هـ/ ١٠٧٣ – ١٠٩٠م).

ينتسب بلُوزيري الى قبيلة صنهاجة البربرية أحد بطون البرانس الكبرى (١) ٠ ومن المعروف أن هذه القبيلة ناصرت الدولة العبيدية الفاطمية في المغرب العربي ، وسقط أميرها زيرى بن مناد فتيلا في عام٣٦٠هـ/ ٩٧١م ٠ وهو يحارب قبيلة زناتة البربرية الموالية للامويين بالاندلس أبرز أعداء هذه الدولة٠ وكان من الطبيعي بعد ذلك أن يقع اختيار الخليفة الفاطمي الرابع ، وهو المعز لدين الله الفاطمي ، على بلكين بن زيري ليكون على رأس ولاية افريقية عندما رحل عنها الى مصر في عام ٣٦٣هـ / ٩٧٣م (٢) وأصبحت القاهرة منذ ذلك الحين مقرا للخلافة الفاطمية حتى سقوطها على يد صلاح الدين الايوبي في عام ٥٦٧هـ / ١١٧١م (٣) ٠

وحدث عندما تولى أمر افريقية باديس بن المنصور عام ٣٨٥هـ / ٩٩٥م ــ وهو الامير الزيري الثالث وحفيد بلكين ــ أن استضعفه أعمامه وأعمام أبيه فقاتلوه ولكنه انتصر عليهم وقتل بعضهم ، وكان أن طلب كبيرهم ، وهو زاوي بن زيري بن مناد ، الإذن من المنصور بن أبي عامر ليعبر الى الاندلس قصد الجهاد٠ ولما حصل على الموافقة رحل مع أهله ، فضلا عن حبوس وحباسة ابني أخيه ماكسن بن زيري الذى لقي مصرعه على يد الامير باديس ، وكان ذلك في سنة ٣٩١هـ / ١٠٠٠م٠ وعند وصولهم الى قرطبة رحب لهم المنصور وأكرم وفادتهم واتخذهم بطانة له ، كما دعم بهم جيشه فكانوا القوة الضاربة له (٤) ٠

وقد ظل زاوي بن زيرى على هذه الحالة الى أن انهارت الدولة العامرية واغتصب محمد بن هشام الملقب بالمهدي الخلافة في الاندلس سنة ٣٩٩هـ / ١٠٠٨م فعامل المهدى البربر معاملة سيئة ثم حرض أهل قرطبة على مطاردتهم فقتلوا جماعة على رأسها حباسة بن ماكسن مما دفع البربر الى مناصرة سليمان

---

(١) ــ البرانس هم البربر المستقرون بالجبال والسواحل وأشهر قبائلهم ٠ مصمودة ــ كتامة صنهاجة ــ أوربة ــ جزولة ــ عجيسة ــ هسكوره ــ أزداجة أنظر كتاب العبر لابن خلدون ، المجلد السادس ، ص ١٧٧ ، والمغرب الاسلامي د : لقبال موسى ، ص ١٦ ٠

(٢) ــ أنظر : Encyclopédie de l'Islam T. I. p. 1349.

(٣) ــ أنظر : Ibid. T. II. p. 877.

(٤) ــ ابن خلدون : العبر ، المجلد السادس ، ص ٣٦٧ ٠

بن الحكم وهو المنافس للمهدي ومساعدته بقوة السلاح على الوصول الى كرسي الخلافة في عام ٤٠٣هـ / ١٠١٢م (٥)٠

على أن الخليفة سليمان الذى تلقب بالمستعين لم يلبث أن عمد الى تفريق البربر على الاقاليم ارضاء لهم وكسرا لشوكتهم فمنح بني زيرى بن مناد البيرة (ELVIRA) وأقطع بني برزال وبني يفرن ولاية جيان وأعطى بني دمر وأزداجه منطقة موررور وشذونة. ومنح لال حمود الادارسة سواحل المغرب (٦)٠

وذكر لنا الامير عبدالله بن بلكين – آخر ملوك بني زيرى بغرناطة في مذكراته أن زاوي قد قرر العودة برجال صنهاجة الى المغرب عندما رأى انتشار الفوضى واستقلال القادة بالاقاليم، لكنه لم يلبث أن عدل عن رأيه عندما عرض عليه أهل البيرة الاقامة بينهم للذود عنهم (٧)، ومن ثم دخل مدينتهم بمن انضوى تحت لوائه من البربر وتولى حكمها وغيرها من المدن الاخرى المجاورة التي دخلت في حمايته مثل حمان وأشر، ولما وجد زاوي البيرة غير محصنة أمر السكان ببناء مدينة غرناطة (GRENADE) بسهل وادى شنيل الذى يحجبه جبل شلير لتكون معقلا لهم، وأخذت المدينة الجديدة منذ ذلك الوقت تكبر وتنمو على حساب مدينة البيرة نفسها (٨)٠

وهكذا تم تأسيس امارة بني زيرى في غرناطة. ولم يلبث موءسس هذه الامارة أن واجه خطرا كبيرا يتمثل في قدوم عبدالرحمن بن محمد الملقب بالمرتضى لمقاتلته، وكان هذا الاخير – وهو حفيد للناصر لدين الله – قد عين خليفة بشرق الاندلس واتفق مع أمراء تلك الجهات على مقاتلة القاسم بن حمود حاكم قرطبة آنذاك لاعادة مقاليد الحكم الى البيت الاموي فسار منذر التجيبي ومعه ابن مسوف وغيرهما من حكام المنطقة تدعمهم فرقة الاسبان للاجتماع بالمرتضي

---

(٥) – ابن عذارى: البيان، المغرب ج٣، ص ٥١٠
– الضبي: بغية الملتمس، ص ٢٠٠
(٦) – ابن خلدون: العبر المجلد الرابع، ٣٢٧، المجلد ٦، ص ٣٦٨٠
– محمد بن الله عنان: دول الطوائف، ص ١٢١٠
(٧) – الامير عبدالله: التبيان، ص ١٨ – ١٩٠
(٨) – الامير عبدالله: التبيان، ص ٢٠ – ٢١٠

ساطبة قصد دراسة مشروع غزو قرطبة. واجتاز التجيبي أثناء ذلك على بلنسية لكن صاحبها المدعو "مبارك" أغلق أبوابها في وجهه فحقد عليه التجيبي ولما اجتمع هذا الاخير بالمرتضي حرضه على تجنيد مبارك معهم في الغزو، لكن المرتضي فضل ابقاءه خلفه ليجمع له المال مما أغضب ـ كما ذكر ابن بسام ـ منذر التجيبي وخيران العامرى فاتفق الرجلان على الغدر بالمرتضي (٩)، ومن المحتمل أن يكون الرجلان قد هدفا منذ البداية استغلال المرتضي لتجنيد قوات كبيرة قصد القضاء على حكم الحموديين لتحقيق اطماعهما السياسية الخاصة. فاذا ما تم لهما ما أرادا تخلصا من المرتضي، ومهما يكن من أمر فقد قرر الحلفاء البدء بالهجوم على غرناطة بني زيرى والتي تعد حليفا قويا لبني حمود، وبالفعل قصد الجميع غرناطة بقواتهم التي قدرت بحوالي أربعة آلاف فارس في حين لم يستنفر زاوى بن زيرى سوى حوالي ألف فارس، وقد أبلى رجال المرتضي بلاء حسننا في القتال حتى كاد زاوى أن ييأس من النصر ولم ينقذه من الهزيمة الا انسحاب منذر بن يحي التجيبي وجماعته المتآمرين على المرتضي الذى اضطر عندئذ الى الفرار من أرض المعركة ولكن منذر التجيبي أرسل وراءه من قتله قرب وادى آش (١٠).

ولقد أظهر فرسان صنهاجة في هذه المعركة التي جرت سنة ٤٠٩هـ / ١٠١٨م كفاءة عالية وغنموا منها كثيرا. وعندما توقف القتال أرسل زاوى كتاب البشرى لامير قرطبة المغربي القاسم بن حمود صحبة نصيبه من الغنائم (١١). ومما يؤكد أهمية هذه المعركة تعرض معظم المؤرخين لذكرها بالاسهاب والتفصيل. ومما قاله عنها ابن حيان: "فحل بهذه الوقعة على جماعة من الاندلس مصيبة سوداء، أنست ما قبلها، ولم يجتمع لهم على البربر جمع بعد وأقروا بالادبار وباءوا بالصغار" (١٢). ووصفها ابن بسام بدوره قائلا: "... فاقتتلوا أياما الى أن

---

(٩) ـ ابن بسام: الذخيرة، القسم الاول، المجلد الاول، ص ٤٠٠.
(١٠) ـ ابن بسام: الذخيرة، القسم الاول، المجلد الاول، ص ٣٩٩.
(١١) ـ ابن الخطيب: الاحاطة المجلد الاول، ص ٥٢٤، أعمال الاعلام، ص ٢٢٩.
ـ ابن عذاري: البيان المغرب، الجزء الثالث، ص ١٢٥ ـ ١٢٧.
(١٢) ـ نقلا عن ابن ابسام الذخيرة القسم الاول، المجلد الاول، ص٢٩٩.
ـ ابن عذاري: البيان المغرب، الجزء الثالث، ص ١٢٧.
ـ ابن الخطيب: الاحاطة، الجزء الاول ص ٥٢٤.

انهزم الاندلسيون، وطاروا على وجهم مسلموهم وافرنجهم لا يلوي أحد على أحد، والخيل تطردهم في تلك المضائق وضرع المرتضي في ضنك ذلك المأزق، ووقع البرابرة من نهب محلة المرتضي على مالا كفاء له واتساعا وكثره... " (١٣).

هذا ويمكن أن نذكر بأن من أهم نتائج هذه المعركة، تدعيم ملك الزيريين في غرناطة وحكم الحموديين في قرطبة، وأفول نجم المروانيين الذين تفرقوا وأصبحوا من عامة الناس (١٤).

على أن ما يثير الدهشة حقيقة، هو قرار زاوي بن زيري القاضي بالعودة الى افريقية بعد النصر الذى حققه (١٥)، ويبدو أنه قرر الرحيل لانه اعتقد أن انتصاره على أهل الاندلس تم نتيجة خيانة الامراء لخليفتهم المرتضى وليس بقوة الصنهاجين بهذه البلاد مهما تعاظمت هذه القوة، لان الاندلسيين أكثر عددا منهم، كما تخوف أيضا من احتمال تحالف زناتة البربرية ـ الموالية لبني أمية ـ مع الاندلسيين ضده. ومهما يكن من أمر فقد نصح زاوي قومه بالرجوع الى الوطن. وعندما وجد أن نصيحته لم تجد أذانا صاغية لديهم، رحل بمفرده بعد أن ترك حكم غرناطة في يد أبنه حلالي، وركب في عام ٤١٠هـ / ١٠١٩م من ميناء المنكب بأمواله مع أهله وغنائمه التي غنمها أيام الفتنة، كما حمل معه رأس سليمان بن الحكم الذى كان قد وهبه له علي ابن حمود أمير قرطبة بطلب من زاوي انتقاما من الامويين المهدى اليهم رأس والده زيرى بن مناد ونقله معه ليفتخر به على قومه (١٦).

وعندما وصل زاوي بن زيري الى القيروان رحب به حاكمها المعز بن باديس وأسكنه جناحا في قصره لكنه لم يقلده أي منصب في الحكومة خوفا منه، ثم لم يلبث أن قتل من طرف الوزراء خشية دهائه ومنزلته لدى المعز بن

---

(١٣) ـ ابن بسام: الذخيرة، القسم الاول، المجلد الاول، ص ٣٩٨.
(١٤) ـ ابن عذاري: البيان المغرب، الجزء الثالث، ص ١٢٨.
ـ الامير عبدالله الزيرى: التبيان، ص ٢٣.
(١٥) ـ ابن بسام: الذخيرة القسم الاول، المجلد الاول، ص ٤٠١.
ـ ابن الخطيب: أعمال الاعلام، ص ٢٢٩.
(١٦) ـ ابن بسام: الذخيرة، القسم الاول، المجلد الاول، ص٤٠١-٤٠٢.
ـ ابن خلدون: العبر المجلد السادس، ص ٣٦٨.

باديس(١٧) ومما يروى عنه أنه قال لقومه أيام الفتنة، ان جمعتم لن تُطافوا وان تفرقتم لم تبقوا والجماعة في طلبكم. وقد اشتهر بالشجاعة وحصافة الرأي والدهاء. كما كان يقدر دور الرعية في صنع الانتصار العسكري ويدرك أنها لا تستقر على قرار، فالناس دائما الى جانب القوي ، لذلك لم يخض عمار الحرب ضد المرتضي الا بعد أن جدد له الناس الولاء (١٨). وقد وصفه ابن الخطيب بقوله: ""وكان ليث الحروب، وفل الوقائع، ورجل القبيل قاطبة دهاء وحزما وحصافة ونكراء وصبرا واقداما ورأيا"" (١٩).

عهد حبوس بن ماكس ٤١٠هـ - ٤٢٨هـ / ١٠١٩ - ١٠٣٦م

عندما آل الامر الى حلالي بن زاوي بعد رحيل أبيه عن الاندلس، عزم على القاء القبض على القاضي أبي زمنين - الذى سمت مكانته لدى زاوي مما أثار قلق حلالي - لكن القاضي اطلع على نية حلالي وهو بالمنكب يشارك في توديع زاوي، فقصد حبوس بن ماكس ابن عم حلالي الذى كان بحصن آشر القريب من غرناطة، وأقنعه بالسير الى هذه المدينة المذكورة حيث ينتظره أهلها، فاسرع اليها حبوس بقواته واتجه مباشرة الى قصبتها وضبط شؤونها ثم التقى بابن عمه حلالي الذى انفض من حوله رجال صنهاجة والتحقوا بخدمة حبوس(٢٠).

وفي عهد حبوس بن ماكس برزت شخصية يدير ابن أخيه المتميز بالذكاء وكثرة القراءة ومجالسة الفقهاء فجلب انتباه عمه حبوس الذى أخذ يصرفه في مهام سياسية مما أكسبه الشهرة وثقة كثير من الناس فيه حتى أصبح مرشحا للحكم بعد حبوس. ومما ساعده على الطمع في هذا المنصب خوف أهل صنهاجة من باديس

---

(١٧) - ابن بسام: الذخيرة، القسم الاول، المجلد الاول، ص ٤٠٢.
- ابن خلدون: العبر، المجلد السادس، ص ٣٦٨.

(١٨) - جدد له الناس ولاءهم له بقولهم: ""نحن رعيتكم الطائعة وأسيافكم القاطعة"". أنظر التبيان للامير عبدالله الزيري، ص ٢٠.

(١٩) - ابن الخطيب: أعمال الاعلام، ص ٢٢٨.

(٢٠) - عاتب حلالي حبوس ماكسن على الطريقة التي دخل بها الى غرناطة بقوله أهذا دخول مكتئب بفراق عشيرته؟ هو بدخول شامت أشبه كأنك فتحت بلدا وطردت عدوا"" أنظر: ابن بسام: الذخيرة، المجلد الاول، القسم الاول، ص ٤٠٣.

بن حبوس الذئ كان حاد المزاج عنيفا في معاملة الناس فأصبحوا يؤثرون يدير ابن عمه عليه. لكن باديس علم بما يحاك في الخفاء ضده لابعاده عن الحكم، ومن ثم عمد الى استمالة بعض شيوخ صنهاجة اليه، فدافعوا عنه بحرارة في مجلس أبيه الى أن عينه خلفا له (٢١).

وقد توفي حبوس بن ماكن سنة ٤٢٨هـ / ١٠٣٦م بغرناطة وتميزت سياسته بالحكمة والاعتدال فاستحق بذلك اعجاب الرعية به، ولم يستأثر بالحكم بطريقة عمياء اذ كان يستشير أبناء أعمامه وشيوخ صنهاجة في كل الامور، وعين بعضهم قادة وحكاما على الاقاليم، وكان يزودهم بالنصائح للاهتمام بالجيش من حيث التنظيم والتدريب والتسليح والعدد، واشتهر بقوله: "ان صنهاجة عندي مثل الاسنان في الفم ان عدمت واحدا لا تخلفه أبدا" (٢٢). هذا وقد وصف ابن بسام شخصية حبوس بن ماكسن بقوله: "وكان وقورا حليما، فظا مهيبا نزر الكلام، قليل الضحك، كثير الفكر، شديد الغضب، غليظ العقاب، شجاعا حسن الفروسية، جبارا متكبرا، داهية واسع الحيلة كامل الرجولة" (٢٣).

عهد باديس بن حبوس ٤٢٨ — ٤٦٥هـ / ١٠٣٦ — ١٠٧٣م

آل الامر بعد وفاة حبوس بن ماكسن سنة ٤٢٨ هـ / ١٠٣٦م الى ابنه باديس بن حبوس الذى واجه محاولة ابن عمه يدير الرامية الى الاستيلاء على الحكم. لكن باديس استطاع أن يجهض المؤامرة في المهد بفضل يقظة وزيره اليهودي أبي ابراهيم اسماعيل بن نغرالة. وكان أبو الفتوح ثابت ابن محمد الجرجاني (٢٤)

(٢١) — زجر باديس بن حبوس، ابن عمه يدير بقوله: لا تشره ماليس لك يا بن حباسة. فزاد مقت يدير لابن عمه وجمع بعض الناس ووالي أخاه بلكين بن حبوس نكاية به وليتخذه مطية للوصول الى الحكم، وعندما عاتبه ولامه بعض أصحابه على فعله هذا أجابهم بقوله: "فأنما أنا أصيد به". وقد استغل جهل بلكين الشؤون السياسيه ليحثه على قتل أخيه باديس لكنه لم يقض وطره. أنظر: الامير عبدالله الزيرى: التبيان، ص ٢٨ — ٢٩.

(٢٢) — نفس المصدر، ص ٢٧.

(٢٣) — ابن بسام: الذخيرة، المجلد الاول، القسم الاول، ص ٤٠٣.

(٢٤) — حل أبو الفتوح الجرجاني — وهو من علماء المشرق — بالاندلس أيام الفتنة وكان غزير الادب وافر الحكمة متضلع في علم الفلك، وصفه ابن الخطيب بكونه أكمل رجل علما وأدبا، فضلا عن كونه فارسا مغوارا. وقد تنبأ أبو الفتوح الجرجاني ليدير بأنه سيحكم غرناطة مدة ثلاثين سنه. انظر: ابن الخطيب: الاحاطة المجلد الاول ص ٤٦٤.

Manual de Historia de Espana, p. 577.

من أكبر مساعدي يدير في مؤامرته ضد باديس، وكان اتفاق المتآمرين يقضي بقتل باديس أثناء تنزهه بحديقة قصره.

ولما علم يدير بفشل المؤامرة هرب رفقة أبي الفتوح ثابت بن محمد الجرجاني الى اشبيلية، وندم بلكين بن حبوس على ما اقترفه من ذنب ازاء أخيه باديس، فعفا عنه هذا الاخير، في حين ظل يدير منفيا يساعد أعداء باديس الى أن مات. ثم اشار اسماعيل بن نغرالة على باديس بتأليب أتباع يدير بعضهم ضد البعض واستعمال المال والهبات حتى تتم تصفيتهم جميعا (٢٥). أما أبو الفتوح الجرجاني فقد ظل في المنفى حتى علم بسجن زوجته ثم سلم نفسه لباديس أملا في الحصول على العفو لكن هذا الاخير ألقي به في غياهب السجن ريثما يتم البت في قضيته. وبعد أيام قليلة عزم باديس على قتل أبي الفتوح الجرجاني فاستدعاه الى مجلسه ثم أخذ في تأنيبه وشمته فأيقن أبو الفتوح بالهلاك وواجه مصيره بشجاعة نادرة مما أثار سخط باديس فهجم عليه بسيف أحضره لهذا الغرض فقتله ثم حز رأسه. وعلى أثر ذلك أمر باديس بدفنه الى جانب قبر أحمد بن عباس وكان ذلك سنة ٤٣١هـ / ١٠٨٩م (٢٦).

وبالنسبة لحروب باديس فان أخطر حرب واجهته هي تلك الحرب التي جمعته بزهير العامري حاكم ألمريه (ALMERIE) ومرسية (MAURICE) ففي عهد حبوس بن ماكسن كانت علاقة غرناطة مع زهير العامري حسنة مما أدى الى تحالفهما ضد ابن عباد (حاكم اشبيلية) وفي عهد باديس أصيبت هذه العلاقات بالفتور بسبب تجرؤ زهير العامري على ايواء ألد أعداء باديس وهو محمد بن عبدالله زعيم زناتة، فأرسل له باديس رسولا يعاتبه ويقترح عليه تجديد التحالف بين امارتيهما، وفي الحقيقة فان زهير العامري كان طامعا في ضم غرناطة الى امارته (٢٧). وعلى أي حال فانه لم يلبث أن سار بقوات كبيرة صوب غرناطة

---

(٢٥) ـ الامير عبدالله بن بلكين: البيان، ص ٣٤.
(٢٦) ـ ابن الخطيب: الاحاطة، المجلد الاول، ص ٤٦٥.
ـ ابن بشكوال: كتاب الصلة، ج١، ص ١٢٥.
(٢٧) ـ كانت امارة زهير العامري تضم مرسية والمرية وشاطبة وبياسة وبلغت حدودها الى قرطبة وحدود طليطلة وعليه فقد كانت أكبر مساحة من امارة غرناطة. أنظر: ابن الخطيب: نفس المصدر، ص ٥٢٧.

بطريقة تشبه تنقل الامير الى عامل له، ولم يحترم الحدود التي اعتاد الوقوف عندها من أرض باديس، بل توغل في أرض جاره دون أن يفكر حتي في تأمين طريق العودة وعندما أشرف على غرناطة خرج اليه باديس بن حبوس معاتبا ومستنكرا اقتحامه هذا، غير أن ذلك لم يحل دون اكرامه باذلا له الوانا من العطاء والقرى، بيد أن ذلك الاستقبال الحسن لم يزد زهيرا الا غرورا، وانتهت المفاوضات بخلاف بين الرجلين. وعلى أثر ذلك تأكد باديس أنه لا مناص من الحرب، فنصب الكمائن، ثم جرت المعركة، قرب غرناطة عام ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م، وهي معركة أبلى فيها رجال زهير بلاء حسنا بفضل قيادة "هذيل" مع جماعة من أصحابه الاشداء، ومن ثم أدرك باديس أنهم القوة الضاربة في جيش زهير العامري متى قضي عليهم انهزم الجيش فحمل عليهم رجال باديس والقوا القبض على هذيل ثم حز رأسه مما أدى بالفعل الى تفكك قوات زهير العامري فقتل رجال باديس الكثير من أفرادها، ثم استسلمت بعد ذلك فرقة السودان التابعة لجيش زهير، أما هذا الاخير فقد قتل في المعركة لكن جثته لم يعثر عليها، ويعتقد أنه قتل بقرية الفونت خارج غرناطة (٢٨).

وعلى أثر ذلك غنم باديس الشيء الكثير من المال والخيام وأسر عددا من الفرنسان والعلماء قتل بعضهم واستبقى البعض الاخر في السجن واطلق سراح من برأت ساحته. وكان أحمد بن عباس وزير زهير العامري ضمن الاسرى الذين لم يطلق باديس سراحهم لتيقنه من كونه محرضا لزهير على غزو غرناطة، وبعد أن قضي أحمد بن عباس مدة اثنين وخمسين يوما في السجن ـ حاول خلالها ابن جهور حاكم قرطبة التوسط له لانقاذ حياته ـ استدعاه باديس فحاول أحمد بن عباس فداء نفسه بمبلغ ثلاثين ألف دينار وكاد أن ينجح في ذلك لولا تدخل بلكين بن حبوس الذى أوضح لاخيه باديس أن اطلاق سراحه سيثير فتنة أخرى تأكل من أمواله أضعاف فديته وعلى أثر ذلك قتله باديس بنفسه (٢٩).

---

(٢٨) ـ ابن عذارى: البيان المغرب، الجزء الثالث، ص١٦٩ـ١٧١.
ـ محمد بن عبدالله عنان: دول الطوائف، ص ١٢٧.
وأنظر أيضا: Encyclopédie de l'Islam T. IV. p. 1300.
Manual de Historia de Espana. p. 577.

(٢٩) ـ ابن الخطيب: الاحاطة، المجلد الاول، ص ٢٦٧ الى ٢٧٠.
ـ ابن عذارى: البيان المغرب، الجزء الثالث، ص ١٧٢.

وكان لهذا النصر أثر في تدعيم ملك باديس ورفع معنوياته لمواجهة خطر بني عباد، حكام اشبيلية بالتحالف مع الاسر البربرية المستقرة بجنوب الاندلس والتي تعاني من نفس الخطر. وقد حدث في عام ٤٣١هـ / ١٠٣٩م. أن استولى جيش اشبيلي عبادي بقيادة القاضي أبي القاسم بن عباد على أشبونة واستجه ثم حاصر قرمونة حاضرة محمد بن عبدالله البرزالي، فاستنجد هذا الاخير بصاحب غرناطة باديس بن حبوس الذى قاد الجيش بنفسه وبصاحب قرطبة ادريس بن علي الحمودي الذى أنجده بفرقة من قواته بقيادة ابن بقية، ولم تلبث المعركة أن جرت بين هؤلاء البربر المتحالفين وجيش بن عباد، وانجلت عن انتصار البربر ومصرع قائد جيش بني عباد اسماعيل بن القاضي أبي القاسم بن عباد، الذى أرسل رأسه في الحال الى ادريس المتايد بالله أمير الحموديين (٣٠).

بيد أن هذه الهزيمة النكراء لم تمنع بني عباد من مناوشة البربر، وتمكن المعتضد ابن عباد من تحقيق عدة انتصارات على حساب باديس بن حبوس الا أن أثرها كان محدودا، وحدث أن سئم أهل مالقة حكم باديس بن حبوس الذى طال عليهم منذ سنة ٤٤٩هـ / ١٠٥٧م، فاتصلوا بالمعتضد بن عباد يعرضون عليه انضواءهم تحت حكمه، وفضلوه على باديس بسبب انتسابه الى جنسهم (٣١). ووجدت الفكرة هوى في نفس المعتضد الذى كان ينوق الى ضم المدينة فاسرع بايفاد حملة اليها بقيادة ولده جابر ومحمد المعتمد، ولم يجد جيش ابن عباد صعوبة في الدخول الى مالقة (MALAGA) حيث كان ينتظره أعيان المدينة المناوئين لحكم باديس فأخضع المدينة لنفوذه باستثناء قصبة المدينة المحصنة على قمة جبل تحصنت بها فرقة السود التابعة لباديس بن حبوس بقيادة مخلوف بن ملول، وأشار أهل مالقة على المعتمد وأخيه جابر بضرورة أحكام الحصار على القصبة خوفا من أن يتصل جنودها بباديس لطلب الدعم العسكرى، لكن المعتمد ضرب برأي أهل مالقة عرض الحائط، لثقته في قادة

(٣٠) ـ الضبي: بغية الملتمس، ص ٢٥ ـ ٢٦.
ـ ابن خلدون: العبر المجلد الرابع، ص ٣٣٢.
ـ ابن الاثير: الكامل في التاريخ الجزء الاول، ص ٢٨٨ ـ ٢٨٩.
وأنظر أيضاً: Encyclopédia de l'Islam T. IV. p. 1300.

(٣١) ـ أنظر: R. Dozy : Histoire des Musulmans d'Espagne T. IV. p. 108.

جيشه الذين أخبروه بأن الحصن سيستلم أن آجلا أو عاجلا لذلك لا داعي لتشديد المراقبة عليه. ومما تجدر الاشارة اليه أن جنود البربر الذين كانوا يشكلون عددا كبيرا من قوات المعتمد كانوا يميلون الى باديس بن حبوس وعليه فالنصائح التي أسدوها اله كانت تخدم باديس بن حبوس، ومهما يكن من أمر فقد سقطت مالقة في يد المعتمدين عباد في ظرف وجيز يقل عن أسبوع باستثناء قصبتها ، فأقيمت الحفلات ابتهاجا بالنصر شارك فيها المعتمد واستبعد جيشه أي خطر عنهم فقصروا في أداء واجب الحراسة (٣٢) . فكان ذلك فرصة لمحلوف بن ملول قائد فرقة السود المحاصرة في القصبة ليتصل بباديس بن حبوس طالبا منه الدعم العسكرى فأنجده بفرقة تحت امرة يحي بن يفرن الذى دخل الى مالقة ليلا دون أن يشعر أو يحس جنود محمد المعتمد بن عباد الذين فقدوا وعيهم بفعل تأثير الخمر عليهم ، فاستعمل يحي بن يفرن فيهم السيف دون أن يقدر رجال المعتمد على المقاومة بل فر بعضهم وألقي القبض على البعض الاخر ، أما المعتمد فقد أنسحب الى رندة ناجيا بنفسه (٣٣) .

وعندما علم المعتضد بن عباد بالهزيمة التي حلت بجيشه بسبب تهاون ابنه المعتمد ، اشتد به الغضب ، ولم يحاول المعتمد نكران مسؤوليته في ذلك بل سعى للحصول على العفو من أبيه وفي هذا السياق أرسل له أشعارا (٣٤) يصف فيها كرمه وانتصاراته التي ذاع صيتها عبر الافاق وألقي تبعة الهزيمة على البربر ، فلما قرأ المعتضد ذلك الاعتذار عفا عن ولديه المنهزمين (٣٥) . وبالنسبة لاهل مالقة الذين رحبوا بمقدم جنود بني عباد كما ذكرنا ، فقد عفا باديس بن حبوس عنهم وزاد في اكرام قضاتهم واعلاء مراتبهم لاكتساب ثقتهم وكان ذلك عام ٤٥٨هـ / ١٠٦٦م (٣٦) .

(٣٢) ـ ابن خاقان : قلائد العقيان ، ص ٤١ .
وأنظر أيضا : R. Dozy : Histoire des Musulmans d'Espagne T. IV. p. 109.

(٣٣) ـ ابن عذارى : البيان المغرب ، الجزء الثالث ، ص ٢٧٤ .
وأنظر : R. Dozy : Histoire des Musulmans d'Espagne T. IV. 110.
(٣٤) ـ راجع هذا الشعر في ملحقات البحث .
(٣٥) ـ ابن عذارى : البيان المغرب ، الجزء الثالث ، ص ٢٧٥ .
ـ ابن خاقان : قلائد العقيان ، ص ٢٣ .
(٣٦) ـ الامير عبدالله الزيرى : التبيان ، ص ٥٨ .
وأنظر : Encyclopédie de l'Islam T. IV. p. 1300.

وبالنسبة لعلاقات باديس بن حبوس مع بني صمادح التجيبيين حكام امارة ألمرية (ALMERIE) فقد كانت حسنة في بدايتها اذ قامت على أساس التحالف وحسن الجوار. ومن دلائل ذلك أن باديس بن حبوس وقف مع أبي الاحوص معن بن صمادح حاكم الامارة عندما قام عبدالعزيز بن أبي عامر – صاحب بلنسية بمحاربته في سنة ٤٣٣هـ / ١٠٤١م. وقد استمرت هذه العلاقات الطيبة في عهد أبي يحي محمد بن صمادح الملقب بالمعتصم الذى خلف أباه أبا الاحوص سنة ٤٤٣هـ / ١٠٥١م، ووجد أبو يحي محمد بن صمادح من باديس بن حبوس خير حليف في حروبه ضد خاله عبدالعزيز بن أبي عامر صاحب امارة بلنسية (٣٧).

على أن العلاقات بين امارتى غرناطة وألمرية لم تلبث أن عصفت بها الاضطرابات عندما حاول أبو يحي محمد المعتصم حاكم ألمرية استغلال كبر سن باديس بن حبوس وركونه الى الدعة لضم عدة مقاطعات من امارته شرق غرناطة، فاحتل وادى آش وجيان لكن باديس تمكن من استرجاعهما. وفضلا عن ذلك فقد كاد أبو يحي محمد المعتصم أن يستولي، في أواخر عهد باديس، على غرناطة نفسها بمساعدة وزير باديس اليهودي يوسف بن نغرالة لكن الزيريين اكتشفوا المؤامرة قبل تنفيذها (٣٨).

كان ذلك عن حروب باديس بن حبوس وسياسته الخارجية، أما فيما يخص سياسته الداخلية فان أكثر ما يسترعي الانتباه هو تحكم اليهود في ادارته الى درجة أثارت السخط الشعبي، فما هي الاسباب التي أدت الى ذلك يا ترى؟

(٣٧) – حقد عبدالعزيز بن أبي عامر على حفيده أبي يحي بن محمدبن صمادح، فأوعز الى صاحب لورقة ابن شبيب بالثورة ضد المعتصم، فاستعان بأبو يحي المعتصم بدوره بباديس وبذلك تمكن من استرجاع لورقة. لكنها لم تلبث أن عادت الى يد ابن شبيب الذى أورثها لاخوانه الذين انضووا تحت راية بني عباد باشبيلية، وفي عهد عبدالملك بن عبدالعزيز بن أبي عامر الملقب بالمظفر ٤٥٢هـ / ١٠٦٠م، أغار أبو يحي المعتصم بن صمادح على بعض حصون امارة بلنسية بتدمير بمساعدة قوات باديس بن حبوس لكنه رد على أعقابه خائبا. أنظر: ابن عذاري: البيان: الجزء الثالث، ص ١٧٤ – ١٧٥. محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص ١٦٤ – ١٦٥.

(٣٨) – أنظر: R. Dozy : Histoire des Musulmans d'Espagne T. IV. p. 116.

لقد حقق اليهود ذلك بفضل اسماعيل بن نغرالة اليهودي الذي اتخذه حبوس بن ماكسن كاتبا له ووزيرا ثم استبقاه باديس بن حبوس وأقره في منصبه لدوره الكبير في احباط محاولة يدير ـ ابن عمه الهادفة الى اغتصاب الحكم (٣٩). ولكفاءته العالية في جمع الاموال ولخصاله الادارية الاخرى، فضلا عن ثقافته العالية (٤٠). وقد عين اسماعيل بن نغرالة أهل ملته على الاقاليم فاكتسبوا المال وأثروا خزينة باديس بن حبوس، ولكنهم لم يتوخوا العدالة في جمعها وتطاولوا على المسلمين الذين حقدوا عليهم وأسروها لهم في نفوسهم لتعذر تقديم شكوى ضدهم. لعلمهم بان باديس بن حبوس كان يثق فيهم ثقة عمياء ويفضلهم على غيرهم لكونهم عناصر هادئة لا تثير القلاقل في وجهه لعدم تطلعهم الى الاستيلاء على الحكم خلافا للعناصر الاخرى (٤١).

ولما هلك اسماعيل بن نغرالة خلفه ابنه يوسف في منصبه الوزاري، وكان أبوه قد أعده لهذه المهمة بتخصيص عدد من المعلمين للاشراف على تعليمه وتربيته، واشتهر يوسف بن نغزالة بحبه للمطالعة وجمعه للكتب والمال وحدة الذهن، وانتهج سياسة أبيه في تعيين اليهود على الاقاليم وبث العيون على باديس ابن حبوس في القصر من النساء وبالفتيان الذين اشترى ضمائرهم بالمال وتمادى حتى ارتدى نفس الزي الذي كان يرتديه باديس بن حبوس، ثم اشتدت سيطرته على القصر بعد أن أصبح باديس بن حبوس أسيرا لمجالس الخمر. ولم يكن يهوديا الا بالاسم فهو غير متدين لكنه لم ينتقد الديانة اليهودية كما فعل بالاسلام، ولم يكن يحسن المداراة كأبيه بل كان متكبرا منجبرا لا يقيم وزنا للعدالة فجلب على نفسه سخط الجماهير (٤٢). فالبربر والعرب على حد سواء

---

(٣٩) ـ أنظر: ص ٨٤ من هذه الاطروحة.

(٤٠) ـ ذكر المؤرخون عنه أنه من أكمل الرجال علما وحلما وفهما وذكاء ودماثة وركانة ودهاء ومكرا، ويحسن مدارات العدو، وكما كان من أهل الادب والشعر يتقن اللغة العربية كتابة وحديثا حتى أصبح يكتب بها لنفسه ولباديس فضلا عن اتقانه لفصول التحميد لله تعالى والصلاة على رسول الله والتزكية لدين الاسلام، وفضلا عن ذلك فقد كان ملما بعلوم الهندسة المنطق وقد أغرم بجمع الكتب.
أنظر: ابن الخطيب: الاحاطة، الملجد الاول، ص ٤٤٦.

(٤١) ـ ابن عذاري البيان المغرب، الجزء الثالث، ص ٢٦٤.

(٤٢) ـ ابن بسام: الذخيرة: القسم الاول المجلد الثاني، ص ٢٦٩ ـ ٢٧٠.
وأنظر أيضا: R. Dozy : Histoire des Musulmans d'Espagne T. IV. p. 112.

بل حتى بعض اليهود كانوا لا يطيقون سلوكه فأسروا له العداوة وان كانت مختلفة من حيث الحدة. وكان بلكين بن باديس بن حبوس من أكبر الناقمين عليه اذ شق عليه أن يرى زمام الحكم الفعلي بيده، وقد دفعه تحريض الوزراء له ضد يوسف بن نغرالة الى التفكير في قتله وصار بلكين بن باديس يحدث الناس بذلك وفاتح أباه في الموضوع لكن باديس بن حبوس لم يوافقه على رأيه فعدل عنه بلكين ابن باديس(٤٣).

ولم تكن العداوة التي يكنها بلكين بن باديس ليوسف بن نغرالة لتخفي على هذا الاخير الذى ملا القصر بالجواسيس، وعليه فقد قرر أن يقتل بلكين ونفذ جريمته بالفعل بوضع سم له في الكأس(٤٤).

وقد أسرع يوسف بن نغرالة الى اتهام أقارب بلكين بن باديس بارتكاب الجريمة، وانطلت الحيلة على باديس بن حبوس الذى قتل منهم عددا كبيرا، ولم ينج من السيف الا من وجد سبيلا للفرار، وحدث ذلك سنة ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م (٤٥).

وقد كان لهذه الاحداث الاليمة نتائج خطيرة، اذ تمادى باديس بن حبوس في الانطواء على النفس، والادمان على تناول الخمر لعله ينسى النكبة التي ألمت به، فوجدها يوسف بن نغرالة فرصة سانحة ليستبد بالحكم، مما ضاعف غليان الرعية ضده، وامست الثورة قاب قوسين أو أدنى من الانفجار، وكان

---

(٤٣) ـ الامير عبدالله الزيرى: التبيان، ص ٣٩ ـ ٤٠.

(٤٤) ـ استدعاه يوسف بن نغرالة الى منزله ـ الذي اعتاد ارتياده للاكل والشراب ـ ثم وضع له السم في كأسه. ولم يكد يخرج من منزله حتى شعر بالالم في أحشائه ولم يصل الى قصره الا بشق الانفس، وهناك لفظ بلكين بن باديس أنفاسه الاخيرة بعد يومين.
ـ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٣ ص ٢٦١.
ـ وأنظر: Encyclopédie de l'Islam T. IV. p. 1300.

(٤٥) ـ الامير عبدالله الزيرى: التبيان، ص ٤٠ ـ ٤٢
ـ ابن الخطيب: أعمال الاعلام، ص ٢٣٠ ـ ٢٣١، الاحاطة، المجلد (١)، ص ٤٤١ ـ ٤٤٢.

لتحريضات أبي اسحاق الالبيرى ـ الفقيه الذى نفاه يوسف ابن نغرالة الى البيرة ـ دور كبير في تفجير هذه الثورة (٤٦)٠

وعند ما شعر يوسف بن نغرالة بالخطر أزمع على تسليم غرناطة لابي يحي بن صمادح مقابل تنازله عن المرية لتصبح امارة يهوديه (٤٧)٠ مهد يوسف بن نغرالة لخطته بابعاد كبار صنهاجة عن غرناطة وذلك بتعيينهم على الاقاليم، فعين يحي بن يفرن على المنكب ومسكن بن حبوس المغرالي على جيان وغيرهما ممن يخشى بأسهم، وأوهمهم بأن هذا الاجراء قد اتخذ لصالحهم تحسبا لاي

(٤٦) ـ نظم الفقيه أبو اسحاق قصيدة، كان لها في الرعية فعل النار في الهشيم وكانت ـ كما قيل ـ الشرارة التي فجرت الثورة، وهذه بعض أبيات القصيدة التي أوردنا ها كاملة في ملحق هذا البحث (أعمال الاعلام، ص ٢٣١ ـ ٢٣٣)٠

ألا قل لصناجة أجمعين ... بدور الزمان وأسد العرين
مقالة ذى مقة مشفق ... يعد النصية زلفى ودين
لقد زل سيدكم زلة ... تقربها أعين الشامتين
وتخير كاتبه كافرا ... ولو شاء كان من المؤمنين
فعز اليهود به وانتخوا ... وتاهوا وكانوا من الارذلين
ونالوا مناهم وجازوا المدى ... وقد جاز ذاك وما يشعرون

(٤٧) ـ ابن الخطيب: أعمال الاعلام، ص ٢٣١٠
وأنظر أيضا: Encyclopidie de l'Islam T.IV. p. 1.300

خطر قد يصدر عن "النابة(٤٨)"، ثم استولى ابن صمادح على وادي آش الواقعة نمال شرق غرناطة وشحنها برجاله. وعندما أصبحت خطة يوسف بن نغرالة ـ لقاضية بتسليم المدينة لابن صمادح ـ جاهزة، غادر ابن نغرالة منزله وانتقل ى القصبة بأهله وأمواله تحسبا لاخطار هجوم أبي يحي بن صمادح. وفي هذه لاثناء كان باديس بن حبوس غارقا في مجالس الخمر يجهل مايحاك ضد امارته عتقد الناس أنه مات(٤٩).

غير أنه طرأ على خطة يوسف بن نغرالة في آخر لحظة ما أفسدها فبينما كان مجتمعا بالمتآمرين على قتل باديس بن حبوس، وأبو يحي بن صمادح كامنا برجاله قرب غرناطة ينتظر اشارة الهجوم، اذا برجل يخرج الى الشارع يصرخ بقوله: "يا معشر من سمع بالمظفر (باديس) قد غدره اليهود؟ وهذا ابن صمادح داخل في البلدة"(٥٠) فوجدها الناس فرصة للثورة ضد اليهود، وحاول يوسف بن نغراله تهدئة الاوضاع باظهار باديس بن حبوس للناس لكن دون جدوى، فهرب الى القصر واختفى في مخزن للفحم بعد أن سود به وجهه قصد التنكر لكن إ الناس تعبوه وقتلوه وبلغ عدد اليهود الهالكين في هذه الحادثة ثلاثة آلاف شخص ثم نهبت دورهم واستصفيت أموالهم، ووجد مقتحو دار يوسف ابن نغرالة ـ فيما وجدوه ـ خزانة تحتوي على كتب قيمة في شتى أنواع العلوم الاسلامية. وحدث ذلك يوم ٩ صفر ٤٥٩هـ / ٣٠ ديسمبر ١٠٦٦(٥١).

---

(٤٨) ـ كان المدعو "النابة" من المناوئين ليوسف بن نغرالد، وكل ما نعرفه عنه أنه كان متطلعا في المؤامرة التي دبرها اسماعيل ضد أبيه المعتضد بن عباد ليستولي على الحكم، وبعد فشل المحاولة فرالى غرناطة حيث ظل في خدمة باديس حتى تألق نجمه فتبوأ مناصب هامة، ثم أصبح منافسا قويا ليوسف ابن نغرالة فحاول كل منهما تأليب باديس ضد خصمه وانتهى الصراع لصالح النابة. أنظر: التبيان للامير عبدالله الزيري ص ٤٧.

(٤٩) ـ نفس المصدر: ص ٥٤.

(٥٠) ـ نفس المصدر: والصفحة.

(٥١) ـ الامير عبدالله الزيري: التبيان، ص ٥٤.

ـ ابن الخطيب: أعمال الاعلام، ص ٢٣٣.

ـ وأنظر أيضا: R. Dozy : Histoire des Musulmans d'Espagne T. IV. p. 117.
Encyclopédie de l'Islam T. IV. p. 1300.

وقد يتساءل المرء عن موقف باديس من هذه الاحداث الدامية، انه لم يكن راضيا عن قتل اليهود، وان كانت الاحداث قد أيقظته من سباته العميق، فبعد أن هدأت الاوضاع قاد جيشه يوازره المأمون بن ذي النون أمير طليطله لاسترجاع وادي آش فحاصر بها قوات ابن صمادح حصارا شديدا حتى طلب رجال ابن صمادح المحاصرين من المأمون بن ذي النون أن يتوسط لهم لدى باديس، ونجح الفعل في مهمته، واسترجع باديس قلعته المحتلة وعلى أثر ذلك اعتذر له أبو يحي بن صمادح فعادت العلاقات بين المرية (ALMERIA) وغرناطة الى ما كانت عليه من الوئام وحسن الجوار، أما المأمون بن ذي النون فقد حصل على مدينة بسطة ثمنا للمساعدة التي قدمها لباديس(٥٢)٠

وبعد استقرار الاوضاع استوزر باديس بن حبوس المدعو "النابة" لكن هذا الاخير لم ينعم براحة البال لخوفه على نفسه من ماكسن بن باديس الذى هرب الى مدينة جيان بعد أن نفاه أبوه، فمكث هناك مع عمه مسكن بن حبوس الذى استقل بالمدينة، وعليه فقد كانت المدينة المذكورة مصدر قلق له. ولم يهدأ روع النابة الا بعد أن استمال أهل جيان وثاروا في وجه مسكن بن حبوس فخرج هائما، أما ماكسن بن باديس فقد فر الى طليطلة (TOLEDE) حيث عاش مكرما، ثم فتح النابة مدينة بياسة الى كانت بحوزة علي مجاهد العامري٠ وقد أدت هذه الانتصارات الى سمو مكانة النابة لدّى باديس بن حبوس مما أثار حسد الوزراء وحكم الاقاليم لذلك قرروا قتله بتهمة السعي للاستيلاء على الحكم بمساعدة بني برزال، وعليه فقد استغل أعداؤه تنقله الى وادى آش في مهمة ليتفقوا مع صديقه "واصل" حاكم المنطقة على قتله، ولم ينوان هذا الاخير عن التضحية بصديقه(٥٣)٠

ونزل خبر مقتل النابة على باديس نزول الصاعقة، بيد أنه اضطر الى مسايرة الرأي العام الذى فرح بموت النابة كما طلب منه وزراؤه الصفح عن واصل فنزل عند رغبتهم، وفي غمرة هذه الاحداث المضطربة أرسل باديس بن حبوس الى المأمون بن ذي النون (٤٣٥هـ - ٤٦٧هـ / ١٠٤٣ - ١٠٧٤م)٠ يطلب منه تسريح ابنه ماكسن ليستخلفه في الحكم، فاستبشر رجال الدولة والعامة بذلك خيرا

---

(٥٢) ـ الامير عبدالله الزيرى: التبيان، ص ٥٧٠
(٥٣) ـ الامير عبدالله الزيرى: التبيان، ص ٦٤٠

ونوسموا في ولي العهد خيرا لكنه لم يلبث أن خيب ظن الجميع بشراسته التي اعتقد ماكسن أنها ستجعله مهابا ، وأدى ذلك الى نفور الناس عنه(٥٤)٠ فزادت الاوضاع سوءا والمشاكل حدة خاصة وأن باديس عاد الى مجلس الخمر تاركا مقاليد الحكم لرجال بلاطه الذين حموا "واصل" من بطشه، وبالرغم من تردي الاوضاع وازدياد المعارضين لحكمه، فقد ظل باديس في الحكم حتى توفي في يوم ٢٠ شوال ٤٦٥هـ / جوان ١٠٧٣(٥٥)٠

لقد احتل باديس مكانة مرموقة ضمن أمراء الطوائف بفضل كفاءته السياسية والعسكرية التي مكنته من أقامة امارة قوية مرهوبة الجانب ، وفي ميدان العمارة شيد باديس قصبة غرناطة على أنقاض قلعة قديمة وأقام بها قصره ومسجده الذى دفن فيه، وتحدث المؤرخون المسلمون عنه باسهاب ، فقد وصفه ابن‌حيان بالقوة وشدة البأس والقسوة في معاملة الاعداء٠ أما ابن الخطيب فقد وصفه بقوله: "كان رئيسا يبسا طاغية جبارا شجاعا ، داهية ، حازما ، جلدا شديد الامر ، سديد الرأي، بعيد الهمة، مأثور للاقدام ، شره السيف ، وأرى زناد الشر ، جماعة للمال ضخمت به الدولة ونبهت الالقاب وأمنت لحمايته الرعايا ، وطم تحت جناح سيفه العمران، واتسع بطاعته المرهبة الجوانب ببأسه النظر وانفسح الملك وكان ميمون الطائر مطعم الظفر، مصنوعا له في الاعداء يقنع أقتاله بسلمه ولا يطمع أعداؤه في حربه(٥٦)٠

أما ابن خاقان فانه يقدم لنا باديس بن حبوس في أقبح صوره٠ بقوله: "كان باديس بن حبوس بغرناطة، عاثيا فيفريقه عادلا عن سنن العدل وطريقه، يجترى على الله غير مراقب ، ويسرى الى ما شاء غير ملتفت للعواقب قد حجب سنانه لسانه، وسبقت اساءته احسانه، ناهيك عن رجل لم يبت من ذنب على ندم ، ولم يشرب الماء الا من قلب دم ، أحزم من كاد ومكر وأجرم من راح وابتكر وما زال متقدا في مناحيه مفتقدا لنواحيه، لا يرام بريث ولا عجل ، ولا يبيت له جار الا على وجل ، الى أن وكل أمره الى أحد اليهود واستكفاه، وجرى في ميدان لهوه حتى استوفاه وأمره أضيع من مصباح الصباح" (٥٨)٠

---

(٥٤) ـ نفس المصدر ، ص ٦٧٠

(٥٥) ـ محمد عبدالله عنان: دول الطوائف ، ص ١٢٧٠

(٥٦) ـ ابن الخطيب : الاحاطة، المجلد (١) ، ص ٤٤٣٠

(٥٧) ـ الامير عبدالله: التبيان ، ص ٢٧٠

(٥٨) ـ ابن خاقان : قلائد العقيان ، ص ٢٠٠

ان أقل ما يمكن أن يلاحظه الباحث النزيه في هذا الوصف هو بعد صاحبه عن الموضوعية، فقد وصف ابن خاقان كل عبارات القدح التي جادت بها قريحته ورمي بها باديس بن حبوس، ولكن نستطيع بشيء من التعمق أن ندرك بأن هذا الوصف يعوزه أساس من الصحة فهو لا يتضمن أية صفة ايجابية من الصفات التي ذكره بها المؤرخون الذين سلف ذكرهم، وهل يعقل أن يسكت هؤلاء عن هذه الصفات القبيحة التي وردت في كتاب ابن خاقان لو كانت تنطبق على باديس؟ لقد رام ابن خاقان تشويه شخصية باديس بن حبوس عن عمد لانه طغى عليه الاسلوب الذاتي، فبتى قصورا من الشرف بالمدح لمن أغدق عليه بالاموال الطائلة وحسن علاقته به(٥٩)٠

ونستنتج مما ذكر أن باديس بن حبوس كان شخصيته سياسية وعسكرية بارزة في عصر ملوك الطوائف، اتصف بايجابيات عصره كالشجاعة والاقدام والحزم، واهتم بالعمران مؤسسا بذلك امارة يخشى بأسها، لكنه لم ينج من سلبيات العصر كالقسوة والعنف في معاملة خصومه والانغماس في مجالس اللهو، كما قصر في واجبه عند ما ترك مقاليد الحكم الفعلي في أيدي اليهود يعبثون بها ويسيرونها وفق مصالحهم مما أثار تذمر الرعية ولعل تقتيره وضعف ثقافته هما العاملان الكامنان وراء افتقار بلاطه الى علماء أجلاء وأدباء كبار٠

(٥٩) ـ ذكر محقق كتاب قلائد العقيان، محمد العنابي في المقدمة أن ابن خاقان قد أرسل الى الملوك والامراء والوزراء ورجال الادب عندما أزمع على كتابة كتابه المذكور، يطلب منهم اعطاءه أشعارهم ونثرهم ليدونه في كتابه، وكلهم يعرفون شره، لذلك أرسلوا له مع انتاجهم الفكري مبالغ من المال/ فمن أرضته صلته أحسن في وصفه، ومن تغافل عنه هجاه ــ راجع (ص)/(ز ــ ح)٠

ومهما يكن من أمر آراء المؤرخين في باديس بن حبوس فقد خلفه في الحكم أثر وفاته سنة ٤٦٥هـ / ١٠٧٣م ، حفيده عبدالله وهولا يزال طفلا صغيرا ، ولعل مصالح كبار الدولة هي التي اقتضت تعيين هذا الطفل على رأس الدولة عوضا عن تعيين أخيه الاكبر تميم حاكم مالقة. وقد لقب عبداللهبالظفـر بالله والناصر لدين الله ، وعين الوزير ابن سماجة وصيا عليه، فكان رجلا حازما حسن السيرة استطاع أن يقف في وجه أطماع المعتمدبن عباد حاكم امارة اشبيلية الذى حاول الاستيلاء على مدينة غرناطة (GRENADE) بعد استيلائه على جيان سنة ٤٦٦هـ / ١٠٧٤م ، وعلى أثر ذلك طلب المعتمد بن عباد المساعدة من الفونسو السادس ملك قشتالة (CASTILLE) لاحتلالها مقابل تنازله عن أموال خزائنها فضلا عن مبلغ خمسين الف مثقال (٦٠) . ولما كان العرض مغريا فقد أعلن الفرنسو موافقته عليه، بيد أنه لم يلبث أن عدل عنه مفضلا السير صوب غرناطة بمفرده بعد أن أغراه شاعر مغامر أسمه ابن عمار (٦١) . بثروتها ، وشجعه لاخذ حصن اسطبه ، فطالب الامير عبدالله بمبلغ خمسين الف مثقال لكنه لم يستطع تسديدها

---

(٦٠) ــ الامير عبدالله الزيرى : التبيان ، ص ٧٣ .
ــ والمثقال هو الدينار المرابطي الذى شاع تداوله في شبه جزيرة ايبريا حتى القرن ١٦ (أنظر : مجلة العربي العدد ٢٧٦ نوفمبر ١٩٨١،ص٣٢(١) .

(٦١) ــ ولد بقرية شنبوس بمنطقة شلب ثم وفد الى مدينة شلب وبها نشأ وتعلم قبل أن يكمل دراسته في قرطبة، ودخل الى اشبيلية في عهد أميرها المعتضد ابن عباد الذى أدرجه ضمن شعرائه، ثم توثقت الصداقة بينه وبين المعتضد ابن عباد ، فعينه هذا الاخير وزيرا له بعد تسلميه مقاليد الحكم ، وعمرت الصداقة بين الرجلين طويلا الى أن فكر ابن عمار في الاستقلال بمدينة مرسية بمعية عبدالرحمن بن رشيق ، وبالفعل فقد استقل بالمدينة متجاهلا أوامر سيده وأميره ، ثم استولى ابن رشيق على المدينة المذكورة في غفلة بن ابن عمار الذي هام على وجهه، فمكث مدة في بلاط الفونسو السادس قبل أن يلتحق بامارة سرقسطة ثم القي حاكم حصن شنتورة ابن مبارك القبض عليه بسبب تحريضه لموءتمن بن هود لفتح هذا الحصن، ثم سلمه للمعتمد بن عباد الذى تركه في السجن الى أن قتله سنة ٤٧٧هـ / ١٠٨٥م . أنظر : دول الطوائف ، ص ٦٦ .

لضعف موارده المالية، لذلك لم يقبض منها الفونسو السادس سون ثلاثين ألف مثقال واستولى على حصن أسطير عوضا عن حصن أسطبة ثم قبل الامير عبدالله دفع ضريبة عشرة آلاف مثقال لالفونسو سنويا حرصا على سلامة أراضيه، أما ابن عمار فقد استولى على مدينة مارتش من غرناطة بمساعدة ملك قشتالة(٦٢) ٠

وفي خلال ذلك، قام الامير عبدالله الزيري بعزل ابن سماجة من الوزارة وبإبعاد أقاربه عن الاقاليم، بسبب محاولتهم الاستبداد والعمل بدون الرجوع اليه٠ وقد رحل ابن سماجة صحبة أهله الى ألمريه، وهناك حاول اغراء حاكمها المعتصم بن صمادح بالاستيلاء على غرناطة مما أدى الى تدهور العلاقات بين الامارتين وجرت بينهما معارك عديدة كان النصر فيها حليفا لغرناطة، فطلبت امارة ألمرية الصلح وعليه فقد عادت الاوضاع الى استقرارها بينهما (٦٣) ٠

وعلى صعيد آخر لم يكن تميم بن بلكين ـ حاكم مالقة راضيا بانتقال الحكم الى أخيه الاصغر عبدالله، لذلك سلك ضده سياسة استفزازية تمثلت في اغارته على ناحية المنكب الواقعة شرق مالقه فقصده عبدالله بن بلكين بجيشه وانتزع منه عدة أماكن كحصن القصر وحصن صخرة دوميس٠ وعندما وجد تميم نفسه في وضعية حرجة ألقى بقواته في معركة عنيفة أسفرت عن انصار أخيه عبدالله الذي عفا عنه نزولا عند رغبة أمهما، ثم أعاد له بعض الحصون والمناطق الزراعية التي استولى عليها وترك له حكم غرب مالقة حتى لا يفكر تميم بن بلكين في التحالف مع ابن عباد حاكم اشبيلية المجاورة٠

على أن عبدالله بن بلكين لم يلبث أن واجه عاملين من عمال أقاليمه هما كباب بن تميت حاكم أرجذونة وأنتقيرة الذى استقل بادارتهما، وابن تافنوت عامل جريش، وعلى اثر ذلك قصد الامير عبدالله هذا الاخير فحاصره لمدة ستة أشهر حتى تمكن منه فقتله٠وعلى أثر ذلك طلب كباب بن تميت العفو من عبدالله بن بلكين الذى أجابه لطلبه لكنه لم يسند اليه الادارة أو القيادة بل أبقاه ضمن جملة الجند ينعم بالاحسان (٦٤) ٠

---

(٦٢) ـ الامير عبدالله الزيرى: التبيان، ص ٧٦٠
(٦٣) ـ نفس المصدر، ص ٩٠٠
(٦٤) ـ الامير عبدالله الزيرى: التبيان، ص ١٠٠٠

وبالنسبة لسقوط هذه الامارة فاني سأتعرض لذلك بالتفصيل في الفصل الخامس المخصص لسقوط الامارات البربرية بالاندلس على يد المرابطين.

امارة بني برزال (BIRZALIDES) في قرمونة

ينتسب بنو برزال الى بطن من بطون زناتة، وموطنهم الاصلي منطقة مسيلة بالجزائر الحالية، وقد أخذوا في العبور الى الاندلس في عهد الخليفة الحكم المستنصر، بعد أن سيطرت قبيلة صنهاجة الموالية للفاطميين على المغرب الاوسط، ثم انخرطوا في صفوف جيش الحكم تحت امرة جعفر ابن علي الاندلسي الذى كان قد ساعدهم في العبور الى الاندلس.

وفي أواخر حكم العامريين عين الحاجب أبو عبدالله محمد بن عبدالله ابن برزال حاكما على قرمونة (CARMONA) ثم استغل انهيار الخلافة الاموية في نهاية القرن الرابع هجرى/ القرن العاشر ميلادى ليستقل بالمدينة وما جاورها من القرى وما أن حلت سنة ٤٠٤هـ / ١٠١٣م حتى كان نفوذه بها مدعما قويا. وقد سلك سياسة حسنة سادها العدل فمالت نفوس الناس اليه وهو الامر الذى مكنه من توسيع رقعة امارته لتشمل استجة، وأشونة، والمدور(٦٥).

وقد خاض أبو عبدالله البرزالي غمار حروب عديدة مع بني عباد ضدبني الافطس سنة ٤٢١هـ / ١٠٣٠م، وضد يحي بن حمود سنة ٤٢٧هـ / ١٠٣٦م، ثم لم يلبث حلفاؤه بنو عباد أن طمعوا في امارته لذلك طلب أبو عبدالله البزرالي المساعدةمن باديس بن حبوس أمير غرناطة وادريس المتأيد أمير بني حمود وغيرهما من البربر، فهزموا جيش اشبيلية وقتلوا اسماعيل بن عباد وقائد الجيش سنة ٤٣١هـ / أواخر ١٠٣٩.

وعندما توفي أبو عبدالله البرزالي سنة ٤٣٤هـ / ١٠٤٢م، خلفه ابنه الاكبر اسحاق بن محمد الذى سار على نهج أبيه فاتصف بالنزاهة والعفة والكفاءة السياسية والعسكرية لكن حكمه كان قصيرا (٦٦)، وعلى أثر وفاته خلفه اخوه عزيز المستظهر الذى تميز عهده بكثرة اعتداءات المعتضد بن عباد ضد أراضيه وهو الامر الذى أدى الى سقوط امارة بني برزال بقرمونة.

---

(٦٥) ـ ابن عذاري: البيان المغرب ج٣، ص ٣١١.
ـ محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص ١٤٦.
ـ وأنظر: Encyclopédie de l'Islam T. I. p. 1275.

(٦٦) ـ ابن الخطيب: أعمال الاعلام، ص ٢٣٧.
ـ محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص ١٤٩.

ويختلف المؤرخون حول نهاية هذه الامارة، فابن الخطيب يرى أن عزيز المستظهر تنازل عن امارته ليحي المأمون بن ذي النون مقابل حصوله على أرض داخل امارة طليطلة نكاية بعدوه المعتضد بن عباد (٦٧)٠ أما ابن عذارى فقد ذكر لنا بأن عزيز المستظهر قد سلم امارته للمعتضد بن عباد بعد أن اشتدت مضايقته له ثم قضى نحبه في نفس السنة أى سنة ٤٥٩هـ / ١٠٦٧م (٦٨)٠

امارة بني يفرن (ZANU FRAN) في رندة

ينتسب بنو يفرن الى قبيلة زناتة البربرية وقد دخلت أول مجموعة منهم الى الاندلس سنة ٣٤٧هـ / ٩٥٨ – ٩٥٩م، بعد وفاة يعلى بن محمد وسقوط امارته، وحظي ابن قورة – الذى قاد أهله الى الاندلس – باستقبال حسن٠ أما المجموعة الاخرى من بني يفرن فقد دخلت الى الاندلس في أواخر القرن الرابع الهجري الموافق العاشر الميلادي بقيادة أبي يداس بن دوناس الذى حاول عبثا – بعد أن قتل ابن عمه يدو بن يعلى – السيطرة على المغرب الاقصى بايعاز من حكومة قرطبة التي أرادت وضع حد لتفوق أسرة يدو بن يلعى المعادية لها وتنصيب أسرة أخرى بالمغرب الاقصى تكون موالية لبني أمية خلفاء قرطبة٠ فاستقبل أبويداس بن دوناس بترحاب في قرطبة ثم خصص له مرتب هام أما فرسانه فقد أدمجوا ضمن فرقة البربر بالجيش الاموى٠ وفي سنة ٤٠٠هـ / ١٠١٠ – ١٠٠٩م، ساند أبو يداس بن دوناس الخليفة المستعين في حربه ضد المهدي٠ وفي عهد ملوك الطوائف دخل يحي بن عبدالرحمن بن العطاف (أخو أبي يداس) في خدمة الحموديين الذين عينوه حاكما على قرطبة (٦٩)٠

غير أن الدور الرئيسي كان لابي نور هلال بن أبي قورة – أحد اخوة أبي يداس – في النصف الاول من القرن الخامس الهجرى الموافق الحادى عشر الميلادى٠ ففي سنة ٤٠٥هـ / ١٠١٤م٠ نجح في طرد عامر بن فتوح حاكم رندة من قبل الامويين ليستقل بالمدينة ثم ضم اليها تاكرونة (TACORONA)

---

(٦٧) – ابن الخطيب : أعمال الاعلام، ص ٢٣٨٠

(٦٨) – ابن عذاري : البيان المغرب، الجزء الثالث، ص ٣١٢٠

(٦٩) – أنظر : Encyclopédie de l'Islam T. III. p. 1069.

ومهما يكن من أمر فقد تميزت امارة رندة بوعورة دور بها وحصانة قلاعها لطبيعتها الجبلية. أما أميرها أبو نور هلال فقد اشتهر بالشجاعة وقوة الباس. وكان عليه أن يواجه أطماع المعتضد بن عباد حاكم اشبيلية المتاخمة لامارته، وعليه فقد كان ضمن ضحايا مكيدة هذا الاخير الذى استدعى أمراء البربر المتاخمين له سنة ٤٤٥هـ / ١٠٥٣م. وهم أبو نور اليفرني ومحمد بن نوح الدمري والقائم محمد بن خزرون ليلقي بهم في الحمام ثم أمر ببناء بابه. ولم ينج من المكيدة سوى أبو نوراليفرني (٧٠). وكان ابنه باديس قد استولى على الحكم عندما علم بغدر المعتضد بأبيه وسلك سياسة فاسدة تمثلت في انتهاك أعراض الناس وتصفية أموالهم، وشملت جرائمه أقاربه أيضا (٧١). لذلك قتله أبوه أبو نور هلال بعد رجوعه الى رندة سنة ٤٤٩هـ / ١٠٥٧م. ولم تمض سوى أشهر قليلة على رجوعه حتى فارق الحياة في سنة ٤٥٠هـ / ١٠٥٩م فخلفه ابنه أبو نصر فتوح بن أبي نور الذى اتسم عهده بالعدل، بيد أن ادمانه على تناول الخمر جعل الرعية تنفر عنه، مما سهل مهمة أبي يعقوب الذي كلفه المعتضد بن عباد بقتله، فدخل عليه وهو على شرفة القصبة العليا فلما أحس به أبو نصر حاول الفرار فهوى على صخرة مما أودى بحياته، وعلى أثر ذلك استولى المعتضد على رندة وكان ذلك سنة ٤٥٧هـ / ١٠٦٥م. (٧٢)

امارة بني دمر بمورور

وهم من زناتة القاطنين بالمغرب الادني (تونس) وكان مذهبهم اباضيا. وقد عبروا الى الاندلس بقيادة أبي تزيري محمد بن أبي عامر المنصور، ثم انظموا الى جيشه. وعندما اندلعت الفتنة وانهارت الخلافة الاموية استقروا بمورور الواقعة جنوب شرقي اشبيلية حيث أسس أبو تزيري امارة ظل على رأسها حتى توفي سنة ٤٠٣هـ / ١٠١٣م، فخلفه ابنه نوح بن أبي تزيري الذى مكث في الحكم ثلاثين سنة، ثم خلفه ابنه محمد بن نوح عند وفاته سنة ٤٣٣هـ / ١٠٤١م. ولكن

---

(٧٠) ــ ابن الخطيب: أعمال الاعلام، ص ٢٣٩.
ــ محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص ٤٥.
(٧١) ــ ابن عذارى: البيان المغرب، الجزء الثالث، ص ٣١٢.
(٧٢) ــ نفس المصدر السابق:ــ
وأنظر:ــ Encyclopédie de l'Islam T. III. p. 1069.

الامير الجديد لم يحسن ادارة امارته لقلة تجربته وقد وصفه ابن الخطيب بقوله: "... فتى غر حديث، عهد بالامارة جاهل، جندي خلو من الفضائل موصوف بكيس وليانة" (٧٣). وكانت نهاية هذا الامير على يد المعتضد بن عباد الذي غدر به في حادثة الحمام المذكورة آنفا سنة ٤٤٥هـ / ١٠٥٣م، وهناك رواية أخرى تذكر أن محمد بن نوح قد ظل رهن الاعتقال باشبيلية الى سنة ٤٤٩هـ/١٠٥٧م (٧٤). حيث توفي، ومهما يكن من أمر فقد خلفه ابنه مناد عماد الدولة المشهود له بقوة الشخصية، وقد دعمت صفوفه بانضمام بربر استجة واشبيلية اليه، لكن غارات المعتضد بن عباد المتواصلة أرهقته، فتنازل له عن مورور مقابل الاقامة في اشبيلية سنة ٤٥٨هـ / ١٠٦٦م، وظل هناك الى أن مات سنة ٤٦٨هـ/١٠٧٦م (٧٥).

امارة بني خزرون في أركش

ينتسب بنو خزرون الى قبيلة ارنيان المتفرعة عن زناتة، عبروا الى الاندلس بقيادة أبي عبدالله بن خزرون الخزري للممارسة الجندية في صفوف الجيش الاموي ثم استقل بأركش على أثر انهيار الخلافة سنة ٣٩٩هـ / ١٠٠٩م، ومكث يدير شؤونها بحزم حتى توفي في سنة ٤٢٠هـ / ١٠٢٩م، فخلفه ابنه عبدون بن خزرون الذي ظل يسوس امارته مدة خمسة وعشرين سنة الى أن غدر به المعتضد بن عباد في حادثة الحمام سنة ٤٤٥هـ / ١٠٥٣م، فتولى الحكم بعده أخوه محمد القائم. ولما اشتدت مضايقة المعتضد بن عباد عليه اتفق مع باديس بن حبوس أمير غرناطة على أن يتخلى له عن أركش مقابل تعويضها بأرض داخل امارته ليستقر بها مع أفراد عائلته، ولم يكن ذلك خفيا على المعتضد، وعليه فلم يكد محمد بن خزرون القائم يبتعد قليلا عن قلعته بعشرين ميلا بأهله نحو غرناطة حتى فاجاه بكمين، فالتجأ محمد بن خزرون الى ربوة حيث حطت الاثقال ثم جرت معركة بينه وبين قوات المعتضد أسفرت عن انتصار حاسم لهذا الاخير وقتل أثناءها محمد بن خزرون القائم وقائد باديس بن حبوس الذى كان قد أرسله لحراسة بني خزرون في رحلتهم وعلى أثر ذلك سارت قوات المعتضد نحو أركش فدخلها سنة ٤٦١هـ / ١٠٦٨م. وبذلك تمكن المعتضد من تصفيه الاسر البربرية الصغيرة جنوب الاندلس بعد قيام دام حوالي نصف قرن (٧٦).

---

(٧٣) ـ ابن الخطيب: أعمال الاعلام، ص ٢٣٩.
(٧٤) ـ محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص ١٥٣.
(٧٥) ـ نفس المرجع.
(٧٦) ـ ابن الخطيب: أعمال الاعلام، ص ٢٤٠.

الـفـصـل الـرابــــع

امارتا بني الافطــس بني ذي النون في الشمال

ـ تأسيس امارة بني الافطس في بطليوس ٤١٣هـ / ١٠٢٢م ٠
ـ عهد محمد المظفر ٤٣٧ ـ ٤٦١هـ / ١٠٤٥ ـ ١٠٦٨م ٠
ـ عهد يحي المنصور ٤٦١ ـ ٤٦٤هـ / ١٠٦١ ـ ١٠٧٢م ٠
ـ عهد عمر المتوكل ٤٦٤ ـ ٤٨٧هـ / ١٠٧٢ ـ ١٠٩٤م ٠
ـ تأسيس امارة بني ذي النون في طليطلة ٤٢٧هـ / ١٠٣٥م ٠
ـ عهد يحي المأمون ٤٣٥ ـ ٤٦٧هـ / ١٠٤٣ ـ ١٠٧٤م ٠
عهد يحي القادر بالله ٤٦٧ ـ ٤٧٨هـ / ١٠٧٤ ـ ١٠٨٥م ٠

امارة بني الافطس AFTASIDES (٤١٣ – ٤٨٧هـ / ١٠٢٢ – ١٠٩٤م)

ينتسب مؤسسها عبدالله بن محمد بن مسلمة الملقب بابن الافطس الى قبيلة مكناسة البربرية التي استقرت بفحص البلوط شمال قرطبة (CORDOUE)، وعندما استقل سابور – وهو من عبيد الحكم المنتصر – ببطليوس (BADAJOZ) اتخذ عبدالله ابن الافطس وزيرا له يدير شؤون امارته نظر لما كان يتمتع به من ثقافة واسعة وذكاء حاد ورأي سديد مما مكنه من السيطرة على مقاليد الحكم دون صعوبة تذكر بعد وفاة سابور في ١٠ شعبان ٤١٣هـ/ ٨ نوفمبر ١٠٢٢م (١).

وبالنسبة لحدود امارة بني الافطس فقد كانت مترامية الاطراف تمتد من طليطلة (TOLEDE) شرقا الى المحيط الاطلسي غربا وتحدها مملكة قشتالة الاسبانية المسيحية شمالا، ومملكة اشبيلية التي كان يحكمها بنو عباد، وتتوسط هذه الامارة مدينة بطليوس التي اتخذها بنو الافطس حاضرة لهم، ومن أشهر المدن الاخرى في الامارة قلمرية، وكورية في أقصى الشمال وشنترين والاشبونة في الغرب وباجة في الجنوب وماردة شرق بطليوس.

ولم ينعم عبدالله بن الافطس الملقب بالمنصور، بالراحة طيلة وجوده في الحكم بسبب قوة اشبيلية التي كانت تطمع في التوسع على حساب أراضيه.

وقد بدأ أول تحرك لاشبيلية في هذا الاتجاه عام ٤٢١هـ / ١٠٣٠م. حيث استولت قواتها، بقيادة اسماعيل، ابن أميرها القاضي أبي القاسم بن عباد، تدعمها قوات عبدالله البرزالي صاحب قرمونة المجاورة، على مدينة باجة التابعة لبني الافطس، وبعد نحو أربع سنوات أي عام ٤٢٥هـ / ١٠٣٤م. توغل اسماعيل مرة أخرى في أراضي بني الافطس ولكنه رد على أعقابه مكبدا

---

(١) - ابن الأبار: الحلة السيراء ج 2 ص - 96.
- ابن عذاري: البيان المغرب ج 3 ص - 235 - 236.
- ابن الخطيب: أعمال ص - 183.
- المراكشي: المعجب، ص - 52 (ط 1881).
- أحمد شبلي: التاريخ الاسلامي ج 4 ص - 119.
- محمد عبد الله عنان: دول الطوائف، ص - 80.
وانظر: - Encyclopédie de l'Islam T. IP. 249.

بالخسائر الفادحة التي ضاعف القشتاليون المسيحيون من حجمها بهجومهم على قواته أثناء تقهقرها (٢).

ولم يلبث عبدالله بن الافطس أن جنى ثمار نصره على ابن عباد حاكم اشبيلية، فقد تشجع أهالي مدينة أشبونة القريبة، وطلبوا منه أن يخلصهم من حاكمهم المستبد عبدالله بن سابور، ويضم مدينتهم الى امارته، ولم يتوان ابن الافطس عن الاستجابة لطلبهم، ولما الفى عبدالملك بن سابور نفسه محاصرا فرضت عليه الحكمة طلب الامان لنفسه وأهله مقابل تسليم المدينة، ثم أخلى ابن الافطس سبيله فسار بأهله الى قرطبة حيث مكث الى أن أدركته المنية (٣).

وقد ظل عبدالله بن الافطس يدير دفة الحكم في امارته وينظم شوءونها ويقوي جهازه العسكري مع تحصين قلاعه المتاخمة لابن عبـــاد حتى توفي في بطليوس يوم ١٩ جمادى الاخرة ٤٣٧هـ / ٣٠ ديسمبر ١٠٤٥م. ففقدت بموته بطليوس شخصية فذة فرضت نفسها على المسرح السياسي بالرغم من انتمائه الى أسرة بربرية متواضعة، وقد ذكره ابن عذاري بقوله: "... غير أن هذا الرجل عبدالله كان من أهل المعرفة التامة والدهاء والسياسة" (٤).

وعلى إثر وفاة عبدالله بن الافطس خلفه في الحكم ابنه محمد المظفر الذي يجمع الموءرخون في شأنه على أنه كان واسع الثقافة غزير العلم مولعا بالأدب، ومتأثرا بشعر المتنبي والمعري الى درجة أنه لا يتذوق الا الشعر الذى يكون على شاكلة شعرهما، وترك كتابا ضخما جامعا ـ يسمى المظفري (٥)، ساعده في تأليفه كاتبه أبو عثمان سعيد بن خيرة (٦)، واكتملت شخصية محمد المظفر بالشجاعة التي كان يتحلى بها. وقد اعتبر ـ منذ تسلمه الحكم ـ اشبيلية مصدر خطر له

---

(٢) - ابن عذاري: البيان المغرب، ج 3، ص - 202 - 203.
- محمد عبد الله عنان: دول الطوائف ص - 82.
(٣) - ابن عذاري: البيان المغرب ج 3 ص - 237.
(٤) - ابن عذاري: البيان المغرب ج 3، ص - 236.
(٥) - أنظر: Encyclopédie de l'Islam T.I.P. 249.
يتكون كتاب المظفري من حوالي خمسين (50) جزء، يتضمن عدة مواد كالتاريخ والأدب والطرائف واللغات الغريبة، واختصر فيه الكتب القيّمة التي كانت تزخر بها خزائنه، ويبدو من سكوت المؤرخين والأدباء عن ذكره أنه لم يكن منتشرا بين الناس، ولعل كثرة أجزائه قد حاول دون انتشاره.
(٦) - ابن عذاري: البيان المغرب ج 3، ص - 236.

فاتخذ الاجراءات التي من شأنها أن تقيه من أخطار ابن عباد العدو التقليدي للامارة. وبالفعل لم تلبث الحرب ان انفجرت بينه وبين المعتضد بن عباد بسبب مهاجمة هذا الاخير لمدينة لبله، في اطار توسعاته على حساب الامارات البربرية الصغيرة، وهو الامر الذى دفع محمد المظفر الى تقديم الدعم العسكري لابن يحى حاكم لبلة، وفي نفس الوقت أرسل فرقة أخرى من جيشه الى أراضي اشبيلية، وأمام تفاقم الوضع بين الامارتين حاول ابن جهور حاكم قرطبة التوسط بينهما لحقن دماء المسلمين لكن محاولاته باءت بالفشل، واندلعت الحرب التي تكبد فيها الطرفان أفدح الخسائر، وكانت الجولة الاولى من هذه الحرب لصالح المعتضد بن عباد، ولكنه لم يلبث أن دارت عليه الدوائر ومني بهزيمة ذريعة، وكان ذلك سنة ٤٣٩هـ / ١٠٤٧م (٧). وكان من المنتظر أن تستقر الاوضاع بين بني الافطس وبني عباد بعد أن تصالح ابن يحي حاكم لبلة مع المعتضد بن عباد غير أن ذلك لم يقع بسبب موقف محمد المظفر الذي عارض الصلح، فانتقم من ابن يحي باستيلائه على الودائع التي أودعها ابن يحي لديه خلال الحرب السالفة، كما أرسل بعض قواته للقضاء عليه، لكن ابن يحي حاكم لبلة استنجد بقوات المعتضد بن عباد التي وجدت مدينة لبلة عند وصولها اليها تحت ضربات تحت ضربات قوات المظفر، وعلى إثر ذلك استدرجت قوات المعتضد أعداءه الى كمين نصب بإحكام، مما مكنها من الانتصار، الا أن المظفر قرر الاخذ بالثأر مهما كلفه ذلك من ثمن، فحشد فلول قواته المنهزمة، واستنفر البوادي وجند كل القادرين على حمل السلاح كما طلب المساعدة العسكرية من اسحاق بن عبيد الله البرزالي أمير قرمونة (CORMONA) البربري فأرسل له فرقة من قواته بقيادة ابنه العز. وحشد المعتضد بن عباد من ناحيته قوات كبيرة يفوق عددها ما حشده المظفر وضعها تحت قيادة ابنه اسماعيل ووزيره ابن سلام اللذين توجها بها الى مدينة يابرة (EVORA) من أرض بطليس بقصد الاستيلاء عليها، ولم يكن محمد المظفر وقتذاك قد فرغ بعد من تنظيم قواته، واضطر الى اقحام رجاله في المعركة دون تخطيط، مما مكن قوات اسماعيل ابن المعتضد من التفوق عليها. وقد فتَّ ذلك من عضد فرقة اسحاق البرزالي التي انسحب جنودها من المعركة الامر الذى أخل بنظام معسكر المظفر، ومكن جيش ابن عباد من تمزيق قوات عدوه. وقد قتل في المعركة العز بن اسحاق البرزالي الذى حمل رأسه الى اشبيلية، وعبدالله الخراز، ابن عم المظفر وحاكم يابرة، وقدر عدد القتلى فيها بحوالي

---

(٧) . ابن عذاري: البيان المغرب ج 3، ص . 210 . 211.

ثلاثة آلاف رجل. ومما يؤكد فداحة خسائر المظفر أن مدينة بطليوس خلت من الرجال الا من المسنين لمدة طويلة وجرت هذه المعركة في سنة ٤٤٢هـ/١٠٥٠م (٨).

وفي الحقيقة كان فرديناند الاول ملك قشتالة أكبر مستفيد من هزيمة المظفر، فقد استغلها ليهاجم أراضي بطليوس الشمالية الواقعة بين نهري تاجه ودويرة التي عانت من غارات قشتالة.

ففي سنة ٤٤٩هـ / ١٠٥٧م استولى جيش قشتالة (CASTILLE) على مدينتي لاميجو (LAMOGO) وبيزو (VIZEU) الواقعتين في شمال البرتغال حاليا، واستعبد أهلهما المسلمين (٩). غير أن ذلك لم يشبع نهم فرديناند الاول (FERDINAND. I) ملك ليون وقشتالة، لذلك وجه جيشا قدره عشرة آلاف فارس يقوده المدعو "القومس"، نحو مدينة شنترين (SANTARIN)، ولما علم المظفر بتحرك عدوه، سبقه الى المدينة التي وجد أهلها تملكهم الخوف حتى كادوا أن يسلموا المدينة لعدوهم، ثم تفاوض الطرفان وأسفرت مفاوضتهما عن اتفاق يقضي بأن يدفع المظفر ضريبة سنوية لفرديناند الاول ملك قشتالة وليون، قدرها خمسة آلاف دينار (١٠). علما بأن المظفر كان قبل هذا الاتفاق الامير الوحيد الذي رفض دفع الضرائب لملك قشتالة.

وكان المظفر أمير بطليوس يأمل بأن يؤدي هذا الاتفاق الى حماية بلاده من غارات مملكة قشتالة وليون المخربة، بيد أنها لم تحقق شيئا من ذلك، بل فتحت شهية فرديناند الاول لغزو أراضي بطليوس الضعيفة. وعليه فقد تعرضت مدينة قلمرية (COIMBRE) الواقعة في الشمال الغربي لامارة بطليوس لهجوم القوات القشتالية سنة ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م. ولما ألفى حاكمها "راندة" نفسه محاصرا اتصل سرا بعدوه وعرض عليه تسليم المدينة مقابل تأمينه في نفسه وأهله وماله، وعلى أثر ذلك غادر المدينة ليلا الى معسكر جيش قشتالة، ولما علم جنود حامية

---

(٨) ـ ابن بسام: الذخيرة، القسم الأول، المجلد الأول، ص ـ 361 ـ 363.
وانظر أيضا: Encyclopédie de l'Islam T.I.P. 249.

(٩) ـ محمد عبد الله عنان: دول الطوائف، ص ـ 84 ـ 85.
ـ وانظر أيضا: Encyclopédie de l'Islam T.I. P.250

(١٠) ـ ابن عذاري: البيان المغرب ج 3 ص ـ 238.

قلمرية بذلك عرضوا بدورهم تسليم المدينة مقابل تأمينهم في النفس والمال، لكن القشتاليين رفضوا ذلك، وظلوا محاصرين للمدينة حتى قلت المواد الغذائية فيها وانهارت معنويات أهلها وجندها ثم دخلوها عنوة. وكان ذلك سنة ٤٥٦هـ / ١٠٦٣ (١١).

وبعد كارثة قلمرية بنحو خمس سنوات أي عام ٤٦١هـ / ١٠٦٨م لفظ محمد المظفر أنفاسه الاخيرة وانتقلت مقاليد الحكم الى ابنه يحي المأمون، غير أن الامير الجديد لم ينعم بالراحة بسبب ثورة أخيه عمر، والى يابرة (EVORA) عليه، ولم تلبث الحرب أن اتسعت بين الاخوين، حينما طلب عمر الدعم من اشبيلية، ومال يحي المأمون الى طليطلة. وكانت هذه الحرب فرصة سانحة لالفونسو السادس(١٢)، (ALPHONSE. VI)، ملك قشتالة كي يستولي على مقاطعات عديدة من امارة بطليوس. ولم تنته هذه الحرب الابوفاة يحي المأمون المفاجئة سنة ٤٦٤هـ / ١٠٧٢م. فخلا بذلك الجو لعمر ودخل مدينة بطليوس وتلقب بالمتوكل (١٣).

عهد عمر المتوكل (٤٦٤ – ٤٨٧هـ / ١٠٧٢ – ١٠٩٤م)

يجمع المؤرخون على قوة شخصية عمر المتوكل الذى كان يتمتع بحصافة الرأي والحزم والشجاعة وسعة المعارف وبالسيطرة على ناصية الادب والبلاغة والشعر وقواعد اللغة فهو من علماء عصره البارزين، حول حاضرته بطليوس الى دار للثقافة يقصدها المتعطشون الى العلم والمعرفة، أما عهده فقد تميز بالرخاء والاستقرار وانتشار الطمأنينة بين الناس، لذلك نوه المؤرخون بحكمه كالفتح

---

(١١)- ابن الخطيب: أعال الأعلام، ص - 184.
- ابن عذاري: البيان المغرب ج 3، - 239.

- وانظر أيضا: .Encyclopédie de l'Islam T.I.P. 250 -
(١٢)- الفونسو السادس ملك قشتالة وليون (465 - 503 هـ/1072 - 1109م) ومن أشهر منجزاته استيلاؤه على طليطلة سنة 478 هـ/1085.
(١٣)- ابن الأبار: الحلة السيراء، ج 2، ص - 98.
- ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص - 184.

بن خاقان (١٤) والمراكشي الذي وصف أيامه على أنها أعياد ومواسم فرح (١٥) ،
ومن أبرز الشخصيات الادبية التي لمعت في بلاطه وزيره الشاعر أبي محمد عبدالمجيد بن عبدون ــ وهو من يابرة، الذي خلد بني الافطس بقصيدة طويلة مطلعها :

الدهر يفجع بعد العين بالاثر ... فما البكاء على الاشباح والصور

وقد جاءت بها قريحته بعد مقتل أميره عمر المتوكل مع ولديه على يد المرابطين (١٦) ۰

أما على صعيد السياسة الخارجية فقد كانت لعمر المتوكل محاولة لضم طليطلة الى امارته، اثر تفاقم الاوضاع بالمدينة بسبب ثورة بعض الاعيان على أميرها يحي القادر الذي فر من المدينة الى بعض قلاعه، فاستدعى هؤلاء الاعيان الثائرون عمر المتوكل لحكم مدينتهم تفاديا للفوضى والاضطرابات۰ وقد مكث عمر المتوكل بطليطلة زهاء عشرة أشهر، انكفأ بعدها راجعا الى بطليوس مثقلا بذخائر يحي القادر بالله سنة ٤٧٢هـ / ١٠٨٠م (١٧) ۰

وبالنسبة لعلاقة عمر المتوكل مع مملكة قتشالة الاسبانية المسيحية فقد كانت في حالة سيئة جدا، بسبب تطاول الفونسو السادس عليه، فهو لم يعد يكتفي بالجزية بل طفق يسلخ أراضي بطليوس مقاطعة بعد الاخرى، وقد بدأ بالاستيلاء على كورية سنة ٤٧١هـ / ١٠٧٩م، فكان ذلك بمثابة ناقوس الانذار الذى أشعر المتوكل بأن امارته أمست قاب قوسين أو أدنى من السقوط مما دفعه الى التفكير في طلب المساعدة من المرابطين، وكان بذلك أول من فكر في هذا الامر بين أمراء الاندلس، ثم أوفد عمر المتوكل القاضي أبا الوليد الباجي الى زملائه الامراء يدعوهم الى التآزر ورص الصفوف (١٨) ، وهي الفكرة التي تحققت بعد

---

(١٤) ـ وصف الفتح بن خاقان عمر المتوكل بقوله «... ملك جند الكتائب والجنود وعقد الألوية والبنود، وأمر الأيام فأتمرت وطافت بكعبته الأمال واعتمرت الى سن وفصاحه، ورحب جناب للوافد وساحة، ونظم بزري بالدر النظيم، ونشر تسرى رقته سرى النسيم وأيام كأنها من حسنها جمع، وليال كان فيها على الأنس حضور مجتمع راقت اشراقا وتبلجا وسارت مكارمه أنهارا خلجا،
انظر: كتابه قلائد العقيان، ص ـ 42.

(١٥)- المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص ـ 75.

(١٦) ـ نفس المصدر: ص ـ 76.

(١٧) ـ ابن الأبار: الحلة السيراء، الجزء الثاني، ص ـ 98.

(١٨)- نفس المصدر: ص ـ 99.

سنوات من طرحها بحيث أوفدت امارات بطليوس واشبيلية وغرناطة قضاتها الى يوسف بن تاشفين وهم على التوالي أبو اسحاق بن مقانا، وأبو بكر بن أدهم، وأبو جعفر القليعي (١٩)٠

وعندما عبر المرابطون الى الاندلس رحب بهم في أرضه حيث جرت معركة الزلاقة التاريخية سنة ٤٧٩هـ / ١٠٨٦م، وقد أبلى فيها بلا حسنا (٢٠)٠

امارة بني ذي النون DHUL.NUNIDES (٤٢٧ – ٤٧٨هـ / ١٠٣٥ – ١٠٨٥م)

ينتمي بنو ذي النون الى قبيلة هوارة البربرية، واشتق لقبهم من اسم جدهم زنون الذي حور مع مرور الزمن الى ذي النون (٢١)٠

وقد ظهرت أسرة بني ذي النون في الاندلس منذ عهد محمد بن عبدالرحمن الاوسط (٢٣٨ – ٢٧٣هـ / ٨٥٢ – ٨٨٦م) (٢٢)، ثم لم يلبث نجمها أن سطع فتحولت الى مصدر قلق للامويين وعكرت صفو دولتهم، خاصة في عهد موسى بن ذي النون وابنه الفتح الذي ثار في وجه حكم الناصر بقلعة رباح لكن هذا الاخير تمكن من اخماد حركته (٢٣)٠

وفي عهد محمد بن أبي عامر المنصور (٣٦٦ – ٣٩٢هـ / ٩٧٦ – ١٠٠١م) تولى أفراد أسرة بني ذي النون قيادة الجيوش وامارة الاقاليم، ثم عين سليمان المستعين – الذي ناصره البربر أثناء الفتنة –، عبدالرحمن بن ذي النون حاكما على اقليش وقد استغل فرصة وفاة الفتى واضح العامري حاكم قلعة قونقة المجاورة

---

(19) - نفس المصدر: ص - 99.

(٢٠) - أنظر: Encyclopedie de l'Islam T.I P. 250 -

(٢١)- إبن الخطيب: أعمال الاعلام، ص - 177.

- وأنظر Diccionario de historia de Espana T.I P.459 -

(٢٢) - ذكر ابن الخطيب أن ابن ذي النون بن سليمان أصبح حاكما في حصن إقليش بعدما نال عطف الأمير محمد، بسبب اعتنائه برجل من رجاله مرض أثناء مروره بارض شنت برية - موطن بني ذي النون - بعد رجوعه من احدى الغزوات فكافأة الأمير محمد عن ذلك بتعيينه حاكما على الحصن المذكور. راجع: أعمال الأعلام، ص - 177.

(٢٣) - محمد عبد الله عنان : دول الطوائف، ص - 95.

له ليضمها الى حكمه، ثم لم يلبث أن اشر أب نحو المناطق الاخرى القريبة اليه فبسط نفوذه على شنتبرية كلها، وقد رافق ذلك سمو منزلته لدى سليمان المستعين الذي عينه على الوزارة، ولقبه بناصر الدولة. وعلى أثر ذلك استغل انفصال السلطة المركزية الاموية ليستقل بالمنطقة التي كانت تحت نفوذه.

وبالنسبة لانضواء طليطلة تحت تحكم بني ذي النون، فقد تم ذلك عندما أساء أميرها العربي عبدالملك بن عبدالرحمن بن متيوه السيرة فتدهورت أوضاعها مما دفع بسكانها الى دعوة عبدالرحمن بن ذي النون لحكم مدينتهم طليطلة فأوفد اليها ابنه اسماعيل سنة ٤٢٧هـ / ١٠٣٥م وكان ذلك بداية حكم بني ذي النون بطليطلة(٢٤). وان دل هذا الحادث على شيء فانما يدل على علو منزلة ابن ذي النون، من ناحية وعلى عدم وضع الاهالي الاندلسيين أي اهتمام للناحية العرقية لدى الحكام، وأن المهم لديهم أن يكونوا حكاما مسلمين يمتازون بالعدل والقوة.

وبعد استقرار اسماعيل بن عبدالرحمن بن ذي النون بمدينة طليطلة. تقلب بلقب الظافر، واتخذ أبا بكر الحديدي ـ المشهود له بغزارة العلم وحصافة الرأي ـ مستشارا له فكان لا يقطع أمرا دون الرجوع الى رأيه وهو ما أثار حسد خصومه في بلاط الظافر الذي أصم أذنيه عن دسائسهم، وقد ظل هذا الاخير في الحكم الى أن وافته المنية في سنة ٤٣٥هـ / ١٠٤٣م (٢٥).

يحي المأمون بن ذي النون (٤٣٥ ـ ٤٦٧هـ / ١٠٤٣ ـ ١٠٧٤م)

ورث يحي بن اسماعيل بن ذي النون، الملقب بالمأمون عن أبيه ـ امارة مترامية الاطراف تمتد حدودها من فورية غربا الى قلعة أيوب شرقا ومن حدود قتشالة شمالا الى حدود مملكة قرطبة جنوبا، وجد صعوبة في حمايتها من تهديدات ممده

(٢٤) - ابن عذاري: البيان المغرب، ج 3، ص 276.
- ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص 177، ابن خلدون: العبر، المجلد 4 ص 347.
- محمد بن عبد الله عنان: دول الطوائف، ص 96.
(٢٥) - ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص 177.
- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 7، ص 292.
- وانظر: Encyclopédie de l'Islam Tome 2 P. 250 -

قشتالة المسيحية ومناوشات بني هود بمدينة سرقسطة، بيد أن ذلك لم يمنعه من السعي لتوسيع امارته على حساب مملكة قرطبة. وعليه فقد تميز عهده بكثرة الحروب التي استنزفت قواته وقوات المسلمين الذين اصطدموا معه. أما المستفيد منها فهو ملك قشتالة الذى كان قد باشر سياسته المسماة بسياسة إسترجاع الاراضي المغتصبة (RECONQUISTA).

ومن أبرز الاحداث التي طبعت عهد يحي المأمون هي حربه ضد سليمان بن محمد بن هود أمير سرقسطة، فقد امتدت من سنة ٤٣٥ الى ٤٣٨هـ / ١٠٤٣ - ١٠٤٦م (٢٦). وكانت مناوشات الحدود هي السبب في تفجير الاوضاع اذ التجأ سليمان بن هود الى اثارة القلاقل في وجه المأمون بمدينة وادى الحجـــارة (GUADALAJARA) التي تقع في أقصى شمال شرق طليطلة. ففي سنة ٤٣٦هـ/ ١٠٤٤م. وجه سليمان بن هود حملة بقيادة ابنه أحمد تمكنت من بسط نفوذها على وادي الحجارة، وعندما سمع المأمون بن ذي النون بذلك أسرع بارسال قواته اليها، فجرت معارك عنيفة بين الطرفين كان النصر فيها حليف أحمد بن سليمان بن هود، فتراجع المنهزمون نحو مدينة طلبيرة (TALAVERA) حيث حاصرهم جيش بني هود، لكن سليمان بن هود لم يلبث أن أمر ابنه أحمد بفك الحصار عن جيش يحي المأمون والعودة الى سرقسطة. ودفعت رغبة الانتقام المأمون الى الاستعانة بالقشتاليين فعرض على ملكهم فرديناند الاول (٢٧)، FERDINAND، دفع الضرائب واقرار سيادته على أرضه مقابل مساعدة عسكرية يقدمها له. ضد خصمه ابن هود. وقد قبل الملك القشتالي ذلك العرض المغري لانه يسمح باضعاف امارتين متاخمتين لاراضيه. وعليه فقد جند فرديناند الاول فرقة من جيشه هاجمت أراضي امارة سرقسطة وعاثت فيها نهبا وسلبا دون أن يجسر ابن هود على مجابهة هذا الجيش القشتالي الذى حصد زرعه ودرسه ثم نقله الى بلاده وقد دامت هذه الغارات شهرين تخللتها جرائم القتل والاسر والنهب ثم عاد القشتاليون أثرها الى بلدهم. وانتهز المأمون هذه الفرصة ليغزو أراضي سرقسطة المتاخمة له، كما حاول كسب المعتضد بن عباد حاكم اشبيلية إلى صفه ووقع الطرفان اتفاقية التحالف، لكن حروب المعتضد ضد بني الافطس حالت دون مده يد المساعدة ليحي المأمون (٢٨).

---

٢٦) - ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص - 178.
- وأنظر: Encyclopédie de l'Islam T.1. p. 250 -
(27) فرديناند لأول ملك قشتالة وليون من سنة 1035م - الى 1065 قام بتوسيع مملكته خاصة على حساب أرض المسلمين.

ولما اشتدت وطأة الحرب على ابن هود استعمل هو الاخر نفس السلاح الذى أشهره يحي المأمون في وجهه والمتمثل في الاستعانة بملك قشتالة فقدم له مالا وهدايا ليهاجم أراضي طليطلة، وكان له ما أراد، ثم رد يحي المأمون عن ذلك بتحريض غرسية ملك نافار(+) ضد امارة بني هود فهاجم أراضيها الواقعة بين تطليلة ووشقة واحتل خلال هذه الحملة قلعة ظهرة سنة ٤٣٧هـ / ١٠٤٥م (٢٩)• وهكذا وفر الاميران المسلمان سليمان بن هود ويحي المأمون بسياستهما الخرقاء الجو المناسب لعدوهما ملك قتشالة فرد يناند الاول ليخرب أراضيهما ويستولي على أموالها وعانى الناس أثناء ذلك الكثير من ويلات الحرب•

ولما سئم أهل طليطلة الحرب التي أنهكتهم شكلوا وفدا قصد سرقسطة وقابل الامير سليمان بن هود وطلب منه العمل على انهاء الحرب التي دمرت الامارتين، واحلال السلام بينهما فوعده الامير بالسعي لوقف القتال• ولما عاد وفد طليطلة الى مدينته قابل يحي المأمون وأقنعه بضرورة العمل من جانبه على حقن دماء المسلمين، فقام يحي المأمون باعادة الجنود القشتاليين الى بلدهم• لكن سليمان بن هود لم يلبث أن نكث العهد حينما استغل خروج عبدالرحمن بن اسماعيل بن ذي النون ضد أخيه يحي المأمون ليهاجم بفرقة من النصارى مدينة سالم الواقعة في أقصى شمال حدود طليطلة، مما أدى الى اضرام نار الحرب من جديد وظلت المعارك متواصلة تنهك المسلمين حتى توفي سليمان بن هود سنة ٤٣٨هـ / ١٠٤٦م فتنفس المسلمون الصعداء (٣٠)•

واذا كانت الحرب قد هدأت في الحدود الشمالية الشرقية لامارة طليطلة فان الاوضاع لم تلبث أن انفجرت في جنوب الامارة بسبب سعي المامون لتوسيع ...

---

(28) ادعى القاضي ابن عباد سنة 426 هـ/1935م ظهور هشام المؤيد. اقامة خليفة باشبيلية، خوفا من توسعات بني حمود وقد وافق يحي المأمول على مبايعته لكسب صداقة ابن عباد.

(٢٩) - ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص 178.

(*) - غرسية وهو أكبر أبناء سانشو الكبير ملك إسبانيا كانت نافار حصته من مملكة أبيه المقسمة على أبنائه الأربعة وقامت حرب بينه وبين أخيه فرديناند الأول سنة 1954م انتهت بقتل غرسية، فخلفه ابنه سانشو الصبي الذي أعلن طاعته لعمه فرديناند الأول.

- انظر محمد عبد عنان: دول الطوائف، ص 364.

(٣٠)- ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص 178،

- ابن عذاري: البيان المغرب، الجزء الثالث، ص 282.

حدوده، فقد استغل تفاقم الاوضاع بين امارة اشبيلية وامارة قرمونة ليتفق مع العز بن اسحاق أمير قرمونة على أن يسلم له قرمونة مقابل تعويضها له بمدينة أخرى من مدن امارة طليطلة. ولما خرج العز منها طلب المعتضد بن عباد أمير اشبيلية من يحي المأمون التنازل له عن قرمونة لقربها منه مقابل مساعدته على أخذ قرطبة (CORDOUE) التي كان يسعى لاحتلالها ، فاستحسن الفكرة وتنازل له عنها، وما أن تحصن جيش المعتضد بها حتى نكث وعده، فاستشاط المأمون غضبا وقرر الانتقام منه باحتلال قرطبة التي كانت محط أنظار المعتضد أيضا. غير أن ذلك تطلب منه وقتا طويلا (٣١).

وعلى أثر ذلك احتل يحي المأمون بلنسية التي كانت بيد صهره عبدالملك بن عبدالعزيز بن أبي عامر، وسبب ذلك أن يحي المأمون طلب من صهره (زوج ابنته) مساعدة عسكرية فاعتذر له عن تقديمها لخوفه من الفتيان العامريين حكام قسطلونة وشاطبة ومربيطر الذين كانوا يتبربصون به الدوائر، فغضب يحي المأمون وأسرها له في نفسه ثم لم يلبث أن استغل سوء معاملته لابنته ليحتل بلنسية VALENCE) –كما أسلفت – بمساعدة فرديناد الاول، طلقيا القبض على صهره عبدالمالك ثم ساقه أسيرا الى قلعة اقليش أو قلعة كونكة في سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٥م (٣٢).

وفي سنة ٤٦٤هـ / ١٠٧٢م استقبل المأمون بن ذي النون بحاضرته طليطلة الفونسو السادس ملك ليون كلاجيء سياسي أثر انهزامه أمام أخيه سانشو (SANCHO) ملك قشتالة في معركة جوليخرة، وقد مكث مدة تسعة أشهر سمحت له بالاطلاع على خفايا المأمون ومعرفة طليطلة معرفة واسعة، استفاد منها في عملية احتلالها (٣٣).

أما قرطبة التي كانت محط أطماع يحي المأمون فقد استغل اضطراب أوضاعها ليوجه اليها جيشه قصد الحاقها بامارته وقد حدث ذلك عندما سئم الناس حكم عبدالملك بن جهور الجائر، وبدأ المأمون هجومه على قرطبة باستيلائه على حصن

---

(٣١) - ابن عذاري: البيان المغرب ج 3، ص - 283.
(٣٢) - ابن خلدون: العبر ج 4 ص - 347، المقري: نفح الطيب ج 1 ص - 416.
(٣٣) - ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج 8، ص - 232.

المدور، ثم حاصر المدينة، واستغاث عبدالملك بن جهور بالمعتمد بن عباد حاكم اشبيلية الذي أرسل له فرقة من فرسانه قوامها ألف وثلاثمائة فارس كان لها الفضل في ارغام المأمون على الانسحاب من قرطبة خائبا. غير أن أهالي قرطبة استغلوا وجود قوات المعتمد بن عباد للتخلص من جور عبدالملك بن جهور، وعرضوا على قائدها ابن مرتين ادارة مدينتهم، ولما كان المعتمد يطمع في ضم المدينة الى أملاكه فقد أوعز الى جيشه بالاستيلاء عليها منهيا بذلك حكم بني جهور في سنة ٤٦٢هـ / ١٠٧٠ (٣٤)، ثم عين ابنه عباد سراج الدولة حاكما على قرطبة، بيد أن المأمون ـ الذي لم يفقد الامل في احتلالها ـ ظل يعكر له صفو الجو بالهجومات المتكررة على ضواحي قرطبة بمساعدة الفرنسوا السادس ملك ليون. وقد واجه عباد بن المعتمد هذه الغارات بجرأة ورباطة جأش رغم صغر سنه فحال بذلك دون استيلاء يحي المأمون على المدينة وكان أن لجأ يحي المأمون الى المكر والخداع لتحقيق غرضه، واختار لانجاز هذه المهمة حكم بن عكاشة المشهود له بقوة الشكيمة وشدة المراس ولم يكن هذا الرجل غريبا عن المدينة اذ سبق له أن كان مستشارا للوزير ابن السقاء في عهد بني جهور، وعندما فقد ابن السقاء منصبه وضع ابن عكاشة في السجن لكن تمكن من الفرار منه وقصد المأمون بن ذي النون الذي عينه على احدى القلاع القريبة من قرطبة، مما سمح له بارتياد المدينة حيث كان ينظم معارضة ضد عباد بن المعتمد (٣٥). وقد لاحظ أحد جنود قرطبة تردده وزيارته المتواصلة ليلا لحراس الباب فخامره الشك وأسرع الى عباد بن المعتمد يطلعه بما لاحظه ولكنه استخف بالامر ولم يعبأ به. ولم يلبث حكم بن عكاشة أن ولج الى قرطبة في ليلة عاصفة وقصد قصر عباد بن المعتمد الذي وصله دون صعوبة تذكر، وقتله بعد معركة صغيرة مع حراسه الذين فوجئوا بالهجوم، أما القائد ابن مرتين فقد فر الى أحد المخابئ عندما سمع صليل السيوف في ساحة القصر، لكن ابن عكاشة تمكن من اكتشافه ثم قتله.

وما أن حل الصبح حتى كانت المدينة تحت نفوذ ابن عكاشة الذي جمع أهل قرطبة بالجامع الكبير وألزمهم بمبايعة يحي المأمون بن ذي النون، وتمت البيعة

---

(٣٤) - ابن عذاري: البيان المغرب، ج 3، ص 260.
- ابن بسام: الذخيرة، القسم 1، المجلد، ص 124.
(٣٥) - ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص 179.
- ابن الأثير: الكامل، ج 7، ص 291.
- وانظر أيضا: - R. Dozy: Histoire des Musulmans d'Espagne T. IV P. 157.

رغم وجود أنصار عباد ابن المعتمد، لكن خوفهم على أنفسهم دفعهم الى الاذعان لطلب حكم بن عكاشة وعلى أثر ذلك وصل المأمون الى قرطبة قادما اليها من بلنسية في سنة ٤٥٧هـ / ١٠٧٥م (٣٦)، وغمر ابن عكاشة بعطفه وكرمه دون أن يثق به، ومكث يحي المأمون بهامدة ستة أشهر مات أثرها مسموما فحمل جثمانه الى طليطلة حيث دفن (٣٧).

وكان يحي المأمون بن ذي النون في الحقيقة شخصية فذة في امارة طليطلة، ومن الرجال البارزين في عهد ملوك الطوائف. وقد اشتهر بحبه للمعرفة شأنه شأن الكثير من أمراء البربر في الاندلس فلمع في بلاطه عدد من رجال الثقافة كالشاعر ابن أرفع رأس، المعروف بموشحاته والرياضي ابن السعيد صاحب كتاب "طبقات الامم" والعلامة النباتي ابن بصال الطليطلي، وقد أهدى ابن حيان كتابه التاريخي الكبير ليحي المأمون بن ذى النون (٣٨). وازدهر العمران أيضا في عهد هذا الاخير، اذ شيد عددا من القصور الرائعة التي تزينها رسوم الطيور، والنقوش والرخام والمرمر والنوافير وغيرها وقال المقري عن احداها: " "وذلك أنه اتقنه الى الغاية وأنفق عليه أموالا طائلة، وضع في وسطه بحيرة وصنع في وسط البحيرة قبة من زجاج ملون منقوش بالذهب وجلب الماء على رأس القبة بتدبير أحكمه المهندسون فكان الماء ينزل من أعلى القبة على جوانبها محيطا بها. ويتصل بعضه ببعض فكانت قبة الزجاج في غلالة مما سكب خلف الزجاج لا يفتر من الجري والمأمون قاعد فيها لا يمسه من الماء شيء ولا يصله وتوقد فيها الشموع، فيرى لذلك منظر بديع عجيب (٣٩)". وأما ابن الاثير فانه يصف يحي المأمون بسوء السيرة والتقرب من الاسبان المسيحيين (٤٠).

---

(36) ابن الأبار: الحلة السيراء ج 2 ص 177.
ابن الخطيب: أعمال لأعلام، ص 178.
وانظر أيضا: DOZY: Histoire des Musulmans d'Espagne T.IV. page 158 -
- Encyclopédie de l'Islam T II. page 250.

(٣٧) - ابن خلدون: العبر، ج 4، ص ـ 347.
ـ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص ـ 178.
(٣٨)- المقري: نفح الطيب، ج 1، ص 416،
ـ محمد بن عبد الله عنان: دول الطوائف، ص 104 ـ 105.
(٣٩) - المقري: نفح الطيب، ج 2، ص 69.
(٤٠) - ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 7، ص 292.

عهد يحي القادر بالله وسقوط طليطلة
(٤٦٧ – ٤٧٨هـ / ١٠٧٤ – ١٠٨٥م)

عمل يحي المأمون على توفير شروط الاستقرار لامارة طليطلة من بعده، فعين حفيده يحي القادر بالله خليفة له يساعده الوزير أبو الفرج في الشؤون العسكرية وابن الحديدي في شؤون الرعية وتقديم النصح للامير(٤١). وعليه فقد كان من المفروض أن تسير الامور سيرا حسنا عندما استلم يحي القادر بالله مقاليد الحكم سنة ٤٦٧هـ / ١٠٧٤م، الا أن ضعف هذا الاخير حال دون ذلك، فقد نشأ بين الخصيان، والجواري في جو يسوده اللهو والمجون لذلك لم يكن يحي القادر بالله أهلا للحكم. وقد باشر حكمه بقتل ابن الحديدي(*) بايعاز من أعدائه، ففقد بذلك أبرز شخصية في بلاط طليطلة كان لها وزن في رسم سياسة الامارة في عهد يحي المأمون(٤٢). وعلى أثر ذلك بدأ أعداء ابن الحديدي في زرع الفوضى واثارة القلاقل في وجه يحي القادر بالله للاطاحة بحكمه وزادت المشاكل الخارجية في تفاقم الاوضاع، اذ استعان ابن هود بالقوات الاسبانية لينتزع منه مدينة شنتبرية ومن جهة أخرى أعلن أبو بكر بن عبدالعزيز استقلاله ببلنسية. أما مدينة قونقة فلم ينقذها أهلها من السقوط بيد "سانشو راميز" ملك أرغونة الا بمال وافر(٤٣). كل ذلك دفع سكان طليطلة الى السعي للتخلص من حكم يحي القادر بالله غير أن ذلك لم يكن خفيا عليه، ومن ثم فقد فكر بدوره في الطريقة التي من شأنها أن تساعده على اخضاع الرعية، ثم استقر رأيه على طلب المساعدة العسكرية من ألفونسو السادس. ولما كان هذا الاخير يعرف ضعف طليطلة ويدرك أنها مهيأة للسقوط بيده، فقد أراد أن يجرد القادره من ماله

---

(٤١) - المقري: نفح الطيب ج 1 ص 416 - ابن خلدون: العبر ج 4 ص - 347.
- ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص - 178 - 179.

(٤٢) - ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص - 177.

(*) - كان ابن الحديدي الساعد الأيمن ليحي المأمون، وحدث أن أشار اليه باعتقال جماعة مشاغبة من أعيان المدينة، ولما تمكن هؤلاء من الفرار من السجن تقربوا من يحي القادر فأوهموه أن حكمه ناقص بسبب منافسة ابن الحديدي له، وأشاروا عليه بقتله، فاستدعاه للمحاكمة، ولما حضر ابن الحديدي رأي تلك الجماعة المشاغبة فتيقن من الهلاك فحاول الاحتماء بيحي القادر بالله، لكن هذا الأخير قام منصرفا تاركا ابن الحديدي تحت رحمة أعدائه الذين قتلوه في الحين، ثم نهبت دوره.
راجع: ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص - 179.

(٤٣) - محمد بن عبد الله عنان: دول الطوائف، ص - 106.

ليزيده ضعفا على ضعف، لذلك وافق على تقديم المساعدة له مقابل مال وافر، طلبه يحي القادر بدوره من أعيان المدينة لكنهم رفضوا تقديمه، فهددهم بتسليم أبنائهم لالفونسو السادس ملك قشتالة لكن أهل طليطلة عاجلوه بالطرد وباستدعاء عمر المتوكل بن الافطس أمير بطليوس الذى مكث بطليطلة زهاء عشرة أشهر ثم عاد يحي القادر الى حاضرته عام ٤٧٤هـ / ١٠٨١م، بدعم من الفونسو السادس بعد أن جرده من أمواله(٤٤)٠ وقد وصف ابن الخطيب هذه العودة بقوله: ((فدخلها والطاغية بين يديه يتبحبح بيده عنده واستقر بها شر استقرار، واقتضاه الطاغية الوعد وسلبه الله النصر والسعد وهلكت الذمم واستؤصلت الزمم، ونفذ عقاب الله في أهلها جاحدي الحقوق، ومتعودي العقوق)) (٤٥)٠

ومهما يكن رجوع يحي القادر بالله الى طليطلة فقد كان الفونسو السادس قد عقد العزم نهائيا على ضمها الى أملاكه، وشجعه على ذلك انقسام المدينة على نفسها ازاء حكم يحي القادر، فضلا عن الموقف المتخاذل الذي اتخذته الامارات الاسلامية الاخرى ازاء أطماع الفونسو السادس في طليطلة وذلك أنه بينما كان أهلها يواجهون الموت البطيء على يد قوات الفونسو السادس أرسل المعتمد بن عباد وزيره ابن عمار الى هذا الملك الاسباني المسيحي وعقد معه اتفاقية أطلقت يد الفونسو في أملاك امارة طليطلة مع حصوله على الضريبة من المعتمد مقابل تزويده بمرتزقة يستعملهم ضد الامراء المسلمين(٤٦)٠ وفي الحقيقة فانه لم يقف مع يحي القادر بن ذي النون في محنته هذه سوى عمر المتوكل بن الافطس أمير بطليوس، الذي دأب على مقاومة أطماع الفونسو السادس بامكانياته المحدودة فأرسل ببعض قواته الى طليطلة تحت امرة ابنه الفضل حاكم ماردة (MERIDA) لكن تفوق قوات قشتالة في العدة والعدد حال دون تحقيق النصر(٤٧)٠

---

(٤٤) - ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص - 181.
- وانظر أيضا: - Dozy: Histoire des Musulmans d'Espagne, T III, p. 190
(٤٥) - ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص 181.
(٤٦) - ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 8، ص 138.
- حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص 259 - 260.
(٤٧) - محمد بن عبد الله عنان: دول الطوائف، ص 108.

وكان ألفونسو السادس قد بدأ حصاره النهائي حول طليطلة في خريف سنة ٤٧٧هـ / ١٠٨٥م، واستماتت السكان في الدفاع عن مدينتهم حتى اختفت المواد العذائية فدفعهم الجوع الى تشكيل وفد بموافقة يحي القادر خرج ليفاوض ألفونسو السادس فاستقبل هذا الاخير الوفد بعد أن توسط له وزيره المستعرب ششند (SISNANDO DAVIDEZ) وعندما دخل وفد طليطلة الى ألفونسو السادس، وجد الوفود الاسلامية التي أرسلها الامراء المسلمون ليقدموا ولاءهم له (٤٨)، وعلى كل حال فقد فشلت مهمة الوفد ولم يلبث يحي القادر بالله بن ذي النون أن سلم طليطلة لالفونسو السادس ملك قشتالة في سنة ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م بشروط يتعهد فيها الملك الاسباني المسيحي بمساعدة يحي القادر على أخذ مدينة بلنسية ليستقر بها، وتأمين أهل طليطلة في الارواح والاملاك، وأن يخير المسلمون من سكانها بين البقاء والرحيل، وأن يتمتع من يفضل البقاء منهم فيها بحرية العقيدة، ويحتفظون بشعائرهم الاسلامية والمسجد الجامع لطليطلة، على ان يدفعوا الالفونسو السادس نفس الضرائب التي كانوا يدفعونها لملوكهم، وأن يسلموا له الحصون والقصر الملكي والمنية المسورة (٤٩). وعلى أثر ذلك غير القشتاليون اسم هذه المنطقة فأصبحت تسمى قشتالة الجديدة (CASTILLA LANUEVA) (٥٠).

وهكذا بدا نهاية الحكم الاسلامي بالاندلس لان طليطلة كانت درعا واقيا له بفضل موقعها الاستراتيجي الممتاز الذي يصعب الوصول اليه لذلك أدى سقوطها الى تمزيق المسلمين الى شطرين. وعبر الشاعر عبدالله اليحصبي المشهور بابن العسال عن هذه الكارثة بقوله:

حثو رواحلكم يا أهل أندلس ۞ فما المقام بها الا من الغلط
السلك ينثر من أطرافه وأرى ۞ سلك الجزيرة منثورا من الوسط
من جاور الشر لم يأمن عواقبه ۞ كيف الحياة مع الحياة في سفط (٥١)

(٤٨) - ابن خلدون: العبر ج 4 ص ـ 348، محمد عنان: دول الطوائف، ص 111.
(٤٩) - ابن خلدون: العبر ج 4 ص ـ 348، المقري: نفح الطيب ج 1، ص ـ 416.
وانظر أيضا: R. Dozy: Histoire des Musulmans d'Espagne T. IV P. 194. -
(٥٠) - أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والأندلسي، ص ـ 471.
(٥١) - ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 5، ص 27 ـ 28.

وعلى أي حال فقد سقطت طليطلة في يد ملك قشتالة الفونسو السادس، وخرج يحي القادر بالله مع أفراد عائلته وبعض أعيان المدينة، ونزلوا ضيوفا فترة من الزمن على حاكم قونقة، ابن الفرج، الذي ظل مواليا ليحي القادر بعد النكبة، ثم دخلوا مدينة بلنسية التي وعد بها يحي القادر بن ذي النون من طرف الملك القشتالي في شوال ٤٧٨هـ / ١٠٨٦م (٥٢). ولم يظهر سكانها سخطهم للامير البربري خوفا من بطش القشتاليين المرافقين له بقيادة الـــبراهـانيــــس (ALVARVANEZ)

ولما استقر يحي القادر بمدينة بلنسبة اتخذ القاضي ابن ليون حاجباله لكن الحكم الفعلي كان بيد الفرقة القشتالية المرابطة بالمدينة، وكان وجودها يكلف يحي القادر ستمائة قطعة ذهبية في اليوم، لذلك اقترح أهل المدينة الذين كانوا يتحملون عبء دفعها ـ اجلاء القتشاليين، فسلم لهم يحي القادر بالله أراض زراعية، مقابل اعفائه من دفع الضرائب لهم لكن القشتاليين صاروا يستغلون الارض بواسطة بعض أهالي المدينة كأقنان دون أن يسقطوا الضرائب عن يحي القادر. ومما زاد الاوضاع تدهورا أن القشتاليين كانوا يشنون غارات على أطراف المدينة للنهب والسلب، ثم انضم اليهم المجرمون واللصوص مما وسع من دائرة نشاطهم. ومن أجلى صور جرائم هؤلاء أنهم كانوا يبيعون أسيرا مسلما بقدح خمر أو برطل من السمك، او برغيف خبز، وعندما يتعذر ذلك يقطع لسان الاسير وتفقأ عيناه، كل ذلك دفع سكان بلنسية الى مغادرة مدينتهم (٥٣). لكن هناك من عز عليه مغادرة المدينة الى جهة أخرى، واخذت هذه الفئة في العمل على التخلص من حكم يحي القادر بالله المستسلم للقشتاليين، وقد تزعم الثورة ضده القاضي أبو أحمد جعفر بن عبدالله بن جعفر بن عبدالرحمن بن جحاف البلنسي، ولما انتهت أنباء الانتفاضة الى يحي القادر بالله بن ذي النون، فر هاربا من قصره فسار رجال ابن جحاف في أثره حتى أدركوه ثم قتلوه، وطافوا برأسه في المدينة، أما جثته فقد طرحت خارج المدينة ثم دفنت دون كفن، وكانت نهاية يحي القادر

---

(٥٢)ـ المقري: نفح الطيب، ج 1، ص 416، ابن خلدون: العبر، ج 4، ص 348.
ـ محمد عبد الله: دول الطوائف، ص 218.
ـ وانظر أيضا: R. Dozy: Histoire des Musulmans d'Espagne T. IV P. 195. -

(٥٣)ـ انظر: R. Dozy: Histoire des Musulmans d'Espagne T. IV P. 197. -

يوم ٢٣ رمضان ٤٨٥هـ / ٢٨ أكتوبر ١٠٩٢م٠ فاستولى ابن حجاف على أمواله وتولى مقاليد حكم المدينة٠ وكان ذلك نهاية حكم بني ذي النون في عهد ملوك الطوائف(٥٤)٠

(٥٤)ـ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص ـ 182 ـ 203.
ـ ابن خلدون: العبر 4 ص ـ 349، الزركلي: الأعلام ج 2، ص ـ 116.
ـ ابن عذاري: البيان ج 3، ص ـ 305.
ـ ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج 7، ص ـ 292.

الفصــل الخامــس
سقــوط الامــارات البربرية

ـ عبور المرابطين الى الاندلس ٤٧٩هـ / ١٠٨٦م ٠
ـ سقوط امارة غرناطة ٤٨٣هـ / ١٠٩٠م ٠
ـ سقوط اشبيلية والمرية ٤٨٤هـ / ١٠٩١م ٠
ـ سقوط امارة بطليوس ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م ٠

عبور المرابطين الى الاندلس

انقسمت الاندلس ـ أثر انهيار الخلافة الأموية ـ الى عدة امارات ضعيفة استحكمت العداوة بينها، فأهدرت قواتها في المعارك الهامشية بهدف التوسع على حساب بعضها البعض وكان ذلك لصالح الامارات الاسبانية المسيحية التي اقتنعت بضرورة الوحدة وجمع الشمل لبسط نفوذها على كامل الاندلس بزعامة مملكة قشتالة (CASTILLE) وعلى رأسها الملك الفونسو السادس الذى عمل على استنزاف أموال المسلمين عن طريق فرض ضرائب ضخمة دفعها المسلمون مكرهين لتلافي الغزو القشتالي بيد أن أطماع الفونسو لم تلبث أن تعدت المال الى المطالبة بالارض، وبالحصون والقلاع والمدن الهامة مما جعل وجود المسلمين قاب قوسين أو أدنى من السقوط، فراودت فكرة الاستعانة بالمرابطين (١)، العامة والامراء خاصة وأن غزوات القشتاليين قد تضاعف عددها. ففي عام ٤٧٥هـ / ١٠٨٢م اخترق الفونسو السادس أراضي المسلمين رغبة في الانتقام منهم حتى بلغ جزيرة طريف (٢). وبعد ذلك بسنوات قليلة سقطت طليطلة (TOLÈDE) في يده سنة ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م مما شجعه على تهديد المعتمد بن عباد بالاستيلاء على قرطبة ـ حيث كان المعتمد ـ ان لم يتنازل له عن عدة حصون، فعامل المعتمد وفد الفونسو السادس الذى أبلغه ذلك معاملة قاسية ثم رجع الى اشبيلية تاركا

---

(١) ـ المرابطون ALMORAVIDES دولة بربرية تنتمي الى قبيلة لمتونة وهي فرع من صنهاجة حكمت من السنغال الى مدينة الجزائر شرقا والاندلس شمالا وبلغت فتوحاتها الى مملكة غانا جنوبا سنة ١٠٧٦م، أسسها يحي بن ابراهيم الجدالي على المذهب المالكي وبلغت أوج عظمتها في عهد يوسف بن تاشفين ثم سقطت تحت ضربات الموحدين ودام حكمها من ١٠٥٦ الى ١١٤٧م.

(٢) ـ ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص ٩٢.

قرطبة تحت رحمة العدو(٣)٠ وعلى أثر ذلك قرر المعتمدين عباد الاستنجاد بالمرابطين لكن ابنه الرشيد أبدى تخوفه من مغبة قرار أبيه على مصير اشبيلية (SEVILLE) فأوضح له المعتمد بن عباد أن الخضوع لحكم المرابطين أهون من الخطر القشتالي (٤)٠ ثم شرع أمراء اشبيلية وبطليوس وغرناطة في اعداد الوفد الذي أرسل على جناح السرعة الى يوسف بن تاشفين وضم قضاة بطليوس وغرناطة وقرطبة وهم على التوالي أبو اسحاق بن مقانا، وأبو جعفر القليعي، وأبو كبر عبيد الله بن أدهم وابن زيدون وزير المعتمد وبعد استماع يوسف بن تاشفين الى الوفد الاندلسي استشار الفقهاء ـ كعادته ـ فأشاروا عليه بالجهاد في الاندلس بغض النظر عن موقف ملوك الطوائف لعجزهم عن مجابهة توسعات قشتالة، فعبرت قوات يوسف بن تاشفين على متن حوالي مائة سفينة بقيادة داود بن عائشة وكان الامير المرابطي آخر من عبر البحر الى الاندلس دون صعوبات تذكر في منتصف ربيع الاول سنة ٤٧٩هـ / ١٠٨٦م وحمل معه الجمال التي كان لها دور فعال في الحرب لان منظرها ورغاءها ينفران خيول القشتاليين التي لم تتعود رؤيتها، وعلى أثر ذلك أبرق الراضي بن المعتمد ـ حاكم المنطقة الى

---

(٣) ـ يبدو أن رواية يوسف اشباخ حول الحادثة المذكورة أكثر موضوعية وأقربها الى التصديق ومفاد روايته أن المعتمد بن عباد قد تلقى وفد الفونسو السادس برئاسة قرمط البرهانس الذي جاءه طالبا الضريبة التى اعتاد المعتمد دفعها لملك قشتالة وضم ذلك الوفد اليهودي ابن شاليب الخبير في شؤون النقد، وفرز الصحيح من المزيف منه وأدرجه ضمن الوفد الفونسو السادس لانه سبق له أن تلقى عملة مزيفة من طرف بعض الامراء لذلك طلب ابن شاليب فحص النفوذ وهو الامر الذى أثار حفيظة المعتمد فاقترح قرمط البرناهس على المعتمد تقديم الضريبة بضرورة عبنيا (سفنا) أوضح له أن اليهودي قد تلقى أوامر صامرة تقضي بضرورة فحص المال٠ وعلى أثر ذلك كتم المعتمد بن عباد غيظه وأسرها على اليهودي في نفسه لذلك أرسل بعض عبيده اليه فقتلوه في خيمته أما رئيس الوفد قرمط البرهانس فلم يقتل لكنه فر هاربا الى سيده الفونسو السادس الذي كان بطليطلة وأطلعه على ما حدث٠ أنظر: يوسف أشباخ تأريخ الاندلس في عصر المرابطين والموحدين، ص. ٧٢٠

(٤) ـ أبو العباس الناصري: الاستقصا، الجزء ٢ ص ٣٨ ـ ٣٩٠
ـ المراكشي: المعجب، ص ١٣٠٠
ـ وأنظر: Dozy : Histoire des Musulmans d'Espagne T. IV. p. 199.

أبيه يخبره بوصول المرابطين، فاوفد ابنه عبدالله بن المعتمد لاستقبال يوسف بن تاشفين محملا بالمواد الغذائية والعلف لجيش المرابطين ودوابهم، وعند اقترابهم من اشبيلية خرج المعتمد بن عباد برجال دولته لاسقبالهم وعند اللقاء تعانق الاميران واظهر كل منهما للاخر الوانا من المودة واستبشرا خيرا بهذا اللقاء وعلى اثر ذلك قدم المعتمد بن عباد الهدايا والتحف التي أعدها لضيفه فوزعها يوسف بن تاشفين على جيشه. وفي هذه الاثناء انضم الامير عبدالله بن بلكين اليهم بحوالي ثلاثمائة فارس وأخوه تميم بن بلكين صحبة حوالي مائتي فارس، أما المعتصم بن صماح حاكم المرية (ALMERIE) فقد اعتذر لكبر سنه، وللخطر القشتالي الذى كان يهدده من حصن ليبط (ALEDO) فاكتفى بايفاد ابنه المعز(٥).

وبعد أسبوع من الاستراحة في اشبيلية سار المسلمون نحو بطليوس فاستقبلهم أميرها عمر المتوكل، مقدما لهم المؤن، ثم شرع المسلمون في تنظيم جيوشهم، فتم توحيد القوات الاندلسية تحت قيادة المعتمد بن عباد الذى احتل المقدمة يليه القائد المرابطي داود بن عائشة في حوالي عشرة آلاف فارس. أما يوسف بن تاشفين فقد كان في المؤخرة مع بقية جيشه، فسار الجميع صوب طليطلة (TOLEDE). وما أن تحرك جمع المسلمين حتى علموا بسير الفونسو السادس (ALPHONSE) نحوهم بعد أن تخلى عن محاصرة سرقسطة (SARAGOSSE) بسبب عبور المرابطين الى الاندلس خوفا من أن يسترجع المسلمون طليطلة المفقودة، ثم استنفر قواته وتلقى الدعم من سانشور اميراز (SANCHO, RAMIRE) أمير أراجوان ونافار (ARAGON, NAVARRE) والكونت برنجار ريموند حاكم برشلونة (BARCELONE) كما تلقى الفونسو السادس مساعدة رجال الدين الذين استنفروا مسيحي ايطاليا وفرنسا فضلا عن شبه جزيرة ايبريا، كل ذلك مكنه من حشد جيوش جرارة اختلف المؤرخون في تقدير حجمها لكنهم يجمعون على أنها أكثر عددا من قوات المسلمين الذين لم

---

(٥) ــ أبو العباس الناصري: الاستقصا، الجزء الثاني، ص ٤١ ــ ٤٢.
ــ المراكشي: المعجب، ص ١٣١.
ــ محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص ٣٠٩ ــ ٣١٠.
ــ وانظر: Dozy : Histoire des Musulmans d'Espagne T.IV, p. 204-205.

ـ د عددهم عن عشرين ألف رجل، في حين كان عدد الاسبان المسيحيين يتراوح ما بين خمسين ألف رجل , تسين ألف رجل (٦) .

وفضل ألفونسو السادس مواجهة المسلمين بعيدا عن أراضيه ليبعد الخطر عن بلاده. ففي حالة انتصاره فانه سيخرب أرض المسلمين أما إذا إنهزم فان المسلمين سيحتاجون الى وقت لتنظيم صفوفهم لمواصلة الزحف نحو أراضي عدوهم وهو الامر الذى يمكن ألفونسو السادس من الاستعداد للمعركة. ومهما يكن من أمر فقد سار هذا الاخير الى المعركة بمعنويات مرتفعة مغترا بقوانه واثقا من النصر ثم كان اللقاء في سهل زلاقة (SACRALIAS) قرب مدينة بطليوس ولم يفصل بين القوتين سوى فرع وادي يانة الممتد شمالا تجاه نهر التاجه. ثم رتب المسلمون قوانهم ترتيبا أخيرا فاحتل المعتمد بن عباد بالقوات الاندلسية المقدمة وقسم الحيش المرابطي الى مجموعتين: الفرسان بقيادة داود بن عائشة في حين تولى يوسف بن تاشفين قيادة الجيش الاحتياطي. أما الفونسو السادس فقد جعل القائد ألبر هانس في المقدمة. وقبل أن تلتحم القوتان في معركة ضارية تراسل الطرفان كما اقتضت تقاليد الحرب آنذاك، فأرسل يوسف بن تاشفين كتابه الى ملك قشتالة وليون يعرض عليه الاسلام أو الجزية أو الحرب. وبعد أن قرأه إشتط غضبا ثم أمر بكتابة اجابة غليظه كلها تهديد وعلق يوسف بن تاشفين على ذلك بعبارة "الذى يكون ستراه" (٧) . وعلى أثر ذلك إتفق الطرفان على خوض المعركة يوم الاثنين لان أيام الجمعة والسبت والاحد هي أعياد للمسلمين واليهود والمسيحيين على التوالي ورغم ذلك فلم يخلد المسلمون الى الراحة، خاصة المعتمد بن عباد الذى توقع هجوم ألفونسو السادس قبل اليوم المتفق عليه، لذلك بث بعض العيون لمراقبة تحركات العدو. وبالفعل فقد التجأ الفونسو السادس الى أسلوب الخداع

---

(6) يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ص 80.
المراكشي: المعجب، ص 3.
وانظر: DOZY: Histoire des Musulmans d'Espagne T.IV. page 203.

(٧) ــ أبو العباس الناصري: الاستقصا، الجزء الثاني، ص ٤١.
ــ ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص ٩٧.

فهجم على المسلمين في فجر يوم الجمعة ١٢ رجب ٤٧٩هـ/ ٢٣ أكتوبر ١٠٨٦م (٨)٠ فأسرع المعتمد بنقل الخبر الى يوسف بن تاشفين الذي وجده على أهبة الاستعداد ونتيجة لعنف الهجوم فقد تأثرت مقدمة المسلمين التي كانت تحت إمرة المعتمد بن عباد ، فاختل النظام وارتد كثير من الجنود نحو مدينة بطليوس (BADAJOZ) ، وأبلى ابن عباد بلاء حسنا في المعركة وأصيب بجروح عديده وكان القائد المرابطي في وضعية حرجة أيضا حتى اعتقد أن الدائرة قد دارت على المسلمين. وفي الوقت المناسب أمر يوسف بن تاشفين قائده سير بن أبي بكر بالدخول الى غمار المعركة، في حين هجم يوسف بن تاشفين بنفسه على محلة الفونسو السادس التي كانت في المؤخرة، وكان هذا الاخير يعتقد أن المسلمين قد ألقوا بجميع قواتهم في المعركة لذلك فوجئ بهجوم يوسف بن تاشفين الذى استولى على محلته بعد أن قتل الفرسان المكلفين بحراستها ، فانكفأ ألفونسو السادس الى الوراء لانقاذها لكنه وجد نفسه محاصرا بقوات المسلمين، وعلى اثر ذلك رأى المعتمد بن عباد – الذي كان يجهل دخول يوسف بن تاشفين في المعركة – قوات قشتالة تولى الادبار فأمر رجاله بملاحقتها ، وعندما سمع الجنود الفارون الى بطليوس برجحان الكفة لصالح المسلمين عادوا الى ميدان المعركة، وقضى على معظم قوات قشتالة التي لم ينج منها سوى نفر قليل مع ألفونسو السادس المجروح الذين انسحبوا تحت جناح الظلام (٩)٠ وقد استعمل المرابطون في هذه المعركة أسلوب الصفوف المتراصة التي عجز القشتاليون عن اختراقها رغم تفوقهم من حيث العدد كما أدى استعمال الطبول بأعداد كبيرة الى زرع البلبلة في صفوفهم فضلا عن الدور الفعال الذى أدته فرقة السود التي قدر عددها بحوالي أربعة آلاف رجل (١٠)٠

وبعد أن أمضى المسلمون ليلتهم في ميدان المعركة تحسبا لتحركات العدو شرعوا عند انبلاج الصبح في جمع الغنائم الوافرة. وقد فرح المسلمون بهذا النصر

---

(٨) – ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص ٩٦ ، الحميري: الروض المعطار، ص ٢٩٠٠
– المراكشي : المعجب ، ص ١٣٤٠
(٩) – ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص ٩٦، الحميري: الروض المعطار ص ٢٩١٠
– المراكشي : المعجب ، ص ١٣٤ – حسن أحمد محمود قيام دولة المرابطين ص ٢٧٨٠
(١٠) – ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص ٩٦٠

فاعتقوا العبيد وأخرجوا الصدقات، وقد سقط من جانب المسلمين في هذه المعركة حوالي ثلاثة آلاف رجل ومن نتائجها أن تلقب يوسف بن تاشفين بلقب أمير المسلمين مما تجدر الاشارة اليه أن المسلمين لم يستغلوا هذا الانتصار لتحرير طليطلة لاضطرار يوسف ابن تاشفين الى الرجوع الى المغرب بسبب وفاة أحد أبنائه الذي كان قد تركه مريضا بسبتة، أما الجنود الذين أبقاهم بالاندلس والمقدر عددهم بثلاثة آلاف جندي فان مهمتهم كانت تنحصر في مواجهة أي هجوم قد يشنه ألفونسو السادس على المسلمين (١١)٠

وبعد مضي سنة عن معركة الزلاقة تمكن ألفونسو السادس من اعادة بناء جيشه مستفيدا من قدوم الفرسان والجنود من فرنسا والمرتفعات الالبية يدفعهم الحافز الديني لمحاربة الاسلام، في الوقت الذي تفرقت فيه كلمة المسلمين بدافع الاثرة وحب الذات، وقد استغل القشتاليون ذلك ليدعموا قاعدتهم بحصن لييط (ALEDO) الواقع بين مرسية ولورقة، ومنه كانت تنطلق الغارات على أرض المسلمين خاصة ضد مرسية والمرية ولورقة وعندما عجز الاندلسيون عن صد هذه الغارات راسلوا ثانية يوسف بن تاشفين يطلعونه على ما يعانونه من ويلات على يد جنود قشتالة، وفي هذا السياق أسرع المعتمد بن عباد الى عبور البحر قاصدا مراكش حيث قابل يوسف بن تاشفين أمير المرابطين فحاول اقناعه بتعيينه قائدا على القوات التي سيوفدها الى الاندلس خدمة لمصلحة مسلمي أسبانيا، بيد أن أمير المرابطين أظهر له عزمه في العبور الى الاندلس بنفسه على رأس جيشه فرجع المعتمد بن عباد الى اشبيلية دون أن يقضي وطره (١٢)٠

وسرعان ما أبر يوسف بن تاشفين بوعده فنزل بالجزيرة الخضراء في شهر ربيع الاول سنة ٤٨١هـ / يوليو ١٠٨٨م، ثم سار نحو الشرق خلافا لحملته الاولى

---

(١١) ـ ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص ٩٦٠
ـ وانظر: F. Dozy : Histoire des Musulmans d'Espagne T. IV. p. 206.
L. Alphin : L'Essou de L'Europe p. 229.

(١٢) ـ يوسف أشباخ: تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين، ص ٩١٠
ـ المراكشي: المعجب، ص ١٣٢٠
ـ محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص ٣٢٤٠

فمر بأمالقة (MALAGA) ومرسية (MURCIE) لمد يد المساعدة لسكانها الدين كانوا هدفا لغارات القشتاليين، وطلب من أمراء الاندلس أن يوافوه قرب حصن لييط (ALEDO) لمحاصرته. فلبى الدعوة أكثرهم كالمعتمد ابن عباد أمير اشبيلية وعبدالله بن بلكين أمير غرناطة وتميم بن بلكين حاكم مالقة، وابن رشيق صاحب مرسية والمعتصم بن صمادح أمير ألمرية وغيرهم كروءساء مدن بياسة وجيان ولورقة وشقورة وبسطة (١٣).

ثم حاصر المسلمون حصن لييط حصارا شديدا بآلاتٍ ضخمة وكان به حوالي ثلاثة عشر ألف مقاتل منهم ألف فارس، فضلا عن مسيحي المنطقة الذين التجأوا اليه. ودام الحصار حوالي أربعة أشهر كانت كلها قتال وتراشق بالاسلحة بين الطرفين لكن مناعة الحصن حالت دون هدم أو ثلم أسواره، الا أن الجوع أودى بحياة الكثير من معتصمي الحصن خاصة الاطفال والنساء، ورغم ذلك فقد يئس يوسف بن تاشفين من فتحة بسبب حلول فصل الشتاء وشعوره بخيبة الامل من جراء اختلاف أمراء الاندلس فيما بينهم، فقد تبادل تميم مع أخيه عبدالله بن بلكين التهم واشتكى كل منهما من الاخر، كما حاول كل من المعتمد بن عباد والمعتصم بن صمادح أن يوءلب أمير المرابطين على الاخر. أما الخلاف بين المعتمد بن عباد وابن رشيق فقد بلغ أشده عندما اتهم الاول، الثاني باغتصاب مرسية منه وبتحالفه مع ملك قشتالة(١٤)، وبكونه يساعد حامية لييط سرا، وقبل البت في هذه القضية الاخيرة عرضها يوسف بن تاشفين على الفقهاء فاتفقوا على ادانة ابن رشيق فاعتقله يوسف بن تاشفين ثم سلمه للمعتمد ابن عباد بعد أن اشترط عليه عدم قتله، وقد عاد ذلك بأسوأ الاثر على معسكر المسلمين اذ سرعان ما انسحب رجال ابن رشيق منه واعتصموا بالجبال ومنها كانوا يهاجمون القوافل التي تمون جيوش المسلمين فقلت المواد الغذائية وارتفعت أسعارها مما أدى الى تفشي الاضطرابات في أوساط الجنود (١٥).

---

(١٣) ـ يوسف أشباخ: تاريخ الاندلس في عصر المرابطين والموحدين، ص ٩١.
ـ المراكشي: المعجب، ص ١٣٢.
ـ حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص ٢٩١ ـ ٢٩٢.
(١٤) ـ ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص ٩٩.
ـ حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص ٢٩٤.
(١٥) ـ حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص ٢٩٤.
ـ وأنظر: R. Dozy Histoire des Musulmans d'Espagne T. IV. p. 2?4

وبينما كان يوسف بن تاشفين يواجه هذه المشاكل بالص ، اذا بأخبار سير ألفونسو السادس لانقاذ لييط تصله، فدرس الموقف على عجل ثم قرر عدم مواجهته، لما كان عليه معسكره من اضطراب ولعدم ثقته في جنود الاندلس الذين كان البعض منهم قد فر من ساحة المعركة في موقعة الزلاقة، لذلك فضل الانسحاب نحو لورقة(١٦) ، وعندما دخل ألفونسو الى الحصن لم يجد بداخله سوى عددا قليلا من الجنود والفرسان فقرراخلاءه وهدمه لصعوبة الدفاع عنه بسبب وقوعه في عمق أرض المسلمين وعليه فقد حقق المسلمون هدفهم المنشود بالرغم من فشل حصارهم السالف الذكر، وقد عزا فقهاء المرابطين ضعف المكاسب التي حققها يوسف في هذه الحملة الى تخاذل أمراء الاندلس أمام العدو، لذلك أشاروا عليه بتصفيتهم خدمة لمصلحة المسلمين.

ومهما يكن من أمر فقد انسحب القشتاليون من حصن لييط (ALEDO) سنة ٤٨٢هـ / ١٠٨٩م، ثم احتل المعتمد بن عباد أطلاله. أما يوسف بن تاشفين فانه قفل راجعا الى المغرب عبر ألمريه والجزيره الخضراء بعد أن ترك حوالي أربعة آلاف فارس بقيادة داود بن عائشة تركزوا في منطقتي مرسية وبلنسية(١٧).

وفي مطلع سنة ٤٨٣هـ / ١٠٩٠م نظم يوسف بن تاشفين حملته الثالثة الى الاندلس وهي تختلف عن الحملتين السالفتين بكونها مبادره اتخذها المرابطون دون طلب من أمراء الاندلس فتملكهم القلق والخوف على مصير تيجانهم المهددة بالسقوط، وكان يوسف بن تاشفين قد قرر تصفيتهم لتناحرهم فيما بينهم ولهدر وقتهم في الترف والمجون بأموال الرعية التي أثقلوا كاهلها بالضرائب غير الشرعية في وقت كانت الاندلس في أمس الحاجة الى تعبئة كل الامكانيات والى رص الصفوف والاعتصام بحبل الله والتآخي لمواجهة امارة "قشتالة وليون" التي تهدد المسلمين في وجودهم. ومن مفارقات الدهر أن هؤلاء الامراء المسلمين قد تحالفوا مع ألفونسو السادس ضد ما أسموه بالخطر المرابطي ووقع هذا التحالف السري كل من المعتمد بن عباد أمير اشبيلية والمتوكل بن الافطس أمير بطليوس، ورغم ذلك

---

(16) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص 292.

وانظر: R DOZY. Histoire des Musulmans d'Espagne T.IV. Page 224

(١٧) – ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص ٩٩.

– محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص ٣٢٥ – ٣٢٦.

– وأنظر: R. Dozy : Histoire des Musulmans d'Espagne T. IV. 224.

فلم تستهدف حملة يوسف بن تاشفين في بدايتها أمراء الاندلس المسلمين بل غزا أراضي قشتالة دون أن يتقدم أحد لمساعدته ولم يطلب هو ذلك منهم فارتابوا في نواياه ووصل الى طليطلة التي حاصرها لكن مناعة أسوارها وأحكام خطة الدفاع مكنت الفونسو السادس من افشال الحصار، وعلى أثر ذلك انكفا أمير المرابطين يوسف بن تاشفين نحو الجنوب حيث شرع في عزل ملوك الطوائف (١٨)٠

سقوط غرناطة ٤٨٣هـ / ١٠٩٠م

كان الامير عبدالله ضمن الامراء الذين استجَدوا بالمرابطين، وساهم في معركة الزلاقة ثم في محاصرة حصن لييط (ALEDO) ، فضلا عن المساعدة التي قدمها كالموءن والعلف٠ غير أن ذلك لم يحل دون اسقاط عرشه وأخذه أسيرا الى أغمات ، قرب مراكش٠

ويعتقد أن خطة القضاء على الامير عبدالله قد بدأت تنسج خيوطها أثناء محاصرة حصن لييط سنة ٤٨١هـ / ١٠٨٨م ، ففي ذلك الوقت كان وزيره أبو جعفر القليعي يكثر من زياراته ومقابلاته ليوسف بن تاشفين، فشعر عبدالله بن بلكين بالقلق وخامره الشك في مغزى هذه اللقاءات فتوقع موءامرة من صنع وزيره القليعي (١٩) ضده، لانه كان يطمح الى تقلد مناصب سياسية عالية قد يجود بها يوسف بن تاشفين له٠ ولما رفع هذا الاخير الحصار عن حصن لييط طلب من الامير عبدالله بن بلكين أن يوافيه عند مدينة وادي آش، وعندما وصل اليها تملكه الخوف تحسبا لمغبة هذا اللقاء خاصة وأن القائد المرابطي "قرور" أبدى له جفاء وتهديدا أثناء محاصرة لييط زاعما له أن يوسف بن تاشفين هو الذى أمره بذلك، وفي الحقيقة فان القائد قرور أراد اهانة أمير غرناطة لذا خصه بمعاملة قاسية واحتال عليه لاخذ ألفي وخمسمائة دينار، فضلا عن المبلغ الاخر الذى أخذه

---

(١٨) ــ يوسف أشباخ: تاريخ الاندلس في عصر المرابطين والموحدين، ص٩٣٠
ــ محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص ٣٢٨ ــ ٣٢٩٠

(١٩) ــ كان باديس بن حبوس يرى في أبي جعفر القليعي ، الرجل الخطير الذى سيخلق متاعب كثيرة لدولته، لذلك فكر في قتله لكنه لم يفعل ذلك لاسباب نجهلها٠ أنظر: ــ ابن الخطيب: الاحاطة، المجلد الاول، ص ١٥٤٠

منه أثناء محاصرة لييط ورغم ذلك فقد كان قرور يترفع عنه وينفر منه نكاية به دون أن يجرؤ الامير عبدالله على إعلام أمير المرابطين بذلك (٢٠).

ولم تذكر المصادر عن فحوى هذا اللقاء الا النزر اليسير كطلب عبدالله بن بلكين من يوسف بن تاشفين ترك فرقة من قواته لمواجهة الاعمال التخريبية التي يشنها القشتاليون ضد المسلمين لكنه لم يجبه لطلبه.

لم ينتظر أمير غرناطة طويلا حتى هدده ملك قشتالة ألفونسو السادس بغزو وادي آش، في الوقت الذى أرسل رسله الى غرناطة طالبا المال، لكنه فاوضه في شأنها وأسفرت مفاوضاتهما عن اتفاقية المسالمة وعدم الاعتداء، وهو ما أثار سخط يوسف بن تاشفين، فحاول عبدالله اقناعه بأهمية الاتفاقية لكونها تحمي أراضي غرناطة من غارات قشتالة لكن محاولاته باءت بالفشل خاصة وأن وزيره أبا جعفر القليعي قد فندها بحجج أوحت ليوسف بن تاشفين بأن الاتفاقية موجهة ضده، ثم تفاقم الوضع على عبدالله بن بلكين باتهام المعتمد بن عباد له بكون الاتفاقية المبرمة بين غرناطة وقشتالة ضده، ودليله على ذلك أن قوات ألفونسو السادس غزت أراضي اشبيلية دون غرناطة (٢١).

وعندما رجع أبو جعفر القليعي الى غرناطة استدعاه عبدالله بن بلكين واتهمه بتحريض يوسف بن تاشفين ضده لذلك قرر قتله، لكن أمه ــ التي كانت تؤثر فيه ــ طلبت منه أن يبقيه حيا فسجنه في احدى غرف القصر وهناك عكف القليعي على العبادة وقراءة القرآن حتى أثر في أهل القصر الذين أصبحوا يقللون من حركاتهم ويخفضون أصواتهم كي لا يعكروا صفو تلاوة القرآن ثم تدخلت الام مرة ثانية وطلبت من ابنها عبدالله بن بلكين اطلاق سراحه، ولم ينتظر أبو جعفر القليعي بزوغ الشمس ليغادر غرناطة بل سار ليلا حتى بلغ قلعة يحصب ثم قصد قرطبة التي كان بها أمير المرابطين ثم طلب مقابلته وعندما أدخل اليه بذل قصارى جهده لتشويه سمعة أمير غرناطة. وقد اطمأن يوسف بن تاشفين الى كلامه لانه يدعم وراءه القاضي بالاستيلاء على الاندلس. وعندما علم الامير

---

(٢٠) ــ الامير عبدالله الزيرى، التبيان، ص ١٢٣.
(٢١) ــ الامير عبدالله الزيرى: التبيان، ص ١٢٨.

عبدالله بهروب أبي جعفر القليعي ندم على اطلاق سراحه ثم أنحى باللائمة على أمه أما القليعي فقد عاش مغمورا بخير المرابطين (٢٢) • وكان الاجراء الاخير الذي اتخذه يوسف بن تاشفين قبل أن يبسط نفوذه على الاندلس هو استفتاء فقهاء المغرب والمشرق فأجازوا له تقويض أركان الامارات لانها فقدت شرعيتها لعدم احترامها لدين والعدالة• واستهدفت الفتاوى بالدرجة الاولى أمير غرناطة وأخاه تميم حاكم مالقة• أما الرعية فقد عرف المرابطون كيف يحيدونها وذلك باسقاط الضرائب التي لم ترد في القرآن ، عنها فاستراح الناس من عبء ثقيل (٢٣) (+) • وعلى أثر ذلك استدعى يوسف بن تاشفين الامير عبدالله بن بلكين الى مدينة قرطبة (CORDOUE) لكنه توجس خفية منه لذلك اكتفى بايفاد وفد نيابة عنه فغضب بن تاشفين ووضع أعضاءه رهن الاعتقال وعزم على غزو غرناطة كما تغزى أرض العدو•

وفي هذه الاثناء كان الامير عبدالله بن بلكين يعاني من مشاكل كثيرة فعاش أنذاك أخطر مرحلة في حكمه• الاقاليم كانت تخرج عن طاعته الواحدة تلو الاخرى وأخذ سكان غرناطة في مغادرة مدينتهم لاستقبال المرابطين ولاعلان ولائهم لهم ، لذلك فكر عبدالله بن بلكين في الاستنجاد ألفونسوالسادس ملك قشتالة ، بيد أنه استبعد هذه الفكرة ــ كما ذكر لنا في مذكراته ــ لاعتبارات دينية ولخوفه من غضب الجماهير ، التي ستجد الفرصة لمساندة المرابطين الذين وصلت بعض فرقهم الى مشارف غرناطة فأسرع عبدالله الى تقديم المواد الغذائية والعلف لها تلبية لطلبهم وطمعا في النجاة• ثم أوفد وفدا من الفقهاء الى يوسف بن تاشفين مقدما له الولاء والمال الوافر• فتلقى جوابا بأن لا طاعة ولا صلح الا بالخروج اليه مقابل تأمينه في الاهل والمال، أو يغادر المدينة الى حيث يشاء (٢٤) • وعلى اثر ذلك اجتمع عبدالله برجاله طالبا منهم الرأى السديد الذى ينقذه من المأزق الذى آل اليه• فاقترح عليه عميد المستشارين "مؤمل" الخروج لاستقبال أمير المرابطين حتى يخلق جوا من الثقة بينه وبين يوسف

---

(٢٢) ــ ابن الخطيب : الاحاطة• المجلد الاول ، ص ١٥٥ ــ ١٥٦•

(٢٣) ــ ابن خلدون : العبر ، المجلد السادس• ص ٣٨٣ ــ ٣٨٤•

(+) ــ أفتى الغزالي والطرطوشي له بعزل ملوك الطوائف (ابن خلدون ، العبر المجلد ٦ ، ص ٣٨٤) •

(٢٤) ــ الامير عبدالله الزيرى : التبيان • ص ١٤٩•

بن تاشفين لكن عبدالله بن بلكين تعلق بفكرة الدفاع والصمود في وجه المرابطين ، فاوضح له مؤهل بأن ذلك غير ممكن لان جيوش المرابطين أقوى من أن نصمد أمامها غرناطة (GRENADE) واستحسن بقية الاعضاء رأي مؤمل ، ورغم ذلك فقد شك عبدالله في ولاء هذا الرجل له واعتبره حليفا لابي جعفر القليعي ((٢٥) ٠ واتهمه بالتواطؤ معه في هروبه ، ومن الصعب الفصل في هذا الامر وان كان رأي عبدالله بن بلكين لا يخلو من جوانب موضوعية اذ من المحتمل أن يكون يوسف بن تاشفين قد اتصل به سرا خاصة وأن اضطراب الاوضاع في غرناطة يوفر له التغطية الكاملة لمثل هذا النشاط ومهما يكن من أمر فقد رفض عبدالله رأي رجاله وقرر مواجهة المرابطين بالقوة مما دفع معظم رجاله الى الخروج ليلا نحو لوكسة لاعلان ولائهم للمرابطين لكن عبدالله بن بلكين أعادهم بالقوة الى غرناطة حيث ينتظرهم الهلاك الا أن ندخل يوسف بن تاشفين أرغمه على اطلاق سراحهم (٢٦) ٠

وبرى بعض المؤرخين بأن عبدالله بن بلكين قد بذل في هذه الاونة جهودا جبارة ليحصل على دعم من ألفونسو السادس (ALHPONSE VI) لكن مساعيه ذهبت سدى (٢٧) ٠ ويبدو أن هذا الرأي ضعيف لان عبدالله قد درسه وانتهى الى رفضه واستبعاده بمعطيات منطقية رغم تفكير سكان غرناطة في التخلص منه اتقاء شر المرابطين وطمعا في تحسين ظروفهم الاجتماعية ، وفي هذا السياق أسرعت بعض فرق الجيش الى تقديم الولاء والطاعة لكون الفاتحين من جنسهم وعدوهم بالترقية ـ أما التجار فلم تكن الحرب من طباعهم لذلك غادر الكثير منهم الحاضرة ، ورحب عامة الناس أيما ترحيب بالمرابطين بسبب اسقاط الضرائب عنهم الا ما أقره القرآن منها ٠ وحتى العبيد الصقالبة والخدم والنساء والخصيان نبذوا الطاعة وتوسموا خيرا في العهد الجديد ، فالكل يمني النفس بحياة أفضل وعليه فالمدينة كانت شبه خالية (٢٨) ٠ فاحتار عبدالله ولم يجد سبيلا للخروج من المأزق لذلك جمع مجلسه بحضور أمه التي كانت طامعة في أن يتزوجها أمير المرابطين ـ ونصحت ابنها بالخروج بقولها "أخرج يا بني لا ستقباله انه قريبك

---

(٢٥) ـ أنظر : R. Dozy : Histoire des Musulmans d'Espagne T. IV. p. 228

(٢٦) ـ أنظر : Ibid. p. 229

(٢٧) ـ أنظر : Ibid. p. 230

(٢٨) ـ الامير عبدالله الزيري : التبيان ، ص ١٥٠ ٠

سيما ملك معاملة حسنة" (٢٩) ثم تبين لعبدالله بن بلكين أن مغادرة غرناطة الى مكان آخر من الاندلس لا يخلو من المخاطر لان الاقاليم كلها مهددة بالسقوط في يد المرابطين، ثم أن وضع مدينة غرناطة في حوزة المسلمين "أولى وأجمل للعاقبة (٣٠)" • لان الاستعانة برجال قشتالة لا تجدي نفعا•.

وعلى أثر ذلك قرر عبدالله بن بلكين الخروج لاستقبال المارابطين ليبرهن لهم على براءته من التهم الموجهة اليه، وفي هذه الاثناء أشار عليه بعض رجال الدولة بايداع أمواله لديهم كي لا يستولي عليها المرابطون لكنه رفض ذلك خوفا من أن يستغلها هؤلاء الاشخاص ضده كوسيلة للتقرب من يوسف ابن تاشفين وكسب رضاه وهو ما يعطي مبررا لهذا الاخير لنقض الامان الذي منحه أياه، ثم أن كثيرة الاموال - حسب رأيه - تحتاج الى الملك وما دام عرشه قد هوى فلا بأس من تسليمها للمرابطين كاملة كما طلبوها، وأنه غير مثقل بأفراد العائلة (٣١)•

ثم خرج عبدالله بن بلكين في موكب ضخم تتقدمه فرقة الصقالبة وتحيط به الفرقة المسيحية من حرسه بملابس فخمة يمتطون خيولا أصيلة تكسوها أقمشة مزركشة• وعندما وصل الموكب الى مقر يوسف بن تاشفين، ترجل عبدالله بن بلكين واعتذر له ان بدر منه ما أغضبه فأجابه بأنه قد نسي الاحقاد التي كان يحملها له ثم طمأنه على نفسه وأهله وطلب منه التوجه الى خيمة أعدها لايوائه موضحا له بأنه سيلقي فيها اسمى آيات التقدير• بيد أنه لم يكد يلج اليها حتى وجد نفسه مكبلا بالاغلال تحت حراسة القائد "قرور"• ثم استعان يوسف بن تاشفين بمؤمل - مستشار عبدالله - لمعرفة الوضعية المالية لغرناطة فأخبره بأن هناك سجلات خاصة بالاموال طلب من عبدالله بن بلكين احضارها وكلف قرور بمهمة تجريده من أمواله ثم صعدت أمه الى القصر مع قرور لتسلم له الاموال والنفائس وفتش الخدم بحثا عن المال وتعرض عبدالله بن بلكين مع أمه لتفتيش دقيق أيضا ووجد عنده سفطا من الذهب به عشرة عقود من أنفس الجواهر وذهبا وستة عشر ألف دينار وخواتم• فاستفسره قرور في أمرها وأجابه بأنه احتفظ بها ليهديها ليوسف بن تاشفين• ثم فتشت الثياب والامتعة وأسس المنازل وقنواتها بحثا عن

(٢٩) - أنظر: R. Dozy : Histoire des Musulmans d'Espagne T. IV. p. 230.
(٣٠) - الامير عبدالله الزيري: التبيان، ص ١٥٢•
(٣١) - الامير عبدالله الزيري: التبيان، ص ١٥٤•

المال المدفون وكان قرور أثناء هذه العملية يستولي على الملابس والاشياء التي تعجبه(٣٢)• وبعد تجريده من أمواله التي كانت معه والاستيلاء على الموجود منها بالقصر، أمره باظهار أمواله المودعة، فجمعت أمه ما أودعته من أموال وجواهر ثم أنهى القائد قرور العملية هذه باحضار مصحف للقرآن الكرين ليؤدي عبدالله وأمه اليمين على أنهما لا يملكان شيئا (٣٣)•

وعلى أثر ذلك دخل يوسف بن تاشفين الى مدينة غرناطة دخول الفاتحين ورحب به الناس أيما ترحيب وزع الثياب والنفائس والاواني والفرش على قادته دون أن يبقي شيئا منها لنفسه(٣٤)• ثم زود عبدالله بن بلكين بمبلغ ثلاثمائة دينار والخدم وخمس دواب وأمره بالتوجه الى الجزيرة الخضراء حيث سيوافيه هناك• وكان سقوط امارة غرناطة الزيرية يوم عشرة رجب ٤٨٣هـ / سبتمبر ١٠٩٠•

وعندما بلغ عبدالله بن بلكين الجزيرة الخضراء أخبر بأن يوسف بن تاشفين سيلتقي به بسبتة من أرض المغرب عوضا عن الجزيرة الخضراء فعبر البحر اليها ثم سار صوب مكناسة وهناك استقبله القائد سير بن أبي بكر وزوده بمبلغ مائة دينار لم تكفه لسد حاجياته وأمه، فباع الاثنان ما بقي لهما من الثياب التي تركها لهما القائد قرور بعد التفتيش• ثم هدأت الضائقة المالية التي عصفت به بفضل المال الذي أرسله له يوسف بن تاشفين قدره ثلاثمائه دينار مع رسالة هدأت من روعه يمنيه بحياة سعيدة بمراكش• لكنه لم يف بوعده بل ظل سجينا بأغمات ــ قرب مراكش ــ حيث كتب مذكراته حتى أدركته المنية(٣٥) (+)•

---

(٣٢) ــ نفس المصدر: ص ١٥٦•
ــ ابن الاثير: الكامل، ج٨، ص ١٤٣•
(٣٣) ــ الامير خالد الزيرى: التبيان، ص ١٥٩•
(٣٤) ــ أنظر: R. Dozy : Histoire des Musulmans d'Espagne T. IV. p. 231-232.
(٣٥) ــ الامير عبدالله الزيرى: التبيان، ص ١٦١ ــ ابن خلدون: العبر المجلد ٤ ص ٣٤٦•
ــ ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص ١٠٠•
(+) ــ ذكر ابن الاثير أن يوسف بن تاشفين قد استولى على غرناطة غدرا (الكامل ج٨ ص ١٤٣) وذكر ابن أبي زرع أنه استولى عليها بالامان (روض القرطاس، ص ١٠٠)•

وبدراسة شخصية عبدالله بن بلكين يتجلى لنا هذا الاخير شخصا ضعيفا لم يكن في مستوى الاحداث التي كان يعيشها، فهو جبان يكره الحروب ولا يطيق تحمل الحياة القاسية المفعمة بالمغامرات وبالاضطرابات، وكان جزوعا يستولي عليه الخوف لادنى السبب كما ذكر لنا ذلك في تضاعيف مذكراته التي ضمنها عبارات صريحة عن هذه الصفات كقوله: "فأدركني من ذلك رعب... لا سيما أن الجزع والسوداء متمكنة من نفسي وأجدها في طباعي، كدت أن أموت غما (٣٦). وقوله: "... قد أشرب قلبي من الخوف والجزع ما لم أعهده قط(٣٧). وقوله: "... فاستفهمت والدتي وبكيت لها (٣٨)". وبالنسبة لثقافته فقد كان ملما بالعربية يقرض الشعر، وله خط جميل استغله في كتابة القرآن الكريم واحتفظ بنسخته تلك بغرناطة لفترة طويلة (٣٩). وكان ينفر عن اللهو والمجون وان كان مغرما بتناول الخمر، وبعد اعتقاله بأغمات استسلم لواقعة"... وأنزلنا أنفسنا بمنزلة لم يكن قط الا على هذه الحالة واعتبرنا بمن كان قبلنا ونظرنا لمن هو دوننا (٤٠).

وعلى اثر سقوط غرناطة بيد يوسف بن تاشفين أسرع المتوكل بن الافطس والمعتمد بن عباد الى تقديم التهاني له، وطمع هذا الاخير في أن يتنازل له يوسف ابن تاشفين عن غرناطة مقابل أرض الجزيرة التي استولى عليها. غير أنه سرعان ما خابت آماله عندما استقبله بجفاء وألقي القبض علي عبيد الله عز الدولة ابن المعتصم بن صمادح (٤١)، فانسحب الاميران من معسكر يوسف بن تاشفين بحجة تهديد ألفونسو السادس لاراضيهما الشمالية. وعقب ذلك أجريا اتصالات عديدة مع أمراء الاندلس لمواجهة خطر المرابطين الذين أصبحت مشاريعهم مكشوفة فاتفق هؤلاء الامراء على عدم تزويدهم بالمؤن والرجال، وعلى عقد تحالف مع ملك قشتالة ألفونسو السادس (٤٢).

---

(٣٦) ـ الامير عبدالله الزيري: التبيان، ص ١١٤.
(٣٧) ـ نفس المصدر: ص ١٥٥.
(٣٨) ـ نفس المصدر: ص ١٥٩.
(٣٩) ـ انظر: R. Dozy : Histoire des Musulmans d'Espagne T. IV. p. 228.
(٤٠) ـ الامير عبدالله الزيري: التبيان، ص ١٧٦.
(٤١) ـ حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص ٢٠٤.
ـ وأنظر: R. Dozy : Histoire des Musulmans d'Espagne T. IV. p. 233.
(٤٢) ـ وأنظر: – Idem.

ثم أخذ المعتمد في التأهب للحرب بتدعيم تحصيناته، وحدثت القطيعة بينه وبين المرابطين بالرغم من طلب أميرهم يوسف بن تاشفين مقابلته كما أرسل له يطلب منه الغاء الضرائب غير الشرعية على كاهل الرعية لكن المعتمد أصم أذنيه ولم يجبه.

وعندما غادر يوسف بن تاشفين الاندلس في شهر رمضان ٤٨٣هـ/ نوفمبر ١٠٩٠م، فوض قائده سير بن أبي بكر شؤون الاندلس، على اثر ذلك شرع في تقويض أركان الامارات المتبقية الواحدة تلو الاخرى وفي هذا الاطار زحف نحو اشبيلية ـ التي أدى سقوطها الى انهيار بقية الامارات ـ ووجه أبا عبدالله بن الحاج صوب قرطبة التي كانت تحت حكم الفتح أبي نصر (المأمون) بن المعتمد فحاصرها حتى سقطت يوم الاربعاء ٣ صفر ٤٨٤هـ / ١٠٩١م وقتل المأمون خلال اقتحام المدينة(٤٣) ثم فتح المرابطون بياسة وأبذه وحصن البلاد والمادون والصخيرة وسقورة وقلعة رباح وهكذا لم ينقض شهر صفر حتى فقد المعتمد كل أراضيه ولم يبق له سوى اشبيلية وقرمونة ورندة وميرتلة فتملكه الذعر مما دفعه الى طلب المساعدة العسكرية من ملك قشتالة ألفونسو السادس دون النظر الى العواقب (٤٤). فقدم له ألفونسو السادس عشرين ألف فارس وأربعين ألف راجل، لكن جيش المرابطين بقيادة ابراهيم بن اسحاق اللمتوني تمكن من هزمهم قرب حصن المدور ولم ينج منهم الا عدد قليل (٤٥). أما قرمونة المنيعة فقد سقطت بسهولة عكس ما كان متوقعا وكان فتحها في ربيع الاول ٤٨٤هـ / ١٠٩١م وبعد ذلك أمست اشبيلية وجها لوجه مع المرابطين. ومما عجل بسقوطها وجود معارضة معتبرة كانت ضد حكم المعتمد فاستغلت الظرف المناسب للثورة عليه، وكان الهجوم المرابطي النهائي يوم الثلاثاء منتصف رجب سنة ٤٨٤هـ / ١٠٩١م أسفر

---

(٤٣) ـ الفتح بن خاقان: قلائد العقيان، ص ٢٢.
ـ ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص ١٠٠.
ـ المراكشي: المعجب، ص ١٣٩.
ـ الامير عبدالله: التبيان، ص ١٧٠.

(٤٤) ـ حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص ٣٠٤.
ـ يوسف أشباخ: تاريخ الاندلس، ص ٩٦.

(٤٥) ـ ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص ١٠٠ ـ ١٠١.
ـ ابن الاثير: الكامل في التاريخ ج٨ ص ١٥٥.

عن استسلام المعتمد بن عباد بعد أن أمن في نفسه وأمواله وأهله يوم ٢٢ رجب ٤٨٤هـ / ٧ ديسمبر ١٠٩١م أما الراضي والمعتد ولدا المعتمد فقد صمدا في معقليهما الاول برندة والثاني بميرتله. وعقب ذلك أرغم سير ابن أبي بكر المعتمد بن عباد على أن يطلب من ولديه الصامدين الاستسلام وعلى أثر ذلك فتح الراضي الابواب للقائد المرابطي جرور اللمتوني الذى أعدمه بمجرد وقوعه بيده أما المعتد فقد نجا من الهلاك لكنه جرد من جميع أملاكه(٤٦).

وعلى أثر ذلك سيق المعتمد بن عباد مع جميع أفراد عائلته الى مدينة أغمات القريبة من مراكش حيث ذاق الامرين، ووجد سلواه في قرض الشعر فجادت قريحته بقصائد جميلة يصف فيها محنته ولم ينقذه من عذابه الا الموت في ١١شوال ٤٨٨هـ / أواخر أكتوبر ١٠٩٥م (٤٧). ثم سقطت المرية بيد القائد المرابطي داود بن عائشة، وكان المعتصم ابن صمادح قد توفي في أثناء الحصار)٤٨(. أما ابنه أحمد معز الدولة فقد فر الى بجاية (٤٩). وبعدها سقطت مرسية في شوال ٤٨٤هـ / أكتوبر ١٠٩١م، ثم شاطبة وشقورة ودانية سنة ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م.

وبالنسبة لامارة بطليوس فقد شعر عمر المتوكل بن الافطس بالخطر بعد سقوط اشبيلية بيد المرابطين، فحاول تفادي خطرهم بخطب ودهم. والتقارب مع ملك قشتالة الفونسو السادس في آن واحد، فكان يخاطبهم بالطاعة ويعلن لهم استعداده لمواجهة القشتاليين، ويراسل سرا الفرنسو السادس في أمر مساعدته ان داهمه خطر المرابطين ولم تكن هذه السياسة لتعجب لابنه المنصور فأشار على أبيه باختيار أحد الطرفين فاما الاستسلام للمرابطين والتنازل لهم عن الحكم

---

(٤٦) ــ المراكشي: المعجب، ص ١٤٠ ــ ١٤١.
ــ الامير عبدالله الزيرى: التبيان، ص ١٧٠.
ــ ابن خلدون: العبر المجلد ٦، ص ٣٨٥.
ــ ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص ١٠١.
(٤٧) ــ المراكشي: المعجب، ص ١٤٢ ــ ١٤٣.
ــ الامير عبدالله الزيرى: التبيان، ص ١٧١.
(٤٨) ــ ابن خاقان: قلائد العقيان، ص ٥٤.
(٤٩) ــ ابن الابار: الحلة السيراء ج٢، ص ٨٨ ــ ٩٠.
ــ المراكشي: المعجب، ص ٧٤.

مما يوفر له الامان والا فعليه بالهروب بأمواله وذخائره الى ألفونسو السادس الذي سينزله بمكان ما من مملكته أو قد يساعده على الاستقرار في احدى المدن الاسلامية، بيد أن الوالد سفه رأي ابنه المنصور الذي نجا بنفسه وأسرته محتميا بألفونسو السادس(٥٠) .

وعندما أحس عمر المتوكل بدنو الخطر المرابطي فاوض ملك قشتالة، فاتفق معه على أن يتنازل له عن مدن شنترين والاشبونة وشنترة مقابل حصوله على المساعدة العسكرية منه، غير أن ذلك لم يجد نفعا خاصة وأن الرعية وقفت ضده لان الناس سئموا دفع الضرائب الفادحة التي كانت تثقل كواهلهم فضلا عن التقدم السريع لقوات المرابطين صوب بطليوس مما حال دون تقديم ألفونسو السادس المساعدة العسكرية التي وعد بها عمر المتوكل، وهكذا بدا حصار بطليوس في أواخر ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م ثم اقتحموا المدينة ليلا وألقو القبض على عمر المتوكل الذي كان معتصما بقصبة حاضرته، ثم عذب عذابا شديدا حتى أخبرهم بأمواله المدفونة، وعلى اثر ذلك تقرر قتله مع ولديه الفضل والعباس لكن حكم الاعدام لم ينفذ فيهم داخل المدينة خوفا من أن يترك ذلك أثرا سيئا لدى الرعية فأخرجوهم بدعوى أخذهم الى اشبيلية حيث يوجد مركز المرابطين بالاندلس وبعد الابتعاد قليلا عن بطليوس أشعر المتوكل بأنه سيقتل فطلب من المرابطين البدء بولديه وقد تم له ما أراد. وعندما رأى المتوكل رأس ابنيه منفصلين عن جسميهما شرع في الصلاة فقتل على هذه الحالة وكان ذلك سنة ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م (٥١) . ثم أخذ جميع ما تركه عمر المتوكل فيئا بما فيه أهله ونساؤه، أما ابنه المنصور فقد انضم الى قوات ألفونسو السادس يشن الغارات معهم ضد المرابطين انتقاما منهم وانتهى به الامر الى اعتناق الديانه المسيحية (٥٢) .

---

(٥٠) ـ الامير عبدالله الزيرى: التبيان، ص ١٧٢ ـ ١٧٣ .
ـ ابن الاثير: الكامل، ج٨ ص ١٥٥ .
ـ يوسف أشباخ: تاريخ الاندلس، ص ٩٦ ـ ٩٧ ـ ٩٨ .

(٥١) ـ الامير عبدالله الزيرى: التبيان، ص ١٧٤ .
ـ ابن الابار: الحلة السيراء، ج٢ ص ١٠٢ .
ـ ابن الاثير: الكامل المجلد ٨، ص ١٥٦ ـ ١٥٧ .
ـ وأنظر: R. Dozy : Histoire des Musulmans d'Espagne T. IV. P. 244. 245.

(٥٢) ـ الامير عبدالله الزيرى: التبيان، ص ١٧٤ .
ـ وأنظر: Encyclopédie de l'Islam T. 1. p. 250.

وبذلك سقطت امارة العلم والفنون التى كانت تحتضن الكثير من العلماء الادباء والشعراء منهم أبو محمد عبدالمجيد بن عبدون الذى أرثى أميره القتيل بمرثية أبدع فيها ، وهي من أروع المراثي الاندلسية ــ مطلعها :

الدهــر يفجــع بعــد العيــن بالاثر   فما البكــاء على الاشباح والصور (٥٣)

وعلى أثر ذلك بدأ المرابطون في مهاجمة بلنسية لكن مقاومة وصمود السيد (٥٤) ∙ (CID) والقشتاليين من بعده أخر فتحها الى سنة ٤٩٥هـ/ ١١٠٢م، ثم عبر يوسف بن تاشفين البحر الى الاندلس للمرة الرابعة سنة ٤٩٦هـ / ١١٠٣م، بهدف الجهاد، فغزا أراضي قشتالة وألحق بها خسائر فادحة (٥٥) ∙ وعلى أثر ذلك تقدمت الجيوش المرابطية نحو الثغر الاعلى فاستولت على امارة شنترية الشرق في رجب سنة ٤٩٧هـ / أفريل ١١٠٤م، وبذلك خضعت كل الاندلس لحكم المرابطين باستثناء امارة بني هود بسرقسطة (SARAGOSSE) التي ظلت خارج نفوذهم حتى تم اخضاعها سنة ٥٠٢هـ / ١١٠٩ أى بعد وفاة يوسف بن تاشفين (٥٦) ∙

---

(٥٣) ــ راجع هذه القصيدة كامله في ملحق البحث ∙

(54) السيد: (CID) هو (REDIRIGO DIAZA DE BIVAR) واشتهر بلقب (CAMPEADOR) ومعناه محارب ذائع الصيت، وسماه العرب قمبيطور، عاش في القرن الحادي عشر الميلادي، خدم ملك قشتالة سانشو الثاني ثم أخاه ألفنسو السادس. وقد جال في أنحاء اسبانيا مقدما خدماته للأمراء المسيحيين والمسلمين وحقق أثناء ذلك عدة انتصارات. وبعد موته أصبح شخصية أسطورية ورمزا للفروسية في عهد تقلص الحكم الاسلامي فتغنى به الشعراء، راجع الزركلي: الاعلام ج 2، ص 116.

Le petit Robert N0 : 2 .p. 420..

(٥٥) ــ ابن خلدون : العبر المجلد السادس، ص ٢٨٥∙
ــ ابن الاثير: الكامل ، المجلد ٨، ص ١٥٧∙
ــ محمد عبدالله عنان: دول الطوائف ، ص ٣٥٨∙

(٥٦) ــ محمد عبدالله عنان: دول الطوائف ، ص٣٥٤∙
ــ يوسف أشباخ: تاريخ الاندلس، ص ٩٩∙

الخاتمة

كان للقوى البربرية بالاندلس خلال النصف الثاني من القرن الرابع والقرن الخامس هجري (الموافق للنصف الثاني من القرن العاشر والقرن الحادى عشر ميلادى) دور بارز على جميع الاصعدة فقد كان منهم القضاه أمثال المندر بن سعيد ومحمد بن وسلاس المصمودى وكلاهما كان من كبار قضاة قرطبة، كما برز منهم رجال القصر كعثمان بن نصر الذى تولى تربية الحكم الثاني، وعندما خلف هذا الاخير أباه في الخلافة سنة ٣٥٠هـ / ٨٦١م كافأ ابن معلمه، جعفر المصحفي بن عثمان بن نصر بتعيينه حاجباله، ومكنت هذه المكانة المرموقة جعفر المصحفي من تصنيب أقاربه في الشرطة وادارة الاقاليم، وقد عز على رجال القصر أن يروا الحجابة بيد رجل من البربر لذلك حاولوا ابعاده عنها دون جدوى اذ احتفظ بمنصبه الى أن مات الحكم الثاني سنة ٣٦٦هـ / ٩٧٦م.

وعلى الصعيد العسكري، انفتح الباب على مصراعيه في وجه البربر بفضل الاصلاحات العسكرية التي وضعها محمد بن أبي عامر والتي جعلت من هذا العنصر القوة الضاربة في الجيش، مما سمح لمحمد بن أبي عامر المنصور خوض غمار العديد من المعارك دون أن يذوق طعم الهزيمة، كما بلغ أقصى منطقة وطئتها أقدام المسلمين بأسبانيا. وبالرغم من كثرة عدد البربر الذين اجتمعوا بقرطبة، فانهم لم يشكلوا خطرا على الدولة ولم يضايقوا الرعية لسببين:

١ ــ قوة الجهاز السياسي بقيادة محمد بن أبي عامر المنصور الذي سيطر على الاوضاع سيطرة تامة بعد أن قضى على أسباب القلاقل والفتن، فعم الاستقرار السياسي وانعكس ذلك على الجيش.

٢ ــ كان محمدبن أبي عامر المنصور يشغل الجيش بالغزوات المتواصلة شتاء وصيفا، وقد أخذ الغزووالجهاد كل وقت الجنود فقل خروجهم الى الاسواق والتجول في الازقة، ووجد البربر في عملهم العسكري فرصة لجمع الغنائم والاسلاب

لذلك انعدمت مضايقتهم للرعية في قرطبة، وهكذا نرى أن هذا العنصر كان مصدر رخاء في عهد محمد المنصور لان الجيش كان يعود اثر كل غزوة محملا بالغنائم والسبايا الى قرطبة.

غير أن دور البربر لم يلبث أن تحول الى مصدر قلق ومضايقة للسكان بعد انهيار الخلافة الاموية الذى حدث سنة ٣٩٩هـ / ١٠٠٨م. عندما سعى عبدالرحمن بن محمد المنصور للاستيلاء على الخلافة وقد مهد لذلك باستحواذه على ولاية العهد، فعز على الامويين أن تنتقل الخلافة الى اليمنيين، فقاموا بعزل هشام المؤيد وبايعوا مكانه محمد بن هشام بن عبدالجبار بن عبدالرحمن الناصر، وقتلوا عبدالرحمن بن محمد العامري فكان انهيار الحكم الاموي الذى لم تقم له قائمة بعد ذلك رغم المحاولات العديدة التي بذلت لتوفير أسباب الاستقرار.

ولما اشتد الصراع بين أفراد الاسرة الاموية حول الحكم اضطر البربر الى اتخاذ موقف سياسي، فكان وقوفهم الى جانب سليمان المستعين، وفي هذا الظرف العصيب الذي سادت فيه الفوضى عانى سكان قرطبة وأقاليمها من ويلات البربر بقيادة سليمان المستعين واستمر ذلك حتى تمكنوا من تنصيبه حاكما على قرطبة. ثم استغلوا ضعفه ليؤسسوا الامارات البربرية في الاقاليم، ولذلك دخلت الاندلس في عصر الانقسام الذي يسمى بعصر ملوك الطوائف.

وتميزت الامارات البربرية بالاندلس بالخصائص التالية:

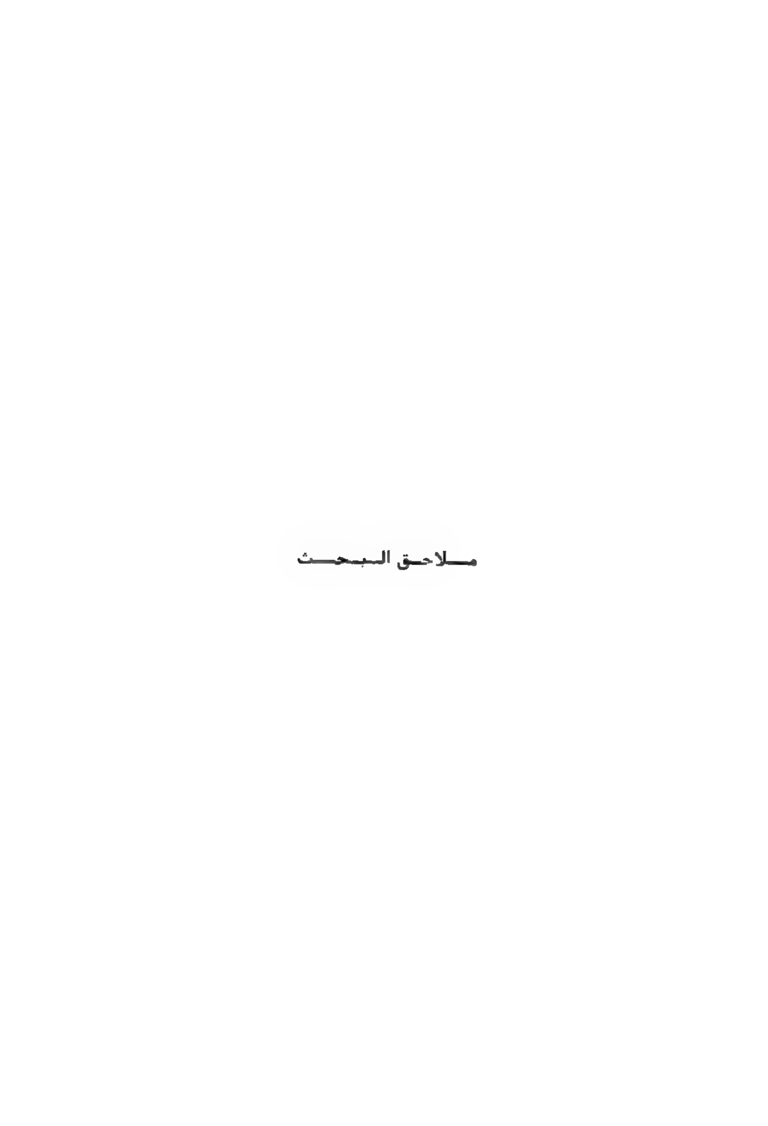
١ ـ تركزت الامارات البربرية في جنوب الاندلس بسبب قرب المنطقة من المغرب ولتشابه المنطقتين في المناخ والتضاريس فتركز البربر في المناطق الجبلية كما كان شأنهم في المغرب.

٢ ـ تحالف معظم البربر في الاندلس مع بني حمود الذين كانوا في صراع مع الامويين حول الخلافة. وبعد أن ضعفت الدولة الحمودية برزت امارة غرناطة لتتزعم الامارات البربرية بجنوب الاندلس، خاصة في عهد باديس بن حبوس الذي تصدى للاعتداءات الخارجية وخاصة ازاء توسعات بني عباد باشبيلية وهو الامر الذى حمل خصومه على مسالمته.

٣ ـ كانت علاقات الامارات البربرية مع الامارات العربية والصقلبية علاقات

عدائية ملؤها الحروب المناوشات، تتخللها فترات السلم وكانت أسباب هذه الحروب تتمثل في عدم احترام الامراء للمعاهدات المبرمة بينهم، وللرغبة في التوسع، ولم يتوان هؤلاء الامراء البربر وغيرهم عن الاستعانة بالجيوش الاسبانية ضد بعضهم البعض، ما نحين بذلك الفرصة لمملكة قشتالة كي تستولي على أموالهم وتتوسع على حساب أراضيهم. فقد اندلعت الحرب بين يحي المأمون أمير طليطلة وسليمان بن محمد ابن هود أمير سرقسطة سنة ٤٣٥هـ / ١٠٤٣م، ولم تضع أوزارها الا بعد ثلاث سنوات من الدمار والخراب والمستفيد الاول منها هو فرناندو الاول ملك مملكة قشتالة، كما قامت الحرب بين بني الافطس وبني عباد، وبين امارة غرناطة وبني عباد، وقد كانت الحرب سجالا بين هذه الامارات، كما دارت حرب بين باديس بن حبوس وزهير العامري حاكم المرية أسفرت عن مقتل هذا الاخير، أما بنو حمود فقد كانوا في صراع مرير مع اشبيلية، وهكذا نرى أن البربر وغيرهم من الامارات الاسلامية بالاندلس قد استنفدوا طاقاتهم في معارك هامشية عادت عليهم بالعواقب الوخيمة نهايتها زوال المسلمين من الاندلس، لعل ايثار الامراء لمصالحهم الخاصة هي العلة في عجزهم عن توحيد صفوفهم ضد مملكة قشتالة التي عرفت كيف تستغل الفرص للانقضاض على أعدائها. ومما ساعد ألفونسو السادس في تحقيق الانتصارات الواحدة تلو الاخرى هو وجود أمراء ضعاف لم يكونوا في مستوى الاحداث، والمسؤولية الملقاة على كواهلهم، فقد كان يحي القادر بالله أمير طليطلة على جانب كبير من الضعف الى درجة أنه كان ألعوبة في يد ألفونسو السادس لذلك عزله أعيان طليطلة ووجهوا الدعوة للمتوكل أمير بطليوس ليحكم امارتهم ولبى دعوتهم بالفعل ومكث زهاء عشرة أشهر في طليطلة عاد اثرها الى حاضرته بعد رجوع القادر بالله بمساعدة ألفونسو السادس لكن هذا الاخير لم يلبث أن استولى على امارة طليطلة سنة ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م، مبعدا القادر بالله الى بلنسية وكان ذلك بداية انهيار المسلمين بالاندلس، وقد أحسن الامراء المسلمون بعمق النكبة والخطر الكبير المحدق بهم، ولما كانوا يدركون صعوبة مواجهة المد القشتالي فقد اتفقوا — لاول مرة — على استدعاء بربر لمتونة مؤسسي دولة المرابطين لانقاذ ما يمكن انقاذه. ويعتبر عبورهم الى الاندلس نقطة ايجابية في تاريخ المنطقة، فقد كانت هذه الاخيرة أي الاندلس قاب قوسين أو أدنى من السقوط في يد ألفونسو السادس الذي كان يزحف بخطى ثابتة، وكان من واجب يوسف بن تاشفين أمير المرابطين أن يتسجيب لنداء اخوانه المهددين، فكان عبوره الى الاندلس وكان انتصاره الحاسم في معركة الزلاقة سنة ٤٧٩هـ / ١٠٨٦م. وأثر ذلك تأكد يوسف بن تاشفين

وبلغت بهم الانانية الى درجة التحالف مع الفونسو السادس ملك قشتالة كما فعل أمير بطليوس المتوكل، ضد المرابطين دون حدوى ومهما يكن من أمر فان دخول المرابطين الى الاندلس قد مدد حياة المسلمين بها لقرون عديدة.



ملاحق البحث

سقوط الامارات البربرية بالاندلس

اسماء الامارات	التاريخ الهجري	التاريخ الميلادي
١ ـ امارة بني حمود	٤٤٩	١٠٥٧
٢ ـ امارة طليطلة	٤٧٨	١٠٨٥
٣ ـ امارة غرناطة	٤٨٣	١٠٩٠
٤ ـ امارة بطليوس	٤٨٧	١٠٩٤

محمد أرزقي فراد

أمراء بني الاغطس ببطليوس (BADAJOZ)

اسماء الامراء	فترة الحكم	
	بالتاريخ الهجري	بالتاريخ الميلادي
١ ـ عبدالله بن الانطس	٤١٣ — ٤٣٧	١٠٢٢ — ١٠٤٥
٢ ـ محمد المظفر	٤٣٧ — ٤٦١	١٠٤٥ — ١٠٦٨
٣ ـ يحي المنصور	٤٦١ — ٤٦٤	١٠٦١ — ١٠٧٢
٤ ـ عمر المتوكل	٤٦٤ — ٤٨٧	١٠٧٢ — ١٠٩٤

محمد أرزقي فراد

جدول بأسماء أمراء بني حمود بالاندلس

(٤٠٧هـ ٤٤٩هـ / ١٠١٦ — ١٠٥٧م)

أسماء الامراء	سنة التولية	
	الهجرية	الميلادية
١ ــ علي الناصر بن حمود	٤٠٧	١٠١٦
٢ ــ القاسم المأمون	٤٠٨	١٠١٨
٣ ــ يحي المعتلي	٤١٢	١٠٢١
٤ ــ القاسم (للمرة الثانية)	٤١٣	١٠٢٢
٥ ــ يحي (للمرة الثانية)	٤١٦	١٠٢٥
٦ ــ ادريس المتأيد	٤٢٧	١٠٣٥
٧ ــ حسن المستنصر	٤٣١	١٠٣٩
٨ ــ ادريس الثاني العالي	٤٣٤	١٠٤٢
٩ ــ محمد الاول المهدي	٤٣٨	١٠٤٦
١٠ ــ ادريس الثالث الموفق	٤٤٤	١٠٥٢
١١ ــ ادريس ٢ (للمرة الثانية)	٤٤٥	١٠٥٣
١٢ ــ محمد الثاني المستعلي	٤٤٦	١٠٥٤

محمد أرزقي فراد

آمراء بني ذي النون في طليطلة

أسماء الامراء	فترة الحكم	
	بالتاريخ الهجري	بالتاريخ الميلادي
١ ــ اسماعيل بن عبدالرحمن	٤٢٧ــ٤٣٥	١٠٣٥ــ١٠٤٣
٢ ــ يحي المأمون	٤٣٥ــ٤٦٧	١٠٤٣ــ١٠٧٤
٣ ــ يحي القادر بالله	٤٦٧ــ٤٧٨	١٠٧٤ــ١٠٨٥

محمد أرزقي فراد

الامراء الزيريون بغرناطة

اسماء الامـــراء	فـــتـــرة الـــحـــكـــم	
	بالتاريخ الهجرى	بالتاريخ الميلادى
١ ـ حبوس بن ماكسن	٤١٠–٤٢٨	١٠٢٠–١٠٣٨
٢ ـ باديس بن حبوس	٤٢٨–٤٦٥	١٠٣٨–١٠٧٣
٣ ـ عبدالله بن بلكين	٤٦٥–٤٨٣	١٠٧٣–١٠٩٠

محمد أرزقي فراد

وصف الاندلس

... وسميت جزيرة الاندلس جزيرة لانها شكل مثلث وتضيق من ناحية شرق الاندلس، حتى يكون بين البحر الشامي والبحر المظلم المحيط بالاندلس خمسة أيام ورأسه العريض نحو من سبعة عشر يوما ، وهذا الرأس هو في أقصى المغرب في نهاية انتهاء المعمور من الارض محصور في البحر المظلم... وبلد الاندلس مثلث الشكل كما قلناه ويحيط بها البحر من جميع جهاتها الثلاث ، فجنوبها يحيط به البحر الشامي وجوفيها يحيط به البحر المظلم ، وشمالها يحيط به بحر صنف. من الروم وطول الاندلس من كنيسة الغراب التي على البحر المظلم الى الجبل المسمى هيكل الزهرة ألف ميل ومائة وعرضها ستمائة ميل.

والاندلس أقاليم عدة ورساتيق جملة وفي كل اقليم منها عدة مدن ، والركن الواحد من أركانها الثلاثة هو الموضوع الذى فيه صنم قادس بين المغرب والقبلة ، والركن الثاني شرقي الاندلس بين مدينة نربونة ومدينة برذيل بازاء جزيرتي ميورقة ومنورقة، والركن الثالث حيث ينعطف البحر من الجوف الى الغرب حيث المنارة في الجبل الموفي على البحر وفيه الصنم العالي المشبه بصنم قادس وهو في البلد الطالع على بلد برطانية.

والاندلس شامية في طيبها وهوائها يمانية في اعتدالها واستوائها هندية في عطرها وذكائها أهوازية في عظم جناتها صينية في جواهر معادنها عدنية في منافع سواحلها.

الحميرى: الروض المعطار، ص ٣٣

اصلاحات محمد بن أبي عامر العسكرية
وقـــدوم بـــني زيـــري الى الاندلــــس

وتوقع المنصــور مـن أجنـاده الاتفاق على بعض ما يخل بدولته اذا كانوا صنفا واحدا، وتالبهم على معصية أمره، متى أمر بما أحبوا أو كرهوا، فنظر من ذلك بعين اليقظة، وسول له رأيه أن تكون أجناده قبائل مختلفة وأشتاتا متفرقة: ان هم أحد الطوائف بخروج عن الطاعة، غلبها بسائر الفئات، مع احتياجه الى تقوية عسكره، والزيادة فيه لمن يستطيع على تحلل بلاد العدو وتدويخها متى شاء، فاستجلب من رؤساء البربر وحماتها وأنجادها من بلغه فروسيته وشدته. وتسامع الناس بالجهاد، فبادر اليه من شرق العدوة من كان لهم من الاثار والمكارم والبأس على النصارى مالا خفاء به. وبهم كان يصول ابن أبي عامر على العدو، وهم كانوا العدة في الجيش والموثوق بهم عند اللقاء ومعترك الوغاء. وكان من أدهاهم رأيا وأبعدهم همة زاوي بن زيري عمنا، وبعده حبوس بن ماكسن بن أخيه – رضي الله عنهما – فاليهما كان الرأي والمشورة في الأمر، والحكم على من دونهم من الاجناد.

– الامير عبدالله الزيري: التبيان، ص ١٦ – ١٧.

(قال أبو مروان في سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة أوقع بن عباد بابن الافطس الى جانب يابرة، وكان سبب هذه الحرب أن فتح بن يحي صاحب لبلة يومئذ حليف، ابن الافطس والى عبادا لضرورة، فكاشفه ابن الافطس وخانه فيما كان ائتمنه عليه من ماله الصامت، عندما حمله اليه وديعة وقت تورطه في حرب عباد قبل، وانبتت بينهما العصمة، وأرسل ابن الافطس في ذلك الوقت خيله للضرب على ابن يحي فاستغاث عبادا فأرسل اليه خيلا منتقاة، فلحقت الخيل الافطسية وهي قد شنت الغارة على لبلة، فكرت عليهم اذ كانوا ضعفهم، واسترسلوا في اتباع العباد بين ولا يشعرون، فاذا بعباد بجملته في كمين قد خرج أثرهم، فدهشوا وولوا الادبار فركبهم السيف، وبذل عباد المال في رووسهم، وكانت نقاوة خيل ابن الافطس وأبطال رجاله، فجز لعباد من رؤوسهم مائة وخمسون رأسا ومن خيلهم مثلها. فقص جناح قرنه، وأفنى حماة رجاله. ثم أن عبادا اثر ذلك جمع خيل حلفائه وخيله وقود عليها ابنه اسماعيل مع وزيره ابن سلام، وخرج نحو بلد ابن الافطس يابرة. وقد استدعى أيضا ابن الافطس حليفه اسحاق بن عبدالله فلحقت به خيله مع ابنه العز بعد أن جمع ابن الافطس بقايا جيشه من هزيمتهم المتقدمة الذكر، وأخرج كل من قدر على ركوب دابة من البياض ببلده، وحشر من رجال البوادي بعمله خلقا كثيرا، وأقبل بجمعه هذا المنخوب ليدفع خيل ابن عباد عن بلد يابرة، وقد كان برابرة حليفه اسحاق في عسكره قالوا له: لا تلقهم فلست تعرف قدر من زحف نحوك، ونحن رأيناهم وسمعنا بجمعهم باشبيلية، فلم يسمع منهم ومضى. فالتقى الفريقان من غير نزول ولا تعبئة، فاختلطوا واجتلدوا مليا، فحقق العباديون الضراب، وتابعوا الشدات، فحاذ البرابر عنه أصحاب اسحاق، وانهزم ابن الافطس، وحمل السيف على جميع من معه، فاستأصلهم القتل، وقتل ولد اسحاق العز، وحز رأسه وبعث به الى اشبيلية مع رأس ابن عم ابن الافطس صاحب يابرة يدعى عبيد الله الخراز، ونجا ابن الافطس في قطعة من خيله الى يابرة.

– ابن بسام: الذخيرة، القسم الاول، المجلد الاول، ص ٣٦١ – ٣٦٢.

استقرار بني زيري في ألبيرة

فلما رأى سلاطين صنهاجة وبنو زيري اقتطاع كل آمير في بلد لنفسه، وذهاب ما كانوا عليه من عز وأثر، عزموا بالرحيل عن الاندلس والجواز الى العدوة، ليرجعوا الى مستقرهم فانعقدوا على ذلك بعد أمور يطول ذكرها، وظهور فساد كثير أضربنا عن ايراده كله، اذ كان مقصدنا وصف دولتنا خاصة. ولابد من ذكر لمع من غيرها عند الاحتياج اليه. وكان أهل ألبيرة في بسيط من الارض، وكان بهم من الغش بعضهم لبعض ما ان الرجل منهم ليتخذ بازاء داره مسجدا وحماما فرارا من جاره، ولا يرجعون الى طاعة ولا حكم وال. وكانوا مع هذا من أجبن الناس وأخوفهم على مدينتهم، لا يستطيعون على قتال أحد، ولو كان الذباب الا بمن يحميهم ويذب عنهم، فلما بصروا باختلاف سلاطين الاندلس وأنها أضرمت نارا، وتوقعوا أن يتخطفهم الناس، وجهوا الى زاوي المذكور، شاكين مما هم فيه، ويقولون : ((ان كنتم جاهدتم قبل اليوم فهذا الجهاد أكد عليكم : أنفس تحيونها، وديار تحمونها ، وعزة تأوون اليها؟ ونحن شاركوكم بأموالنا وأنفسنا : لكم منا الاموال والسكنى، ولنا منكم الحماية والذب عنا؟)).

فقبل القوم قولهم . واعتبطوا بمكانهم

ـ الامير عبدالله الزيرى: التبيان، ص ١٨ ـ ١٩.

بـــاديـــس بـــن حـــبوس

ومن كلام ((ابن حيان)) قوله:

وأما أرفع أملاك البرابرة في هذا الوقت شأنا، وأشدهم سلطانا، وأكثرهم رجالا، وأوسعهم أعمالا، فباديس بن حبوس من سلطان صنهاجة ومستخدم الكثير من قبائل، "زناتة" الممتد سلطانه اليوم على مابين أطراف "كورتي" وبسطة وجيان، الى بابي مالقة واستجة، وما تحت ذلك من اقليم قرطبة، أملى النصر العزيز على الاعداء املاء واختيارا، فلبسه بغيا واستكبارا، وأساء الانتقام ولم يقل العثرة، وأخذ بالظنة، وأسرف في العقوبة، وشديدا بالعصبية، وتقلد الحمية الجاهلية، واستأثر بالقسوة والجبرية، فأسلف في ذلك كله أخبارا مأثورة.

عن ((ابن الخطيب: أعمال الاعلام ص ٢٣٠.

على بن حمود:

وكان من أمراء البربر المعاضدين لسليمان علي بن حمود "من بني علي بن ادريس بن ادريس بن عبدالله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهم أجمعين؟ وجده ادريس هرب من هارون الرشيد الى البربر، فتبربر ولده، وبنى ابنه ادريس مدينة فاس. وكان المؤيد هشام يشتغل بالملاحم، ووقف على أن دولة بني أمية تنقرض بالاندلس على يد علوى أول اسمه عين، فلما دخل سليمان مع البربر قرطبة ومحوا كثيرا من محاسنها ومحاسن أهلها كان من أكبر أمرائهم "علي بن حمود"، وبلغ هشاما المؤيد وهو محبوس خبره واسمه ونسبه فدس اليه أن الدولة صائرة اليك، وقال له: ((ان خاطري يحدثني أن هذا الرجل يقتلني، يعني سليمان، فان فعل فخذ بثأري، وكان هذا الامر هو الذي قوى نفس ابن حمود على طلب الامامة، وحمله على الاخذ بثأرهشام المؤيد...)).

المقرى ((نفع الطيب)) ج٢، ص ٢٧.

(القصيدة المنسوبة الى المولى العابد أبي اسحاق الالبيرى
ـ التي يقول فيها مخاطبا باديس، ومحرضا على اليهودي:

الاقل لصنهاجة أجمعين بدور الزمان وأسد العرين
مقالة ذى مقة مشفق يعد النصيحة زلفي ودين
لقد زل سيدكم زلة تقربها أعين الشامتين
تخير كاتبه كافرا ولو شاء كان من المؤمنين
فعز اليهود به وانتخوا وتاهوا وكانوا من الارذلين
ونالوا منهم وجازوا المدى وقد جار ذلك وما يشعرون
فكم مسلم راهب راغب لارذل قرد من المشركين
وما كان ذلك من سعيهم ولكن منا يقوم المعين
فهلا اقتدى فيهم بالاولى من القادة الخيرة المتقين
وأنزلهم حيث يتساهلون وردهم أسفل السافلين
وطافوا لدينا بأفواجهم عليهم صغار وذل وهون
ولم يستخفوا بأعلا منا ولم يستطيلوا على الصالحين
أباديس أنت أمرؤ حاذق تصيب بظنك مرمى اليقين
فكيف تحب فراخ الزنا وقد بغضوك الى العالمين
وكيف استنمت الى فاسق وقارنته وهو بئس القرين
وقد أنزل الله في وحيه يحذر من صحبة الفاسقين
فلا تتخذ منهم خادما وذرهم الى لعنة اللاعنين
فقد ضجت الارض من فسقهم وكادت تميد بنا أجمعين
وكيف انفردت بتقريبهم وهم في البلاد من المبعدين
على أنك الملك المرتضى سليل الملوك من الماجدين
وأن لك السبق بين الورى كما أنت من جلة السابقين
وأني احتللت بغرناطة فكنت أراهم بها عابثين
وقد قسموها وأعمالها فمنهم بكل مكان لعين
وهم يقبضون جباياتها وهم يخضمون وهم يقصمون
وهم يلبسون رفيع الكسا وأنتم لاوضاعها لابسون
وهم أمناكم على سركم وكيف يكون أميناخؤون
ويأكل غميرهم درهما فيقصى ويدنون اذ يأكلون
وقدنا هضوكم الى ربكم فما يمنعون وما ينكرون

وقد لا بسوكم باسحارهم — فما تسمعون ولا تبصرون
وهم يذبحون بأسواقنا — وأنتم لاطريفهم آكلون
ورخم قردهم داره — وأجرى اليها نمير العيون
وصارت حوائجنا عنده — ونحن على بابه قائمون
ويضحك منا ومن ديننا — فانا الى ربنا راجعون
ولو قلت في ماله أنه — كمالك كنت من الصادقين
فبادر الى ذبحه قربة — وضح به فهو كبش سمين
ولا ترفع الضغط عن رهطه — فقد كنزوا كل علق ثمين
وفرق عراهم وخذ مالهم — فأنتم أحق بما يجمعون
ولا تحسبن قتلهم غدرة — بل الغدر في تركهم يعبثون
فقد نكثوا عهدنا عندهم — فكيف تلام على الناكثين
وكيف تكون لنا همة — ونحن خمول وهم ظاهرون
ونحن الاذلة من بينهم — كأنا أسانا وهم يحسنون
فلا ترض فينا بأفعالهم — فأنت رهين بما يفعلون
وراقب الهك في حزبه — فحزب الاله هم المفلحون

ـ ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٢٣١ — ٢٣٢

الدهر يفجع بعد العين بالاثر ... فما البكاء على الاشباح والصور
أنهاك أنهاك لا آلوك موعظة ... عن نومة بين ناب الليث والظفر
فالدهر حرب وان أبدى مسالمة ... والبيض والسود مثل البيض أو السمر
ولا هوادة بين الرأس تأخذه ... يد الضراب وبين الصارم الذكر
فلا تغرنك من دنياك نومتها ... فما صناعة عينيها سوى السهر
ماللبالي أقال الله عثرتنا ... من الليالي وخانتها يد الغير
في كل حين لها في كل جارحة ... منا جراح وان زاغت عن النظر
تسر بالشيء لكن كي تغربه ... كالايم ثار الى الجاني من الزهر
كم دولة وليت بالنصر خدمتها ... لم تبق منها وسل ذكراك من خبر
هوت بدارا وفلت غرب قاتلة ... وكان غضبا على الاملاك ذا أثر
واسترجعت من بني ساسان ما وهبت ... ولم تدع لبني يونان من أثر
وألحقت أختها طسما وعاد على ... عاد وجرهم منها ناقض المرر
وما أقالت ذوي الهيئات من يمن ... ولا أجارت ذوي الغايات من مضر
ومزقت سبئا في كل قاصية ... فما التقى رائح منهم بمبتكر
وأنفذت في كلب حكمها ورمت ... مهلهلا بين سمع الارض والبصر
ولم ترد آل ذبيان وأخوتهم ... عبسا وغضت بني بدر على النهر
وألحقت بعدي بالعراق على ... يد ابنه أحمد العينين والشعر
وأهلكت أبرويزا بابنه ورمت ... بيزد جرد الى مرو فلم يحر
وبلغت بيزد جرد الصين واختزلت ... عنه سوى الفرس جمع الترك والخزر
ولم ترد مواضي رستم وقنا ... ذي حاجب عنه سعدا في ابنة الغير
يوم القليب بنو بدر فنوا وسعى ... قليب بدر بمن فيه الى سقر
ومزقت جعفرا بالبيض واختلست ... من غيله حمزة الظلام للجزر
وأشرفت بخبيب فوق فارعة ... وألصقت طلحة الفياض بالعفر
وخضبت شيب عثمان دما وخطت ... الى الزبير ولم تستح من عمر
ولا رعت لابي اليقظان صحبته ... ولم تزوده الا الضيح في الغمر
وأجزرت سيف أشقاها أباحسن ... وأمكنت من حسين راحتى شمر
وليتها اذ فدت عمرا بخارجة ... فدت عليا بمن شاءت من البشر
وفي ابن هند وفي ابن المصطفى حسن ... أتت بمعضلة الالباب والفكر

فبعضنا قائل ما أغتاله أحـــد … وبعضنا ساكت لم يوت من حصر
وأرت ابن زيان بالحسين فلم … يبوء بشمع له قد طاح أو ظفر
وعممت بالظبي فوذى أبي أنس … ولم ترد الردى عنه قنازفر
وأنزلت مصعبا من رأس شاهقة … كانت بها مهجة المختار في وزر
ولم تراقب مكان ابن الزبيرولا … راعت عيادته بالبيت والحجر
وأعملت في لطيم الجن حيلتها … واستوسقت لابي الذبان ذي البخر
ولم تدع لابي الذبان قاضبة … ليس اللطيم لها عمر وبمنتصر
وأحرقت شلوزيد بعدما احترقت … عليه وجدا قلوب الاي والسور
وأظفرت بالوليد ابن الزيد ولم … تبق الخلافة بين الكاس والوتر
حبابه حب رمان أتيح لها … وأحمد فطرته نفحة القطر
ولم تعد قصب السفاح نائبة … عن رأس مروان أو أشياعه الفجر
وأسبلت معه الروح الامين على … دم بفخ لال المصطفى هدر
وأشرقت جعفرا والفضل ينظره … والشيخ يحي بريق الصارم الذكر
وأخفرت في الامين العهد وانتدبت … لجعفر بابنه والاعبد الغدر
وما وفت بعهود المستعين ولا … بما تأكد للمعتز من مرر
أوثقت في عراها كل معتمد … وأشرقت بقذاها كل مقتدر
وروعت كل مأمون ومؤتمن … وأسلمت كل منصور ومنتصر
وأعثرت آل عباد لعالهم … بذيل زباء لم تنفر من الذعر
بني المظفر والايام لانزلت … مراحل والورى منها على سفر
سحقا ليومكم يوما ولا حملت … بمثله ليلة في غابر العمر
من للاسرة أو من للاعنة أو … من للاسنة يهديها الى الثغر
من للظبي وعوالي الخط قد عقدت … أطراف ألسنها بالعي والحصر
وطرقت بالمنايا السود بيضهم … فاعجب بذاك وما منها سوى الذكر
من لليراعة أو من للبراعة أو … من للسماحة أو للنفع والضرر
أو دفع كارثة أو ردع رادفة … أو قمع حادثة تعيي على القدر
ويب السماح وويب الباس لو سلما … وحسرة الدين والدنيا على عمر
سقت ثرى الفضل والعباس هامية … تعزى اليهم سماحا لا الى المطر
ثلاثة ماراى السعدان مثلهم … وأخبر ولو عززا في الحوت بالقمر
ثلاثة ما ارتقى النسران حيث رقوا … وكل ما طار من نسر ولم يطر
ثلاثة كذوات الدهر منذ نأوا … عني مضى الدهر لم يربع ولم يحر
ومن كل شيء فيه أطيبه … حتى التمتع بالاصال والبكر
ابن الجلال الذي غضت مهابته … قولبنا وعيون الانجم الزهر

أين الاباء الذى أرسوا قواعده | على دعائم من عز من ظفر
أين الوفاء الذى أصفوا شرائعه | فلم يرد أحد منها على كدر
كانوا رواسي أرض الله منذ مضوا | عنها استطارت بمن فيها ولم تقر
كانوا مصابيحها فمنذ خبوا عثرت | هذى الخليقة بالله في سدر
كانوا شجى الدهر فاستهوتهم خدع | منه بأحلام عاد في خطى الحضر
ويلمه من طلوب الثأر مدركة | منهم بأسد سراة في الوفى صبر
من لي ولا من بهم أن عطلت سنن | أخفتت ألسن الاثار والسير
من لي ولا من بهم أن طبقت محن | ولم يكن وردها يدعو الى صدر
على الفضائل الا الصبر بعدهم | سلام مرتقب للاجر منتظر
يرجو عسى وله في أختها أمل | والدهر ذو عقب شتى وذو غير
قرطت آذان من فيها بفاضحة | على الحسان حصى الياقوت والدرر
سيارة في أقاصي الارض قاطعة | شقاشقا هدرت في البدو والحضر
مطاعة الامر في الالباب قاضية | من المسامع ما لم يقض من وطر

ـ المراكشي : المعجب ، تحقيق دوزي ((سنة ١٨٨١)) ص ٥٣ ـ ٦٠.

شعر جعفر بن عثمان المصحفي

قال عندما بشر الخليفة الحكم بطفل:

هنيئا للانام وللامام ... كريم يستفيد على كرام
مرجى للخلافة، وهو ماء ... وما مولا لامال عظام
أضاء على كريمته ضياء ... فلم تعلم بغاشية الظلام
ولم لا يستضاء بجانبيها ... وبين ضلوعها بدر التمام

وعندما ولد هشام بن الحكم قال على البديه يهنئه:

أطلع البدر من حجابه ... وأطرد السيف من قاربه
وجاءنا وارث المعالي ... ليثبت الملك في نصابه
بشرنا سيدا لبرايا ... بنعمة الله في كتابه
لو كنت أعطي البشير نفسي ... لم أقضي حقا لما أتى به(١)

وفي الغزل يقول:

لعينك في قلبي علي عيون
وبين ضلوعي للشجون فنون
لئن كان جسمي مخلقا في يد الهوى
فحبك غصن في الفؤاد مصون

وقال يصف لون مدامه:

صفراء تبرق في الزجاج، فان سرت
في الجسم دبت مثل صل لادع

عبث الزمان بحسنها ، فتسترت
عن عينه في ثوب نور سابع
خفيت على شاربها ، فكأنما
يجدون ريا في اناء فارغ (٢)

وقال في أيام محنته مستعطفا محمد بن أبي عامر :

عفا الله عـنـك ألا رحمـة تجـود بعفـوك أن أبـعـدا
لـئـن جـل ذنـب ، ولـم أعتمده فـأنـت أجـل وأعلـى يـدا
الـم تـر عـبـدا طـوره مـولـى عفـا ورشيـدا هـدى
ومفسـدا أمر تلافيتـه فعـاد فأصلـح مـا أفسـدا
اقلـني؟ أقـالـك مـن لـم يـزل يقيـك ويصرف عنـك الردى (٣)

قال في سجنه بالمطبق:

أجـازى الـزمـان علـى حـالـه مجـازاة نـفـسي لانـفـاسـهـا
آذا نفـس صـاعـد شفهـا تـوارت بـه بـيـن جـلاسـهـا
وان عكفـت نـكـبـة للزمـان عـكفـت بـصـدرى عـلى رأسـها (٤)

قال في نكبته يستريح من كربته

صبرت على الايام لما تولت
وألزمت نفسي صبرها فاستمرت
فيا عجبا للقلب كيف اصطباره
وللنفس بعد العز كيف أستذلت
وما النفس الا حيث يجعلها الفتى
فان طمعت تماقت والا تسلت
وكان على الايام نفسي عزيزة
فلما رأت صبري على الذل ذلت
وقلت لها : يا نفس موتي كريمة؟
فقد كانت الدنيا لنا ثم ولت (٥)

وبينما كان ذات يوم في غزوة مع محمد بن أبي عامر دليلا بجليقية منع المصنور وقد النار كي لا ينكشف أمره للعدو وآخذ ابنه عثمان بسقيه دقيقا خلطه بماء يقيم به أورده فقال:

تاملت صرف الحادثات فلم أزل
أراهاتو الى عند مقصدها الحرا
فلله أيام مضت لسبيلها
فاني لا أنسى لها أبدا ذكرى
تجافت بها عنا الحوادث برهة
وأبدت لنا منها الطلاقة والبشرا
ليالي لم يدر الزمان مكاننا
ولا نظرت منا حوادثه شزرا
وما هذه الايام الاسحائب
على كل أرض تمطر الخير والشر (٦)

ومن قوله في محنته:

لا تأمنن من الزمان تقلبا
ان الزمان بأهله يتقلب
ولقد أراني، والليوث تها بني
وأخافني من بعد ذاك الثعلب
حسب الكريم مهانة ومذلة
ألا يزال الى لئيم يطلب (٧)

ـ ابن عذارى: البيان المغرب ج٢ ص

---

(١) ص ٣٥٣ – ٣٥٤.
(٢) ص ٣٨٠ – ٣٨١.
(٣) ص ٣٩٩.
(٤) ص ٤٠١.
(٥) ص ٤٠٢.
(٦) ص ٤٠٤ – ٤٠٥.
(٧) ص ٤٠٦.

قال المعتمد بن عباد يصف محنته وهو اسر باغمات قرب مراكش:

سلت علي الخطوبة سيوفها فجذذن من جسدى الحصيف الامتنا
ضربت بها ايدى الخطوب وانما ضربت رقاب الامليين بها المنا
يا املي العادات من نفحاتنا كفوا فان الدهر كف أكفنا

وقال وهو يصف القيد في رجليه:

تعطف في ساقي تعطف الارقم بيساورها عضا بأنياب ضيغم
وأني من كان الرجال بسببه ومن سيفه جنة وجهنم

وقال في يوم عيد:

فيما مضى كنت بالاعياد مسرورا فصرت كالعبد في اغمات مأسورا
قد كان دهرك ان تأمره ممتثلا فردك الدهر منهيا ومأمورا
من بات بعدك في ملك يسر به فانما بات بالاحلام مسرورا

ابن الاثير: الكامل في التاريخ ج٨، ص ١٧٧.

قصيدة محمد بن عباد (المعتمد) التي أرسلها لابيه المعتضد يعتذر له فيها
عن الهزيمة التي مني بها في مالقة أمام قوات باديس بن حبوس
سنة ٤٥٨هـ / ١٠٦٦م

سكن فؤداك لا تذهب بك الفكر — ماذا يعيد عليك البث والحذر
فان يكن قدر عاق عن وطر — فلا مرد لما يأتي به القدر
وان تكن خيبة في الدهر واحدة — فكم غزوت ومن أشياعك الظفر

ومنها

قد أخلقتني صروف أنت تعلمها — وعاد مورد آمالي بها كدر
وخلت لونا ومابا لجسم من سقم — وشبت رأسا ولم يبلغني الكبر
لم يأت عبدك ذنبا يستحق به — عتباوها هو قد وافك يعتذر
ما الذنب الا على قوم ذوي دغل — وفي لهم عهدك المعهود اذ غدروا
لم أوت من زمني شيئا الذبه — فلست أعرف لا كاس ولا وترا
ولا تملكني دل ولا خفر — ولا سبى خلدى غنج ولا حور
رضاك راحة نفسي لا فجعت به — فهو العتاد الذى للدهر يدخر
وهو المدام الذى أسلو بها فاذا — عدمتها عبثت في قلبي الفكر

ـ ابن عذارى: البيان ج٣، ص ٢٧٥.

ثبت بالمصادر والمراجع

المصادر الاندلسية

١ ــ ابن الابار: (أبو عبدالله) (ت ٦٥٩هـ / ١٢٦٠م) :
ــ الحلة السيراء ، تحقيق حسين مؤنس الطبعة الاولى سنة ١٩٦٣.

٢ ــ ابن بسام: (أبو الحسن على) (ت ٥٤٢هـ / ١١٤٧م) :
ــ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٣٩.
ــ والنسخة المحققة من طرف د. احسان عباس الدار العربية للكتاب ١٩٧٥.

٣ ــ ابن بشكوال: (٥٨٧هـ / ١١٩١م) :
ــ كتاب الصلة، تحقيق عزت العطار الحسيني ١٩٥٥.

٤ ــ ابن حزم: (أبو محمد بن سعيد) (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م) :
ــ جمهرة أنساب العرب.
ــ ابن حيان: المقتبس تحقيق عبدالرحمن علي، الحجي دار الثقافة بيروت ١٩٦٥.

٥ ــ ابن خاقان: (الفتى) (ت ٥٣٥هـ / ١١٤٠م) :
ــ قلائد العقبان، تحقيق محمد العنابي المكتبة العتيقة تونس ١٩٦٦.

٦ ــ ابن الخطيب: (لسان الدين) (ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م) :
ــ أعمال الاعلام تحقيق ليفي بروفنسال الطبعة الثانية، دار الكشوف بيروت ١٩٥٦.
ــ الاحاطة في أخبار غرناطة.

٧ ــ ابن الزبير: (أبو جعفر أحمد) (ت ٧٠٨هـ / ١٣٠٨م) :
ــ صلة الصلة، تحقيق ليفي بروفنسال مكتبة خياط بيروت ١٩٣٧.

٨ ـ الحميدى: (أبو عبدالله محمد) (ت ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م):
ـ جذوة المقتبس، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، مكتبة نشر الثقافة الاسلامية القاهرة.
٩ ـ الخشني: (أبو عبدالله محمد) (ت):
ـ قضاة قرطبة وعلماء افريقية تحقيق عزت العطار الحسيني.
١٠ ـ الضبي احمد بن يحي (٥٩٩هـ / ١٢٠٢م):
ـ بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الاندلس مطبعة روخس مدريد ١٨٨٤.
١١ ـ عبدالله (ابن بلكين):
ـ التبيان، تحقيق ليفي بروفنسال دار المعارف القاهرة سنة ١٩٥٥.
١٢ ـ مؤلف مجهول:
ـ أخبار مجموعة في فتح الاندلس، مطبعة ربدنير مدريد ١٨٦٧.

المصادر المغربية

١٣ ـ ابن أبي زرع (أبو الحسن علي) (٩٢٦هـ / ١٣٢٥م):
ـ الانيس المطرب بروض القرطاس تحقيق/ كارل يوحن توربنرغ، دار الطباعة المدرسية مدينة أوبسالة ١٨٤٣م.
١٤ ـ ابن خلدون (عبدالرحمن) (٨٠٨هـ / ١٤٠٥م):
ـ كتاب العبر ـ دار الكتاب اللبناني ١٩٥٨.
١٥ ـ ابن عذاري (أبو العباس):
ـ البيان المغرب في أخبار الجزء الثاني مطبعة المناهل مكتبة صادر بيروت ١٩٥٠.
ـ البيان المغرب، الجزء الثالث تحقيق ليفي بروفنسال باريس ١٩٣٠.
١٦ ـ الحميري:
ـ الروض المعطار تحقيق احسان عباس ١٩٧٥ مكتبة لبنان.

١٧ ـ المراكشي (عبدالواحد) وت٦٦٩هـ / ١٢٧٠م):
ـ المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد العيد العريان، مطبعة الاستقامة القاهرة ١٩٤٩.
١٨ ـ المقري (أحمد بن محمد):
ـ نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ.

المصادر المشرقية

١٩ ـ ابن الاثير (٦٣٠هـ / ١٢٣٢م):
ـ الكامل في التاريخ، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي بيروت ١٩٦٧.
٢٠ ـ ابن خلكان (أبو العباس) (٦٨١هـ / ١٢٨٢م):
ـ وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان تحقيق د. احسان عباس، دار الثقافة ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٩٧١.

المراجع العربية

٢١ ـ ابراهيم على طرخان:
ـ المسلمون في أوروبا مؤسسة سجل العرب القاهرة ١٩٦٦.
٢٢ ـ أبو العباس الناصري:
ـ الاستقصا، تحقيق جعفر الناصري، مطبعة دار الكتاب الدار البيضاء سنة ١٩٥٤.
٢٣ ـ أحمد بدر:
ـ دراسات في تاريخ الاندلس وحضارتها مطابع الف باء ـ دمشق ـ ١٩٦٩.
٢٤ ـ أحمد شلبي:
ـ التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية مكتبة النهضة المصرية الطبعة الثالثة ١٩٦٩.

٢٥ ـ احمد مختار العبادي:
ـ في التاريخ العباسي والاندلسي دار النهضة العربية للطباعة والنشر ـ بيروت ـ ١٩٧٢٠
٢٦ ـ بطرس البستاني:
ـ معارك العرب في الاندلس الطبعة الاولى دار المكشوف بيروت ١٩٥٠٠
٢٧ ـ حسن ابراهيم حسن:
ـ تاريخ الاسلام السياسي٠ الطبعة السابعة ١٩٦٤، مكتبة النهضة المصرية٠
٢٨ ـ حسن أحمد محمد:
ـ قيام دولة المرابطين٠ مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٧٠
٢٩ ـ السيد عبدالعزيز سالم:
ـ تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس دار المعارف لبنان ١٩٦٢٠
٣٠ ـ صالح خالص:
ـ اشبيلية في القرن الخامس الهجري دار الثقافة بيروت ١٩٦٥٠
٣١ ـ عباس بن ابراهيم المراكشي:
ـ الاعلام بمن حل مراكش وأغمات من الاعلام٠
٣٢ ـ عبدالحميد العبادي:
ـ المجمل في تاريخ الاندلس، الطبعة الثانية دار القلم القاهرة ١٩٦٤٠
٣٣ ـ عبدالعزيز الدولاتلي:
ـ مسجد قرطبة وقصر الحمراء دار الجنوب للنشر تونس ١٩٧٧٠
٣٤ ـ عبدالعزيز عتيق:
ـ الادب العربي في الاندلس، الطبعة الثانية ١٩٧٦، دار النهضة العربية ـ بيروت ـ لبنان٠
٣٥ ـ عبدالمنعم ماجد:
ـ الاطلس التاريخي للعالم الاسلامي في القرون الوسطى، دار الفكر العربي القاهرة، الطبعة الثانية (١٩٦٧)٠

٣٦ ـ ڤيليب حتي :
ـ تاريخ العرب المطول، الطبعة الثالثة ١٩٦١ دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع ـ بيروت.
٣٧ ـ محمد عبدالله عنان :
ـ دول الطوائف، الطبعة الاولى ١٩٦٠. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ـ .
٣٨ ـ موسى لقبال :
ـ المغرب الاسلامي، مطبعة قسنطينة الطبعة الاولى ١٩٦٩.

المراجع المعربة

٣٩ ـ كارل بروكلمان :
ـ تاريخ الشعوب الاسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس منير البعلبكي، الطبعة السابعة ١٩٧٧، دار العلم للملايين ـ بيروت ـ .
٤٠ ـ مانويل جونيث مويبنو :
ـ الفن الاسلامي في اسبانيا، ترجمة لطفي عبدالبديع، محمود عبدالعزيز سالم، الدار المصرية للتأليف والترجمة، دار الكتاب العربي للطباعة فرع مصر ١٩٦٨.
٤١ ـ موريس لومبار :
ـ الاسلام في مجده الاول، ترجمة اسماعيل العربي الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، ١٩٧٩.
٤٢ ـ هاري و . هازارد :
ـ أطلس التاريخ الاسلامي، تحقيق زكي خورشيد راجعه محمد مصطفى زيادة، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٥٤.
٤٣ ـ يوسف أشباخ :
ـ تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ترجمة عبدالله عنان.

المعاجم ودوائر المعارف العربية

٤٤ ـ الزركلي خير الدين:
ـ الاعلام، قاموس التراجم الطبعة الثانية سنة ١٩٥٤ ـ مطبعة كوستاتوماس.
٤٥ ـ المنجد في اللغة والاعلام، الطبعة (٢١) جانفي ١٩٧٣ المطبعة الكاثوليكية (لبنان).
٤٦ ـ المجلات: مجلة العربي نوفمبر ١٩٨١، (أمين بوفيق الطيبي).

المراجع الفرنسية

المعاجم ودوائر المعارف الاجنبية

47 – Dominique et Jenine Sourde : La Civilisation de l'Islam Classique, Arthaud, 1968.
48 – E. Levi Provençal : L'Espagne Musulmane du Xe Siècle, Larose Paris, 1932.
49 – E. Levi Provençal : Histoire de l'Espagne Musulmane, Editions G.P. Maisonneuve, Paris, 1953.
50 – E. Levi Provençal : La Civilisation Arabe en Espagne.
51 – Gabriel Fournier,: L'Occident de la Fin du Ve Siècle à la fin du IXe Siècle.
52 – Jean Delorme : Les grandes dates au Moyen Age (que-sais-je) 1967.
53 – L. Alphen : L'Essor de l'Eruope, page 220.
54 – Lucien Clare : Le Moyen Age Espagnol, Librairie Armand Colin, Paris, 1972.
55 – Pierre Renouvin : Histoire des Relations Internationales.
56 – R. Dozy : Histoire des Musulmans d'Espagne, Leyde, E. J. Brill imprimeur de l'Université 1881.
57 – Encyclopédie Clartes.
58 – Encyclopédie de l'Islam, Edition 1960.
59 – Dictionnaire Encyclopédique d'Histoire (D.F.) Michel Mourre.
60 – Le petit Robert, no 2, 3ème Edition 1977.
61 – Dictionaario, De Historia De Espana, German Bleiberg.
62 – Manual de Historia de Espana, Pedro - Agvado.

فهرس الاعلام والقبائل والمدن والاماكن

— أ —

ـ ب ـ

ـ ت ـ

ـ ث ـ

ـ ج ـ

ـ ح ـ

— ز —

— س —

— ش —

— ص —

— ط —

ـ ظ ـ

ـ ع ـ

ــ كــ

ــ م ــ

— ن —

— هـ —

— و —

— ى —

ـ ى ـ

ـ الدول والقبائل والاجناس ـ

ـ آ ـ

ب ـ

— ي —

اليمنون: ١٧٥.
اليهود: ٩٢ — ٩٥.

ــ فهرس المدن والاماكن ــ

ــ أ ــ

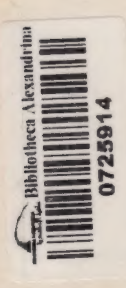
— ن —

— و —

— ى —

محتويات البحث

أنجز طبعه على مطابع
ديوان المطبوعات الجامعية
الساحة المركزية - بن عكنون
الجزائر



رقم النشر: 4 .07 .2690

السعر: 59,00 دج